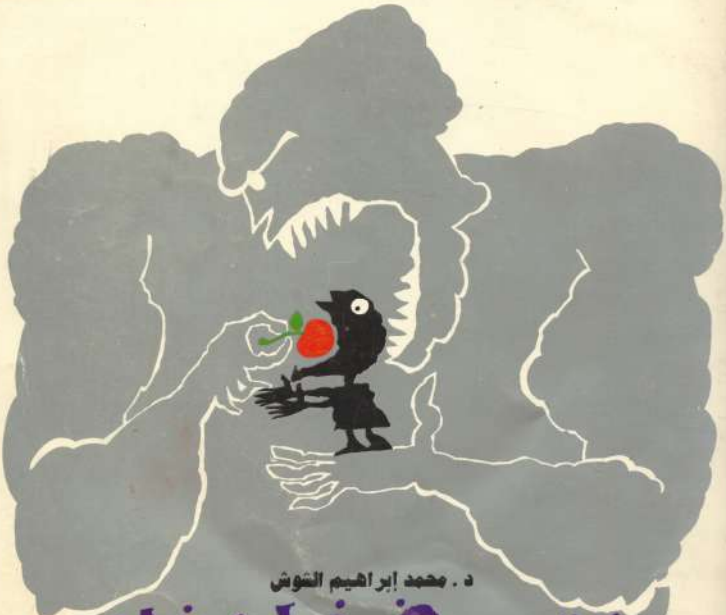
السنة الخامسة ـ العدد ٥٩ ـ محرم ١٤٠١ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٠ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

الرأس والحل والنظام — د. يوسف إدريس
أغرب من الخيال فى شرق السودان — كمال سعد



د. محمد إبراهيم الشوش
ثعلوب فى خيط دخان
حوار الشمال والجنوب



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

العدد ٥٩ نوفمبر ١٩٨٠

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
الأردن ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
السودان ٢٠٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للأفراد :
داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات



الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام
بدولة قطر

المجلة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
ناديه رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحى

سكرتيرا التحرير الفنيان
أحمد عبد الله
على دياب

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

المجلة لا تعتذ الا الى ما يرسل اليها نشرت او لم ينشر ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة او المجلة

نوفمبر ٨٠

العدد ٥٩

الشهر الذى مضى

٨ د. محمد ابراهيم الشوش
ثقوب في خيط دخان

فنون عامة

١٩ د. محمد كامل
العلم وقضايا السلام والتنمية
٢٨ مجيد طوبيا
ما أقرب الماضى الى الكذب

إسلاميات

٢٢ د. عماد الدين خليل
حوار حول الروح والجسد في التصور الاسلامى
٢٥ د. عون الشريف قاسم
الدين فى العالم الغربى

صفحات الرأى

٩٨ درويش مصطفى الفار
أضغاث أحلام: عندما سخر القاضى
٩٩ النور عثمان ابكر
مواقف ثقافية : نحو استراتيجية فكرية
١٤٦ عبد الله الشيتي
الورقة الأخيرة : وماذا عن الخيارات السهلة ؟

حياتنا المعاصرة

باشراف : خديجة الصدر
٨٣ الذاكرة
٨٧ هل يدفن النعام رأسه فى الرمال
خطر الزيدة والدهون على صحة القلب
٩١ جراحة السعادة
الانقباض النفسى عند المرأة
٩٣ جريمة المستقبل

أدب و أدباء

٣٢ صلاح عبد الصبور
كتابان تعلمت منهما
٣٥ فتحى سعيد
بعض هذا العقيق (قصيدة)

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

٣٨ عايدة الشريف
الشاعر عبد الرحمن صدقي
٨٢ م . كجراي
بطاقة حب لأسمرا (قصيدة)
١٠٠ د. حسن عيسى عبد الظاهر
قضية فلسطين
في سيرة بطل (دراسة)
١٢٤ فاضل السباعي
حوريات الغابة (قصة)
١٣٨ عبد الله جابر
شتات الأوهام (قصيدة)

ثمرات

٥٨ عبد المنعم الجداوي
زوجة المشنوق
تحمل صندوق الهدايا
١٣٤ د. حسين مؤنس
ابو بكر بن عمار : الشاعر المغمون

استطلاعات

٥١ كمال سعد
أغرب من الخيال في شرق السودان
٦٤ جمال الغيطاني
دمشق والعصر الذي أدنته
١٣٩ سيد علي شعبان
قبرص جزيرة الأحلام



الثقافة هناك

١٠١ النور عثمان ابكر
جائزة نوبل ١٩٨٠
١٠٧ محمد أبو طالب
فنون من الغرب
لحظة الرعب في زمن الخوف
ملك اسبانيا يكرم «جوان ميرو»

هذا العدد

عندما صدر العدد الماضي مرموقاً بعدد من الاضافات الجمالية في الشكل والخامات ، كنا نتوجس خيفة من بعض ردود الفعل الانعكاسي لدى بعض القراء ، ممن يتصورون أن الأخذ باسباب الأناقة ، إنما هو تعبير عن بذخ ، وإسراف ، وترفع . وما كنا لنقدم على هذه الخطوة ، لو لم نكن نؤمن بأن كل سلعة جديدة ، إنما هي في حاجة الى طريقة في العرض جيدة ولافتة للأحاسيس التلقائية بالجمال . فالعين تقع على الشيء أولا .. تسيغه أو لا تسيغه .. ثم تعكسه على العقل . وكنا نتوجس خيفة من كوننا لم نعلن عن هذا التغيير أو التمهيد له ، لأننا ندرك أن حاسة النقد واللوم عند الآخرين ، أنشط من حاسة الاطراء ، أو الوقوف في المنتصف تماماً ، إزاء الأمور التي يبذل فيها الجهد والسعي الى الأفضل والأرقى ، دون تنويه مسبق ! ونحن قبل ذلك ، وبعد ذلك نوقن أن قارىء الصحيفة الشهرية هذه الأيام عملة صعبة تتجاذبها أسواق الاعلام المتعددة ، والسهلة . وما كنا لنفرط في قرائنا الذين صحبونا خمس سنوات ، وترتفع أعدادهم مع كل عدد يصدر من الدوحة ، لو أننا تغاضينا عن هموم العلاقة الحقيقية القائمة بيننا وبينهم . وهي أننا نسعى إليهم بكل جديد ومعاصر في نتاج العقل العربي المفكر ، مثلما نفتح النوافذ على ما يجدي من تيارات الثقافة العالمية . وكلها روافد تؤدي الى إثراء القارىء في زمن تتخبط فيه الرؤى ، ويزدحم بالغث والرخيص من القول والفعل وفقدان الطريق الى الهدف الصحيح .

فنون

٤٦ نعمان عاشور
لقاءات مع جورج أبيض
٧٢ خيرية البشلاوي
الاسطورة معجزة الفن السابع
١١٥ محمد بركات
مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية
١٢٠ جمال قطب
المذاهب الحديثة وبوادر الغربة
١٢٨ فاروق خورشيد
وجدان الانسان العربي في الفن الشعبي

من كل بحر قطرة

١١١ إشراف : كمال عمار
١١١ جحويات
١١٢ المقامة التراثية
١١٣ لماذا إذن
١١٤ المتنبي ناثراً



ابواب القراء



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين « الدوحة » واصدقائها المساهمين في تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافآت رمزية على النحو التالي :

من تجاربي الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرأت ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون في تحرير ابواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجي ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •

الشهر الذى مضى



● خليل محمد
عطبرة ـ السودان

تناول الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى افتتاحية سابقة للمجلة موضوع النفط ، وأورد فى عرضه الصورة التى يعرضها العالم الغربى وإعلامه تجاه بلدان النفط . وفى رأيى ان هذا الموضوع لحساسيته واهميته يحتاج الى اكثر من افتتاحية وندوة ، خاصة وقد طرحت منظمة البلدان المصدرة للنفط مشروعا لقيام إعلام خاص بها ، يحاول تصحيح هذه الصور .

خليل محمد

● اسماعيل عمر محمد
القضارف ـ السودان

صارت «الدوحة» ، المنبر الحر الذى نتحدث من خلاله بكل صدق وصراحة ولا يسعنى إلا ان ابدى إعجابى بمواضيعها الشيقة والمفيدة وكذلك بكتابها البارعين المبدعين واخص بالذكر هنا الدكتور / محمد ابراهيم الشوش الذى ظل يطالعنا ويظللنا بالعديد من المقالات الحيوية التى تعالج مشاكل وقضايا الأمة العربية المصيرية والمستقبلية ، واشير هنا واشاطره الراى فى مقاله الحيوى الهادف «المال العربى والخيارات الصعبة» فى العدد «٥٦» ـ شوال ـ / الذى يعالج مشكلة من اكبر مشكلات الوطن العربى الذى ننشد لأجياله الحالية واللاحقة التقدم والرفاهية فى عصر تتسابق فيه الأمم نحو التنمية والرقى .

اسماعيل عمر

إسلاميـــات

● محمد ضحية محمد على الخرطـوم ـ السـودان

طرح محمد فتحى فى العدد ٥٧ من المجلة ضرورة التوجه الى العالم الغربى لنشر الاسلام فيه بدلا عن الخواء الروحى الذى يسوده ويزداد حدة كل يوم

وارى قبل طرح هذه الدعوة الخيرة الجليلة ، ان ننظر ونتدبر امر الدول الاسلامية ، وما يسودها من تعصب وتفكك . وان نعالج كذلك الشوائب التى زرعها الاستعمار واعداء الاسلام للحد من قوته وانتشاره .

محمـد ضحيـة



● صالح محمود
بورسعيد ـ ج . م . ع

هذه الأسئلة حول الموت والخلود حركت شجونى وانا اقرا مقال عماد الدين خليل بعنوان «شىء عن الموت» .. فحقا نحن ندرك ان الموت هو الوسيط الذى لابد من مجيئه إذا ماأريد لقيم الحق والعدل ان تتحقق فى صفحة الكون كله .. فلولا وقعة الموت لوجدنا الظالمين يزدادون ظلما .. فالموت تذكرة وهو اشبه بجرس الأنذار الذى يحذرنا من المعنى فى ظلم الآخرين .. فالموت ـ فعلا ـ لا يستثنى احدا ، فكل نفس ذائقة الموت كما قال سبحانه وتعالى .

صالح محمود



● نادية حمدى الرفاعى
القاهرة ـ مصر

اقترح ان تفرد المجلة بابا دينيا ثابتا كل شهر ، يحوى مسابقات دينية وشروحا للقرآن الكريم ، وعرض حياة كبار المسلمين واعمالهم .

واشير الى خلو المجلة من اى اهتمام بالطفل فيما يكتب . فهل تركت المجلة هذا الباب للمجلات المختصة ؟

نادية حمدى

دراسات إعلامية



● محمد احمد الحفناوى
امين مكتبة محكمة جنوب القاهرة ـ بكالوريوس فى الاعلام الاذاعى

قرات باهتمام ما كتبه الدكتور فاروق ابو زيد فى عدد «سبتمبر» عن قصور الدراسات الاعلامية فى الوطن العربى .. وإننى اود ان الفت النظر إلى ان سيادته قد ركز فى مقاله على المعاهد الدراسية فقط بالجامعات .

وفى الحقيقة ان هناك عديدا من المؤسسات الاعلامية التى تقوم بدور فعال فى خدمة الاعلام بالعالم العربى ، ومن هذه المؤسسات «اتحاد اذاعات الدول العربية» التى تقوم بدور كبير منذ عام ١٩٧٠ فى خدمة الاعلام العربى ، حيث ان الاتحاد يقوم بعقد الحلقات الدراسية حول الاعلام فى الدول العربية ، وكثيرا ما يقيم تلك الحلقات بالاشتراك مع منظمة (اليونسكو) ، ومن الأمثلة على ذلك بحث «نوادى الاستماع والمشاهدة الجماعية» والتى عقدت فى القاهرة فى الفترة من ٩ ـ ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٢ ، وتناولت تجربة استخدام الراديو والتليفزيون كوسيلة تعليمية فى مصر وتونس والسودان .

محمد الحفناوى

استطـــلاعات

● موقس عبد الحق
مراكش ـ المغرب

بعد قراءتى لما كتبه جمال الغيطانى فى «العدد ٥٥» من المجلة عن مشاهداته فى المغرب فى كل من الرباط ومراكش اقول انه لا شىء اخطر من السياحة ، فاضافة الى انها تشوه بعض حقائق التاريخ والحقائق الاجتماعية لبلد ما تذهب فى تعاملها مع الشعوب المتخلفة الى تغيير القيم الانسانية العفوية وتكريس قيم جديدة دخيلة .

موقس عبد الحق

● اليوسف بن محمود
حمص ـ سوريـا

تناول كمال سعد فى غير مرة الحديث عن بلاد الأندلس ، تلك البلاد التى ارتبطنا بها تاريخيا فترة من الزمان . وهنالك بلدان اخرى مثل تركيا وافغانستان وباكستان ارتبط بها العرب تاريخيا واسلاميا فهلا نرى كتابات عن واقعها وحضاراتها فى المجلة ،

اليوسف بن محمود



دولـــة قطـــر

وزارة التـربيـــة والتعليم

إعـلان المنظمـة العـربيـة للتربيـة و الثقـافـة و العـلـوم

جائـزة المـسرح العـربى
لأحـسـن مـسرحيـة عربيـة

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ جامعة الدول العربية ـ عن تخصيص جائزة للمسرح العربى قدرها ٢٠٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها تقدم لأحسن مسرحية عربية تتوفر فيها الشروط التالية : ـ

- أن تكون باللغة العربية الفصحى .
- أن تؤدى على المسرح فيما لا يقل عن ٩٠ دقيقة .
- ألا يكون قد سبق عرضها أو اذاعتها أو نشرها بأية وسيلة من وسائل الاذاعة والنشر .
- أن تعالج جانباً من جوانب القضية الفلسطينية .
- يرسل من المسرحية خمس نسخ مرقومة على الآلة الكاتبة الى مقر المنظمة (ص . ب /١١٢٠/ ـ تونس) فى موعد أقصاه آخر آذار / مارس ١٩٨١

علماً بأن الفوز بالجائزة لا يخل بحق صاحب المسرحية فى ملكيتها والتصرف بها الى أية جهة يختارها ، كما ستقوم المنظمة من جانبها بترشيح المسرحية للعرض على المسرح فى مختلف الأقطار العربية .

الشهر الذى مضى

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

شعوب فى خطر

حوار الشمال والجنوب



حين تتحدد المواقف وتتعرى النوايا
وتبرز الأنياب بين
عالمين يقتسمان الحياة قسمة غير عادلة

جوهر الصراع : اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته

○ دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز .. لا تعرف أبدا فى القاموس الاقتصادى بأنها فقيرة

○ من الطبيعى أن يميل ميزان الغلبة والسيطرة لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى العالمى

○ لماذا تصدت الدول المصدرة للنفط لحماية مواردها من التضخم وتقلب العملات ... ؟

○ الأمر ليس مجرد تصرف إنسانى لانقاذ مجموعة من التعساء من مستقبل مظلم

المناقشات التى دارت ساخنة عنيفة وامتد دخانها عبر الأسابيع الأولى من الشهر الذى مضى متخذة إطاراً اقتصادياً خلال الدورة الخاصة للأمم المتحدة فى نيويورك ، والاجتماع السنوى المشترك للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى فى واشنطن ، وإطاراً ثقافياً اعلامياً حاداً فى دورة اليونسكو فى بلغراد ، وفى العديد من المؤتمرات واللقاءات الدولية ، تكشفت عن صراع تحددت فيه المواقف وتعرت فيه النوايا وبرزت فيه الأنياب بين عالمين مختلفين يقتسمان الحياة قسمة غير عادلة ولا متكافئة على ظهر هذا الكوكب .

ولقد كانت اللغة السائدة بينهما ـ قبل أن يفرض الواقع المؤلم منطقه ، وتنهار النظم المتاكلة الخربة فوق رؤوس المستفيدين منها والمسحوقين تحتها ـ لغة المراوغة والدبلوماسية المهذبة التى تخفى الحقائق وراء تراكمات لفظية ناعمة الملمس ، يمارسها ممثلون متانقون يتحدثون ـ ـ حين ياتى دورهم ـ حديثا مكرراً معاداً لمقاعد خالية ، يرسلون نسخا مسجلة منه الى اذاعاتهم وصحفهم بالبريد وعبر الأقمار الصناعية ، ويتبادلون الأنخاب حين ياتى المساء مع نفر من المحظوظين الآخرين ويتقبلون ابتسامات الكبار الأبوية ، ويتركون القرارات الرئيسية ، التى تتحكم فى مصائر من يمثلونهم من مستضعفى الأرض ، تمر فوق رؤوسهم من داخل حجرات مغلقة على الكبار ، قدراً محتوماً وقانوناً ازلياً من قوانين الكون والطبيعة لا يستطيعون له دفعاً ولا هم به معنيون .

لكن حديث المحافل الدولية هذه المرة كان جاداً ، وكان ساخناً غاضباً يريد تقويض هذه الحجرات المغلقة على الكبار لا يريد ترميماً يذر الرماد فى العيون . جاء الحديث هذه المرة بعد أن طفح الكيل وما عاد فى جراب المقهورين ما ينهب ، ليكون استكمالا لاستقلال سياسى ظل عبر عقدين من الزمان أجوف عديم المعنى والقيمة ، نالته بعد جهد أمم تعدى رقمها ـ ما شاء الله ـ المائة فى مقاعد منظمة الأمم المتحدة ، وما نعمت فيه بخير ولا سعدت بحرية . خيراتها فى يد الغير كما كانت ، ومصيرها ومواردها رهن اشارة من بحت الأصوات باسقاطهم . والذين استشهدوا صرعى فى الشوارع ، والذين صرخوا فرحة ومعاناة وألماً ، والذين تظاهروا والذين جرت دموعهم دمعاً ودماً والذين هللوا وبكوا يوم ارتفعت أعلام بلادهم ما وجدوا غير الجوع والفاقة والتخبط واستبدال صفوة بصفوة ، يقفون فى شوارع مدن العالم الثالث وفى حقوله وفى صحرائه لا يفقهون شيئاً من نصر لم يحمل لهم خبزاً ولم يحقق لهم عافية ولم يكرم انسانيتهم من فاقة وسغب .

• • •

وجوهر الصراع الذى برز الى السطح فى هذه المناقشات اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته ، ومصادر ثرواته ، ومكامن نفوذه وسلطاته ، ومنابر أصواته المسموعة وقراراته النافذة ، بين مجموعتين من الدول . احداهما مجموعة الدول المتقدمة ـ أو التى تسمى نفسها كذلك فهى التى تحدد وتطبق المقاييس التى تحكم التطور والتقدم ـ وهى تمثل قلة من الدول تبلغ أربعاً وعشرين دولة يتمركز أغلبها فى شمال العالم وتمثل ١٨ ٪ فقط من سكان العالم ومع ذلك تملك ٦٥ ٪ من مجمل الناتج المحلى للعالم ويعيش افرادها فى بحبوحة إذ يبلغ متوسط دخل الفرد فيها أكثر من ٥٠٠٠ دولار سنوياً . وهى مجموعة متماسكة مترابطة تتحدث فى الغالب بصوت واحد يتمثل فى(منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية)، حين تضع سياساتها وتنسق خططها وتحدد اهدافها ،(وفى مجلس المساعدات الاقتصادية) حين تتعامل مع الآخرين . والثانية مجموعة ضخمة من دول العالم المستضعفة المغلوبة على أمرها والتى لا وزن لها حين تتخذ القرارات،وهى مجموعة عجز العالم أن يجد لها فى قاموس الدبلوماسية العالمية وصفاً يعبر عن حقيقتها وقلة بختها ولا يثير حساسيتها ، فهى قد تكون مجموعة دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز ، ولكنها لا تعرّف أبداً فى القاموس الاقتصادى بانها فقيرة ، برغم أن الفقر سمتها الرئيسية وبرغم أن الفقر ليس عيباً ـ كما يقول أهلنا الطيبون ـ فقد كانت توصف فى البداية بانها متخلفة حين لم تكن الحساسية واردة ، وحين كان التخلف سمة محببة للمتوحش النبيل تثير حب الاستطلاع لدى علماء الانثربولوجيا فى الغرب المتقدم ، ثم عدل هذا الوصف الى غير نامية ، ثم ترقت الى قاصرة النمو ، ثم تحسن حالها الى أقل نمواً ، وأخيراً الى نامية ، أكانت كذلك أم لم تكن . ويبلغ تعدادها حتى كتابة هذه السطور ١٢١ دولة بالتمام والكمال ، هذا اذا لم تتفتت الى دويلات أخرى أو يبتلع بعضها بعضاً أو يرتفع متفائلا علم استقلال جديد . وتمثل هذه المجموعة ٧٠ ٪ من سكان العالم ينتظر أن تصل الى ٨٠ ٪ فى نهاية القرن الحالى بفضل تناسلها المتزايد وغير المنضبط . وعلى كبر حجمها وغزارة ناسها ، لا تملك من مجمل الناتج المحلى للعالم سوى ٢٠ ٪

فقط ، وأغلب مواطنيها يعيشون فى الأرياف فى حالة يائسة من الجوع والفقر والمرض لا تليق بالكرامة الانسانية . وينحط متوسط دخل الفرد فيها الى أقل من ٣٠٠ دولار سنوياً . وبعض دول هذه المنطقة ويبلغ عددها ٤٥ دولة تعيش على الكفاف وقد صنفت حديثاً على أنها البلاد الأكثر فقراً وتضم الجزر والبلاد الحبيسة عن البحار ، وتلك التى أهلكها التضخم العالمى وارتفاع أسعار وارداتها وأفقدها قدراً كبيراً من قدرتها الشرائية الضعيفة التى كانت لها من قبل ، وعطل معدل نموها وحول مساره الى التراجع . وهى التى يمكن تسميتها البلاد المتراجعة النمو إن صح ذلك لغوياً . وهذه المجموعة بخلاف مجموعة الدول المتقدمة غير متماسكة ولا تتحدث بصوت واحد وتعج بالتناقضات فى داخلها وفيما بينها . وهنالك بؤر عديدة فى داخلها تتفجر صراعاً وحروباً وانقلابات وعدم استقرار واهتزاز فى كياناتها الاجتماعية والسياسية .

ونستثنى من هذا التقسيم لأسباب لا مجال للخوض فيها الآن مجموعة دول ما يسمى بالمعسكر الاشتراكى وتعد ـ فى حسابات العارفين ـ من الدول المتقدمة ، ويبلغ تعدادها تسع دول تتقاسم فيما بينها ١٥ ٪ من مجموع الناتج المحلى للعالم بينما تمثل ٩ ٪ فقط من سكان العالم .

• • •

ومظاهر التفاوت الاقتصادى والسياسى والثقافى بين المجموعتين المتقدمة والنامية عديدة متنوعة تنتشر فى كل الاتجاهات ، وتتضح فى كل منابر اتخاذ القرارات ورسم السياسات وفرض الهيمنة وتحقيق المصالح الحيوية .

ففى عالم يعتبر التكنولوجيا والرفاهية وتحقيق الربح المادى حتى ولو على حساب الآخرين من معايير التقدم والتحضر والذكاء والهدف الأسمى والأكبر لكل جهود البشرية واختراعاتها عبر التاريخ ، يعيش ٩٠ ٪ من علماء العالم فى الدول المتقدمة ويمثلون الركيزة الأساسية لثرائها الحقيقى وبسط نفوذها على العالم . وهى التى تبتدع النظم والتقاليد التعليمية التى تعتبر نبراساً للعالم كله ، وهى التى تحدد المقاييس العلمية وهى التى تمنح بركتها واعترافها بالعلماء والجامعات والمناهج والدرجات الأكاديمية والاجازات العلمية والجوائز التقديرية العالمية .

وفى المجال المالى هى التى تتحكم وتسيّر على هواها ولمصلحتها ووفق مزاجها الأنظمة المالية والنقدية والمصرفية فى العالم برمته ، فهى مقر المصارف الكبرى الأمينة ـ بأرقامها العلنية والسرية ـ على أموال الجميع أمماً وأفراداً من أى نبع غرفوا أموالهم ، وبقية مصارف العالم فروع تصب فى الأصل ، وهى التى تملك وحدها ـ لا تبغى شريكاً من خارجها ـ حق اتخاذ القرار والنقض فى قمة أجهزة العالم الاقتصادية والمصرفية التى تتحكم فى النظام المالى والنقدى فى العالم والذى نشأ أساساً فى حضنها كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى . وصوتها فى هذه المنابر ـ بغض النظر عن مساهمتها المالية أو مساهمة الآخرين ـ هو الصوت الطاغى لا يرتفع صوت نشاز الى جانبه . وعملتها النقدية هى التى تشكل الاحتياطى للعالم إذ يتم التعامل بها عملة صعبة لا حدود ولا قيود على حركتها فى مجال التعامل التجارى فى العالم ، وعملات الآخرين سهلة رخوة لتسهيل التعامل الداخلى لا تتعداه أو تخرج عن نطاقه .

ومجموعة الدول المتقدمة هى التى تتحكم فى حركة الأفكار والناس والأشياء عبر الأثير وعبر الهواء وعبر البحار وعبر الأراضى وعبر الفضاء ، فى يدها تتمركز أهم وسائل الاتصال الجماهيرية ، وفى أرضها تعمل وكالات الأنباء العالمية الرئيسية ذات الأثر ، ومراسلوها ينتشرون فى كل أنحاء العالم فى أجواء السلم والحرب ، يصغى الناس اليهم حين تعييهم أكاذيب أجهزتهم : تخاف أن تخبرهم بالذى هو واقع فعلا . وليس قول الحق بممكن فى وضع غير مستقر . والدول المتقدمة تتحكم فى كافة شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية وحركة النقل والطيران والملاحة البحرية والتامين

ويلى برانت



إدموند ماسكى (مريكا) وهانز جينسر (المانيا الاتحادية)



○ المصروفات العسكرية فى نصف يوم تكفى للقضاء نهائيا على وباء الملاريا فى العالم

وفى مجال التجارة الدولية تتحكم الدول المتقدمة عن طريق شركاتها الصناعية والتجارية العملاقة التى تبسط هيمنتها ونفوذها واحتكاراتها الخانقة عبر القارات والمحيطات ... وهى التى تحدد الطلب وهى التى ترفع وتخفض الأسعار ، أمام أبوابها تقف صفوف الدول النامية تحمل مواردها من قطن وتبغ وكاكاو ومطاط وسكر تبيعه بخساً لقاء مقايضة خاسرة ، لأن منطق الاختلال لا يقيس قيمة المزارع الكادح فى مزارع الجنوب بقيمة الانسان المرفه فى مصانع الشمال .

وهناك عاملان رئيسيان أديا الى هذا التفاوت المخل وغير العادل ، أولهما أن دول الشمال المتقدمة كانت لظروف تاريخية هى الأرضية التى ولدت ونمت فيها النهضة العلمية التكنولوجية الحديثة ، والتى أفرزت بدورها الثورة الصناعية فكان من الطبيعى أن تكون فى وضع متميز بالنسبة لبقية دول العالم ، وأن تستغل الامكانات الهائلة التى وفرتها الثورة الصناعية لتحقيق رفاهيتها ونموها وأن تحولها لمصلحتها . والعامل الثانى والذى يعتبر امتداداً طبيعياً للأول هو الاستعمار ، أو استغلال القوى المادية الهائلة التى فجرتها الثورة الصناعية للسيطرة على العالم واستغلال أراضيه الواسعة مركزاً لجلب السلع واستنزاف المواد الخام الرخيصة الثمن لمصانعه الجبارة والاستفادة من تعداد سكان الدول النامية الضخم سوقاً واسعة لمنتجاته الصناعية .

• • •

وكان طبيعياً أن يميل ميزان الغلبة والسيطرة والتميز كلية لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى العالمى الحالى ، وما تمخض عنه ويتمخض عنه من مؤسسات دولية تتحكم فى مصائر العالم وموارده وبخاصة البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى . فقد ولد هذا النظام فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قبل خمسة وثلاثين عاماً فى ظروف كانت «الغالبية» العظمى من دول العالم الثالث ترزح تحت نير الاستعمار ، بعيدة كل البعد عن مسرح الأحداث العالمية . ولكن ليس من طبيعة الأشياء أن يستمر وضع ولد ونمى تحت ظل ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية مضى عليها الزمن فتبدلت ولم يعد لأكثرها وجود .

لقد كان من أبرز التطورات التى حدثت مخلفة هذا النظام وراءها مهلهلا عديم الفعالية ، ذلك التفاوت الذى طرأ فى النمو الاقتصادى للدول المتقدمة نفسها . ففى الوقت الذى انطلق فيه الاقتصاد الالمانى واليابانى والفرنسى ، أصيب بالعقم والركود الاقتصاد البريطانى والأمريكى وهما الدولتان اللتان تتحكمان فى النظام النقدى العالمى وتمثل عملتهما الاحتياطى الرئيسى للعالم كله . ومنها أيضاً تقلص الهيمنة الأمريكية الاقتصادية التى كان انشاء البنك الدولى وصندوق النقد الدولى أصلا من أميز مظاهرها . ومنها ـ وقد يكون أهمها ـ خروج دول العالم الثالث من قبضة الاستعمار والسيطرة السياسية ، ورغبتها تأكيد ذلك بتحقيق استقلالها الاقتصادى والثقافى والخروج من فلك التبعية ، والسيطرة على مواردها لتحقيق رفاهية شعوبها ، والمساهمة الفعالة والعادلة فى الانتاج الدولى للسلع والتجارة العالمية بغرض تحقيق التنمية ورفع حالة شعوبها من درك الفقر والحاجة . ومن هذه التطورات الهامة أيضاً ظهور الدول المصدرة للنفط بامكاناتها المالية وقدرتها الخارقة على خنق اقتصاد الدول الصناعية ووضعه تحت رحمتها ، واصرارها أن تكون القيادة فى يدها لا فى يد غيرها ..

وقد أحدثت هذه التطورات شرخاً خطيراً فى النظام الاقتصادى العالمى أخذ يتسع بصورة واضحة . وبرغم كل الأصوات المستغيثة فى الجنوب والأصوات الواعية والمنزعجة على مصيرها فى الشمال ، ظلت دول العالم المتقدم تعيش فى وهم الماضى مغمضة عينيها دافنة رأسها فى الرمال ، تحاول أن تصد المحتوم بالمسكنات المؤقتة والترميمات السطحية والجدار يتقوض حتى انهار تماماً ..



السفير الهندى براجيش ميشرا رئيس مجموعة الدول النامية

مجموعة الدول المتقدمة

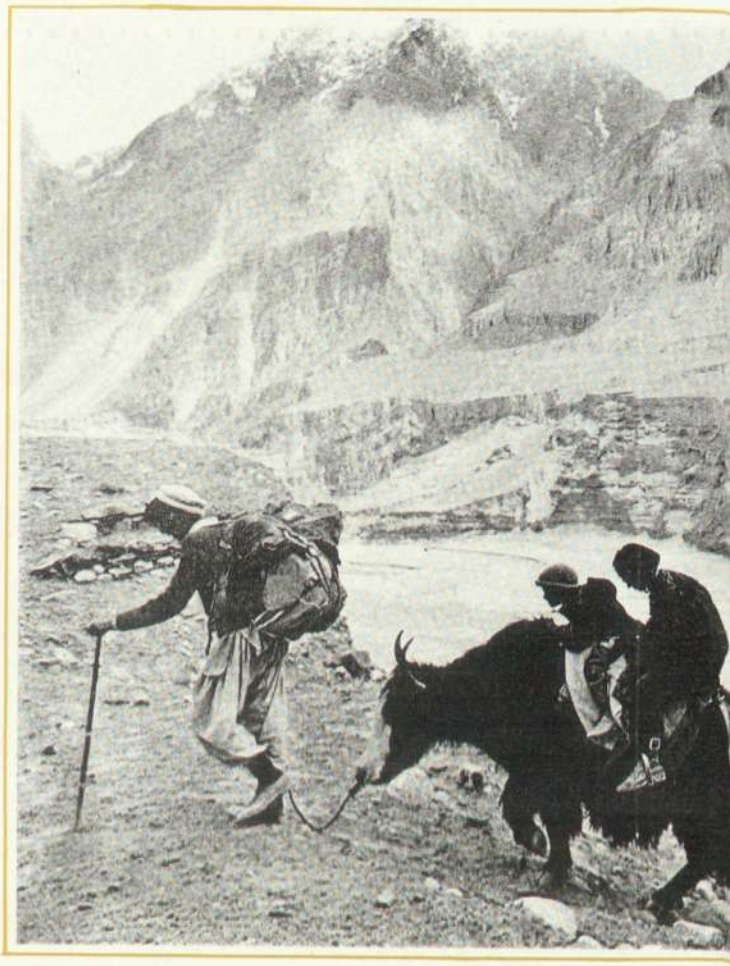
(المعسكر الاشتراكى)

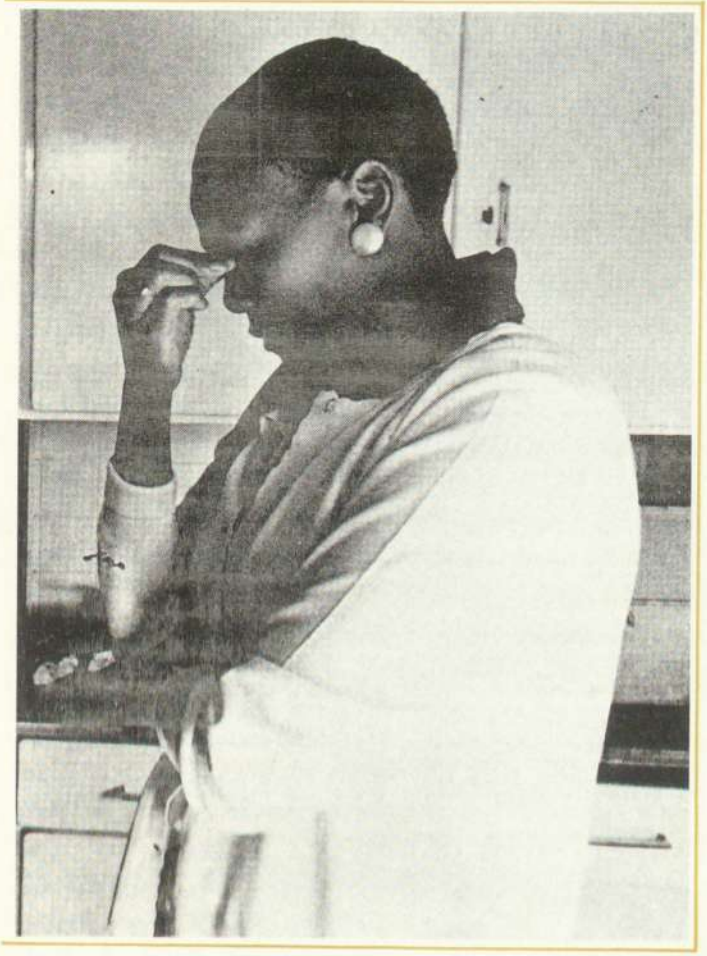
(استراليا ، النمسا ، بلجيكا ، كندا ، الدنمارك ، فنلندا ، فرنسا ، جمهورية المانيا الاتحادية ، اليونان ، ايسلندة ، ايرلندة ايطاليا ، اليابان ، لوكسمبورج ، هولندا ، نيوزيلنده ، النرويج ، البرتغال ، اسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، المملكة المتحدة الولايات المتحدة) .

(البانيا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، جمهوريا المانيا الديمقراطية ، المجر ، منغوليا ، بولندا ، رومانيا ، الاتحاد السوفيتى) .



○ الاهمال من جانب الدول الصناعية أدى إلى تكتل بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية



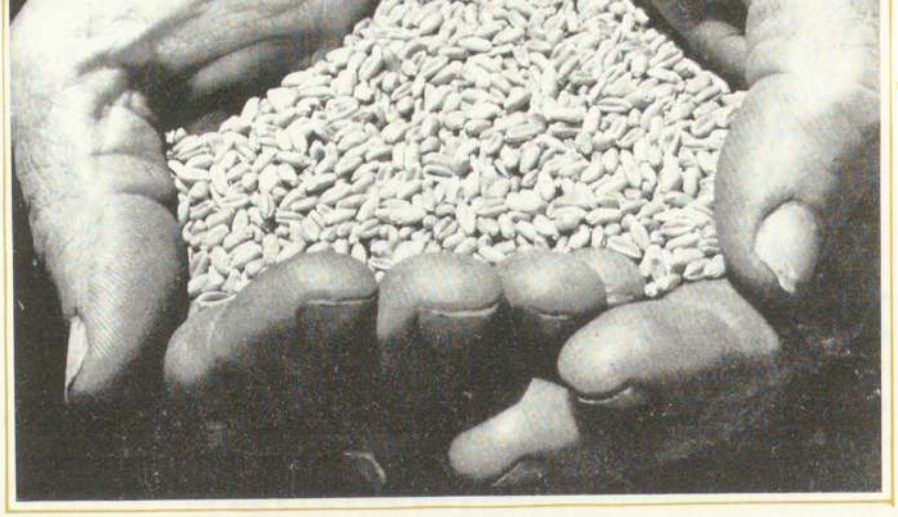


وكانت بداية الهزة التى اقتلعت النظام الاقتصادى من أساسه انهيار النظام النقدى العالمى فى عام ١٩٧١ وهو الذى كان ينظم الشئون النقدية العالمية ، ويعرف بنظام (برتون وودز) وهو اسم لقرية فى الولايات المتحدة شهدت مولد صندوق النقد الدولى عام ١٩٤٥ . ويحدد مجموعة القواعد النقدية على قيم ثابتة يعبر عنها بالذهب والدولار . وحتى عام ١٩٧١ وبمقتضى ذلك النظام كان على الدول أن تدعم قيمة عملتها بما تملك من أرصدة أو تخفضها . وقد احتل مكانه حالياً نظام واه متقلب يعرف باسم (معدلات الصرف العائمة) ويقوم على أساس علاقات معدلات الصرف بين العملات التى تتقرر يومياً فى الأسواق حسب قانون العرض والطلب . وقد أدى هذا الى عدم استقرار أسعار العملات مما دفع بالتجارة الدولية الى حالة بعيدة من الارتباك والفوضى وأدى الى مزيد من الفقر فى الدول النامية .

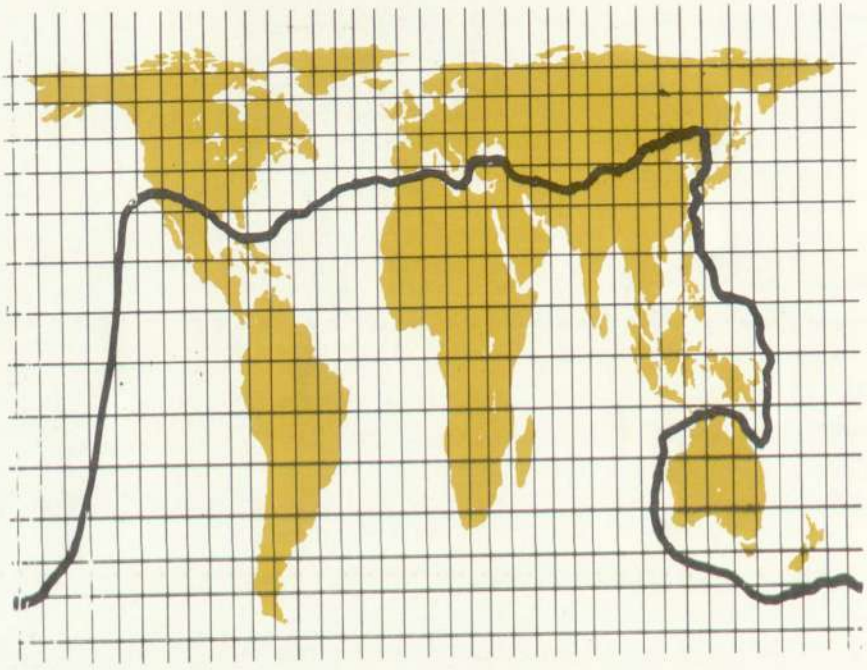
وفى اطار هذا الوضع المرتبك وغير المستقر كان لابد أن تتصدى الدول المصدرة للنفط لحماية مواردها الناضبة من التضخم العالمى الذى أدى الى تاكل أرصدتها ، ومن مخاطر تقلب العملات الذى أضر بالعائد الحقيقى لمبيعاتها . ولقد كان ارتفاع أسعار النفط بازدياد منذ عام ١٩٧٣ بمثابة القشة التى قصمت ظهر النظام الاقتصادى العالمى المائل لصالح الدول الصناعية المتقدمة . وكان ان اختلت الأسس الاقتصادية القائمة على اعتبار النفط سلعة متوفرة رخيصة الثمن على الدوام . وانقلب ميزان المدفوعات فى الدول المتقدمة رأساً على عقب ، وبلغ العجز التجارى فيها الوف الملايين من الدولارات ، وعم الكساد وأفلس عديد من المؤسسات التجارية ، وركض التضخم الى أبعاد لم تكن فى حساب أحد ، وارتفعت العطالة الى أرقام مزعجة أفرزت تخريباً وارهاباً سادياً عشوائياً أصبح يهدد الأمن الداخلى والأسس الدستورية التى يقوم عليها نظام الحكم نفسه .

وكما هو متوقع كانت الدول النامية ـ وبخاصة المستوردة للنفط منها ـ أكثرها تعرضاً للضرر والخطر . فقد زاد اجمالى الديون المعلقة على هذه البلدان الى مئات البلايين من الدولارات وأصبح بعضها غارقاً فى الديون الى حد أن كل صادراتها فى أحسن أحوال الحصاد لا تفى بتسديد الفوائد وحدها . وقد أصبح هذا العجز يهدد النظام المصرفى العالمى بالانهيار بعد أن شلت قدرته على منح مزيد من القروض للدول التى تحتاج اليها فعلا .

ومع توقف النمو واطلاق شيطان التكنولوجيا يلوث الأرض والبحر والجو ويهدد الزرع والضرع فى العالم ، يقل المزروع وتزحف الصحارى ويحصد الجوع ملايين البشر فى آسيا







وافريقيا . ففى عام ١٩٧٩ الذى اطلق عليه عام الطفل مات اكثر من ١٧ مليون طفل حسب الاحصاءات المعروفة .

• • •

فى هذا الوضع لم يبق من حل مطلقاً سوى توفير رأس مال ضخم يمنح للدول الفقيرة ، كمساعدات مباشرة صريحة ، اذا ما أريد لها الحياة والنمو ، وكذلك التخلى عن هذا النظام الأنانى الجائر الذى كان من نتائجه دفع العالم الى هذا الطريق المسدود . والأمر ليس مجرد تصرف انسانى لانقاذ مجموعة من التعساء من مستقبل شديد الاظلام ، بل لأن منطق الحال يؤكد انه ما من مجتمع يمكن أن يعيش منعماً فى عالم يعانى ويلات الفقر والجوع . فتوقف النمو فى البلدان الفقيرة سيؤدى فى أحسن احواله الى انخفاض مريع فى حركة التجارة والاستثمار والأداء الاقتصادى العالمى بصورة لن تكون أبداً فى صالح أية دولة أو مجموعة فى العالم . وفى أسوأ احواله سيؤدى الى تعطيل امكانيات الملايين من البشر وتحويل طاقاتهم من الانتاج المشروع الى التخريب وإشاعة الفوضى والارهاب الذى يدفع بالعالم الى أتون حرب لن تبقي على ظهر الأرض غنياً أو فقيراً .

هذه هى حقيقة بديهية لا تريد أن تواجهها الدول المتقدمة وبدلا عن استخدام امكاناتها لدرء الخطر عن العالم تعمد الى تقليص معوناتها الاقتصادية للدول النامية عما كانت عليه فى السابق بحجة ما تعانيه من ضائقة اقتصادية ، متجاهلة أن تدهور مستوى الحياة فى الدول الفقيرة سيجر اقتصادها – وهو الذى يعتمد على استقرار الدول النامية وموادها الخام وأسواقها – الى الحضيض .

وبالرغم من كل الوعود التى قطعتها الدول المتقدمة على نفسها فى كافة المحافل الدولية بأن تخصص نصيباً معيناً من ناتج دخلها القومى لمساعدة الدول الفقيرة فانها لم تبلغ من ذلك شيئاً . وتبرر الدول المتقدمة هذا الشح من جانبها بالقاء مسئولية معاناة الدول النامية على معوقات داخلية . إذ يقول وزير خارجية الولايات المتحدة فى الدورة الاستثنائية للأمم المتحدة : «مهما بلغ مستوى المساعدات الخارجية ستظل عاملا ثانوياً ، فالعوامل الرئيسية كلها داخلية كالقدرة على استغلال المصادر بصورة فعالة ، وتشجيع الابداع وروح الاختراع والمبادرة وتوزيع ثروات البلاد بصورة عادلة على قطاعات واسعة من المجتمع . وعليه فان هنالك مسئوليات يتحتم على الدول النامية نفسها أن تتحملها للقضاء على

○ دخل الموضوع فى اللحم الحى وارتفعت قرون الاستشعار : كله إلا هذا..!!

الفقر والجوع الذى يحصد أرواح الملايين من مواطنيها» وأحياناً القاء المسئولية على أسلوب الحياة الاجتماعية لكثير من هذه الدول التى تعطل طاقات نسائها بحرمانهن من التعليم والعمل ، وتعجز عن تحديد نسلها بصورة لا يمكن معها لأية معونة أن تكون فعالة أو تترك فئرانها تقضى على ما تحصل عليه من غذاء .

ولا تكتفى الدول المتقدمة بتقليص معوناتها للدول النامية فى أشد حاجتها ولكنها تذهب الى حد التضييق على هذه الدول وقفل منافذ التجارة فى وجهها بحجة حماية صناعاتها فى وجه ما تواجهه من كساد وبطالة .

• • •

ودول المعسكر الاشتراكى المتقدمة ، برغم احتمائها بالشعارات التى أبدأ ما أطعمت جائعاً أو أنقذت معدماً ، ليست بأحسن حال من الديمقراطيات الغربية المتقدمة ، بل أدت سياستها الرعناء فى عدد من مناطق بلدان العالم الثالث الذى يدور فى فلكها الى هجرات جماعية لأناس تعساء أضافوا الرعب والخوف الى الحاجة والجوع ، يدورون لاجئين فى عرض البحار يضيفون جديداً على معاناة العالم النامى ..

ومن ناحية أخرى ظلت دول المعسكر الاشتراكى تتهرب من أية مساهمة فى تحمل أعباء المساعدات الخارجية للعالم الثالث بحجة أن ما تعانيه هذه الدول إن هو إلا تركة استعمارية وعلى الذين تسببوا فيها أن يتحملوا وزرها وهى حجة تثير الضحك لو كان فى الأمر ما يضحك . وتفسير أحد



مجموعة الدول النامية

● أفغانستان ، الجزائر ، انجولا الأرجنتين ، جزر بهاما ، البحرين بنجلاديش ، بربادوس ، بنين ، بوتان ، بوليفيا ، بوتسوانا ، البرازيل ، بورما ، بوروندى ، كسيب فيردى (جزر الرأس الأخضر) ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، شيلى ، كولومبيا ، جزر القمر ، الكونغو ، كوستاريكا ، كوبا ، قبرص ، كمبوتشيا الديمقراطية ، جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، اليمن الديمقراطية ، جيبوتى ، دومنيكا ، جمهورية الدومنيكان ، اكوادور ، مصر السلفادور ، غينيا الاستوائية ، اثيوبيا ، فيجى ، جابون ، جامبيا ، غانا ، جرينادا ، جواتيمالا ، غينيا ، غينيا - بيساو ، جويانا هايتى ، هندوراس ، الهند ، اندونيسيا ، ايران ، العراق ، ساحل العاج ، جامايكا ، الأردن ، كينيا ، الكويت ، جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية ، لبنان ،



○ عناصر التفاؤل كلها متوفرة .. وإدراك الهدف هو أول مرأقى تحقيقه

ممثلى دول المعسكر الاشتراكى المتقدمة بأنهم يمنحون معوناتهم وفق اتفاقات ثنائية للدول التى تحتاجها ولا يضعونها تحت تصرف المؤسسات المالية العالمية حتى لا تتسرب الى أيدى الأنظمة الفاشية وجيوب المرتشين والفاسدين ، تفسير قد يثير الرضى لأنه يحمل بعض الحقيقة ، ولكنه تفسير غوغائى غير مقنع . غير مقنع لأنه يتخذ ثوباً انسانياً طهوراً وسجل تعامل الدول الاشتراكية مع دول العالم الثالث ليس ناصع البياض . فهى تفرض فى بعض الأحايين شروطاً غير مقبولة على الدول النامية ، كما تبين فى بعض أحوال انها تعيد طرح منتجات دول العالم الثالث التى تحصل عليها عن طريق المقايضة فى الأسواق العالمية بأسعار منخفضة لتحصل على عملات صعبة غير مكترثة لما يسببه ذلك من كساد وتخريب لاقتصاديات هذه الدول وتبخيس لسلعها .

• • •

وفقدان الوازع الأخلاقى فى النظام الاقتصادى العالمى الذى تتحكم فيه الدول المتقدمة ، وتوجهه نحو غايات الربح المادى دون التفات لأى موقف انسانى أو اخلاقى يبرزهما هذا الاهتمام الضخم الذى تمنحه لصناعة الأسلحة الفتاكة والتى تعتبر من اكبر صادراتها واكثرها تقدما تكنولوجيا للدول الفقيرة التى لا تجد القوت ، واستغلال ما تعانيه هذه الدول من تفكك وعدم استقرار بجعلها ساحة لصراعها الايدلوجى والسلطوى ، وبذر بذور الفتنة لتشغيل مصانعها وتجربة اسلحتها . ففى الوقت الذى تبلغ فيه المخصصات العسكرية السنوية فى العالم ٤٥٠ بليون دولار سنوى لا تبلغ معونات التنمية ٥ ٪ من هذا المبلغ المخصص للدمار .. وكما أشار ويلى برانت المستشار الألمانى السابق فى تقريره عن حوار الشمال والجنوب ، فان المصروفات العسكرية فى نصف يوم تكفى للقضاء نهائياً على وباء الملاريا فى العالم ، وثمن عربة مدرعة واحدة والذى يبلغ مليون دولار ، يوفر ألف فصل دراسى لثلاثين ألف طفل . وثمن طائرة نفاثة واحدة ويبلغ ٢٠ مليون دولار ، يوفر ما يكفى لانشاء ٤٠ر٠٠٠ مستوصف طبى لمعالجة المرضى فى القرى .

• • •

لقد كان جلياً وبخاصة على أثر نيل عدد كبير من الدول المتضررة استقلالها فى ظل هذا النظام المجحف ، أن الوضع لا يمكن أن يستمر ، وأن الطريق الذى يؤدى اليه ، هو طريق مسدود تماماً ، ليس فى وجه دول العالم الثالث النامية وحدها ، وانما فى وجه الفقراء والأغنياء على حد سواء . لكن الدول النامية لم تكن تملك الأداة أو القدرة على الضغط المؤثر الذى يجعل لرأيها وزناً . ولهذا لم يكن قرعها للأجراس فى الخمسينات وأوائل الستينات فى نظر الدول المتقدمة ، إلا نداءات سائل ملحاح كسول متخلف عقلياً واجتماعياً يريد منحة لا تكلفه عناءاً ، وليس هو من الشاكرين .

هذا الاهمال من جانب الدول الصناعية أدى الى تكتل بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية فى دورة الأمم المتحدة الخاصة بالتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ . وهو التكتل الذى عرف فيما بعد بمجموعة الـ ٧٧ . وحين ازداد الأمر سوءاً فى مجال التعاون الاقتصادى العالمى وبدأت بوادر انهيار النظام الاقتصادى العالمى وتمسك الدول المتقدمة واخلالها بما وعدت فى برامج مساعداتها فى أوائل السبعينات ، وانهار النظام النقدى العالمى ، وبدأ التضخم يبتلع المدخرات ويوقف عجلة التنمية ، بدأ التساؤل عما اذا كانت الاصلاحات فى مجال المواد الخام والطاقة والتمويل والتنمية والتجارة وتقنين المعونات مجدية .. وما اذا كان الداء الرئيسى يكمن فى هيكل الاقتصاد العالمى نفسه وينخر فى عظامه . وكنتيجة لذلك ظهرت الدعوة لاقامة نظام اقتصادى دولى جديد ..

ولما كانت الدعوة معممة غير محددة ولما كانت الدول المتقدمة قد إعتادت هذه الدعوات الخطابية التى لا تحمل فى طياتها الكثير ، فقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٤ بالاجماع على هذه الدعوة والتى تتضمن اشارات غير محددة عن دعم التنمية وإزالة المعوقات عنها وزيادة نصيب الدول النامية من الانتاج المشترك، وضمان القيمة الحقيقية للأرصدة المالية للدول النامية بعيداً عن التلاعب فى أسواق النقد . وتعويض الدول النامية عن تأثير التضخم الذى أفرزته اقتصاديات الدول المتقدمة واتخاذ الخطوات بواسطة المجتمع الدولى للتخفيف من الأعباء المالية الواقعة على كاهل الدول النامية بسبب ارتفاع



ليسوتو ، ليبيريا ، الجماهيرية العربية الليبية ، مدغشقر ، مالاوى ، مالطة ، موريتانيا ، موريشيوس ، المكسيك ، المغرب ، موزمبيق ، نيبال ، نيكاراجوا ، النيجر ، نيجيريا ، عمان ، باكستان ، بنما ، بابوا غينيا الجديدة ، بارجواى ، بيرو ، الفلبين ، قطر ، جمهورية كوريا ، رومانيا ، رواندا ، سانت لوشيا ، ساموا ، ساو تومى وبرنيسيب ، السعودية ، السنغال ، سيشل ، سيراليون ، سنغافورة ، جزر سليمان ، الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، سورينام ، سوازيلاند الجمهورية العربية السورية ، تايلاند ، توجو ، ترينداد وتوباجو ، تونس ، اوغندا ، اتحاد الامارات العربية ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تنزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اوروجواى ، فنزويلا ، فيتنام ، اليمن ، يوغوسلافيا ، زائير ، زامبيا ، زمبابوى . ماليزيا ، المالريف ، مالى ●

○ وأخيـــــرا : لن يتحقـق للعـــالم النـامى استقلال مـالم يواكبـه إصلاح داخـلى حقيـــقى

وارداتها من المواد المصنعة والمواد الأولية والطاقة والغذاء والخدمات والتكنولوجيا .

• • •

ولو وقف الأمر عند هذا لما حدث الاشكال ذلك لأنها مطالب عامة ومكررة أصبحت الدول المتقدمة ماهرة ـ من خلال خبرائها ـ فى الجدل حولها الى الأبد اذا استدعى الأمر ... ولكن الدول النامية تعدت ذلك الى التقدم بمقترحات عملية محددة ليست من جنس ما تعودت أن تتقدم به فى السابق . أهمها اقتراحان ينفذان كالسهم الى قلب سيطرة الدول المتقدمة ، وهما أولا : تعديل بنود اتفاقية صندوق النقد الدولى والبنك الدولى بما يتلاءم ومصالح واحتياجات الدول الفقيرة ، والثانى : ضمان مساهمة الدول النامية مساهمة فعالة ومتساوية مع الدول المتقدمة فى اتخاذ القرارات . وهكذا

دخل الموضوع فى اللحم الحى ... وارتفعت قرون الاستشعار كله إلا هذا !

أن يكون الحديث عن النظام المصرفى ، وسياسة التبادل النقدى ، وسياسة الذهب ، وسياسة الدولار وزيادة المعونات ، وازالة المعوقات أمام تجارة الدول النامية ، وتطوير مصادر الطاقة وأسلوب زيادة الانتاج الزراعى ، والخطوات الواجب اتخاذها لاستثمار فوائض المال .. كل هذا مقبول وقابل للنقاش ولا اعتراض لأحد عليه . وليكن منبرها مفاوضات كونية تمتد من يناير ٨١ الى ما شاء الله . لكن أن تأتى دول العالم الثالث بقضها وقضيضها حافية القدمين من كل فج بأغلبيتها الميكانيكية ، وعقليتها اللااقتصادية واللاعلمية والتى أوصلتها الى ما هى عليه ، الى داخل حجرات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وتتطاول بالجلوس على مقاعده الوثيرة وتكتسح العارفين بأصواتها .. فلا وألف لا ! .. واذا لم يعجبهم الحال فلينشئوا صندوقاً خاصاً بهم فلن يوافق الكونغرس وكافة الأجهزة التشريعية فى العالم المتقدم ، على ادخال فلس واحد فى خزينة صندوق أو بنك عالمى لا تتحكم فيه ، ولن يتقدم بنك تجارى واحد فى البلاد المتقدمة (وكل البنوك فى البلدان المتقدمة على كل حال) بالمساعدة أو التمويل

وكان هذا باختصار شديد ودون الدخول فى التفاصيل هو سدى ولحمة مناقشات الدورة الختامية للأمم المتحدة التى استمرت لمدة ثلاثة أسابيع ، والدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية ترفض أى حل يتناول من قريب أو بعيد موضوع تكوين هذه المؤسسات المالية أو يخفف من قبضة الدول المتقدمة عليها . وبريطانيا معذورة فى موقفها ، فوضعها فى هذه المؤسسات لا يعكس وزنها الحالى وانما جبروتها أيام كانت الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها . ورحم الله أيام زمان .

وهكذا انتهت الدورة بالفشل الكامل ... وأصبحت المفاوضات الكونية فى العام القادم فى مهب الريح وإن هى قامت أصلا ستكون مجرد اضاعة الوقت فى عالم يموت فيه أطفال من الجوع وآخرون من التخمة ، ويتعارك فيه الجوعى حتى الموت وتدور مصانع تمدهم بالسلاح .

• • •

لكن عناصر التفاؤل كلها متوفرة . واذا كان الصراع لنيل الاستقلال السياسى قد استغرق وقتاً طويلا فلا ينتظر أن يكون تحقيق الاستقلال الاقتصادى أو اقناع الدول المتقدمة بالتخلى عن سلطانها وهيمنتها سهلا ميسوراً . وإدراك الهدف هو أول مراقي تحقيقه . ولقد تكشفت الرؤية للعالم النامى ... واذا كانت فى السابق لا تملك عوامل ضغط فعال وتفتقد الى الترابط ، ووحدة الهدف بينها ، فقد تحقق لها الآن بعض ذلك .. كما أنها أصبحت تملك الآن من خلال النفط والامكانات المالية الجبارة التى جلبها ، قدرة لا حدود لها على الضغط ، وفرض المنطق فى عالم لا يؤمن بمنطق لا تسنده قوة . وقد أعلنت دول النفط موقفها الواضح الى جانب دول العالم النامى متضامنة معه رافضة كل المحاولات المغرية لجرها لاتفاقات ثنائية تبادل النفط بالتكنولوجيا والتصنيع ، مصرة فى كل المواقف الا تتقدم بأى دعم مالى أو تستغل فائضها المالى من خلال المؤسسات المالية العالمية اذا لم يكن لها فيما يصرف رأى مسموع ، وألا تفاوض فى أى تنازلات حول أسعار النفط وامداداته بمعزل عن وجود نظام نقدى مستقر ، وتنازلات موازية من الدول المتقدمة تجاه الدول النامية من حيث المعونات والتسهيلات التجارية ...

وقبل ذلك وبعد ذلك كله لن يتحقق للعالم النامى استقلال أو تنمية حقيقية ما لم يتحقق اصلاح داخلى حقيقى يزيل الفساد والعفن ويخلق جواً نقياً حراً عادلا لانطلاق الشعوب المارة بأعدادها الضخمة الى الاعتماد على النفس والشعور بالكرامة الانسانية .

د. محمد ابراهيم الشوش



مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

الدوحة

العدد القادم والأعداد القادمة



■ الإسلام وقبائل الهوسا في أفريقيا
د. حسن عيسى عبد الظاهر

■ لقاءات العقاد — نعمان عاشور
■ جماعة الضحك القديم — صلاح عبد الصبور
■ الحبوبة: غروب شمس مؤسسة ثقافية — عبد الله على إبراهيم
■ من أين يأتي الخوف؟ — أم أكثم
■ هوامش على مؤتمر الأدباء — عيسى الناعوري
■ محمود شاكر في ساحة الدفاع عن الأصالة — عايدة الشريف
■ فيلم من تونس يثير ضجة بين النقاد
رؤوف توفيق





■ أجاثا كريستي
السيدة الأولى للجريمة
جمال كنافي

■ ١٠ شارع الملكة — عبد السلام البقالي
■ فقهاء .. ولكن بلا عمامة — عبد التواب عبد الحي
■ اتجاه الأدب العربي نحو العالمية — د. عبد الفتاح الديدي
■ حول علم النفس في مجال الجريمة — د. عبد الرحمن عيسوي
■ أسطورة بوابة حمد النيل — يحيى العوض

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام أن تقدم للجمهور الكريم نتاجها الأدبي والثقافي للموسم الثقافي ٧٩/٨٠ م :

١ - المؤسسات السياسية في دولة قطر — تأليف الأستاذ يوسف عبيدات
٢ - تراث قطر وثقافتها المعاصرة — تأليف الدكتور محمد جابر الأنصاري
٣ - ديوان بن فرحان — للشاعر القطري المرحوم حسن الفرجان
٤ - ديوان زمان أول — للشاعر الأستاذ عبد الرحمن رفيع
٥ - **الموسم الثقافي :**

ويضم مجموعة من الأمسيات الشعرية والمحاضرات والندوات التي أقيمت خلال الموسم الثقافي للإدارة سنة ١٩٧٧-١٩٧٨ م

كما قامت الإدارة بإصدار ٤ قصص للأطفال لاقت نجاحًا كبيرًا وهي :

١ - قصة الغيمة السوداء .
٢ - « شعلوب يتعرف على الأرنب
٣ - قصة الاتفاق ٤ - قصة أجمل من قوس قزح

مع تحيات

إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام

أصبحت الحرب النووية تمثل أكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته

الأبعاد الخطيرة للحروب ظهرت بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة

العلم وقضايا السلام والتنمية

د . محمد كامل

وصلت البلاد الصناعية الكبرى الى ما وصلت اليه من تقدم وارتفاع فى مستويات المعيشة بفضل التقدم الكبير فى فروع العلم والتكنولوجيا المختلفة . وفى الوقت الحالى بعد أن تخطت هذه البلاد مرحلة الثورة الصناعية ودخلت مرحلة الثورة فوق الصناعية أصبح للعلم وللمنهج العلمى وظائف جديدة تتصل بخدمة شتى شئون الحياة . ونظراً لهذه المكانة الكبيرة التى أصبحت للعلم فى المجتمع ، يتعين ان تحظى قضايا ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا ودراسة الآثار الناجمة عن استخدامهما فى الأغراض المختلفة بالاهتمام المتزايد

العلم وقضايا السلام

كان من أبرز نتائج تطبيق العلم والتكنولوجيا فى الأغراض العسكرية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ان تطورت صناعة الأسلحة تطوراً كبيراً مما أدى الى نشوء أوضاع بالغة الخطورة فى العالم من اهمها :

- التسابق الرهيب بين الدول الكبرى على انتاج مختلف انواع الأسلحة وخاصة اسلحة الدمار الشامل ، وتضاعف ميزانيات التسليح وزيادة تصدير السلاح الى دول العالم الثالث .
- أصبحت الحرب النووية تمثل أكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته وقد زادت القوة التدميرية للأسلحة النووية المخزونة لدى الدول الكبرى ملايين المرات فى السنوات الثلاثين الأخيرة .
- تزايد السباق على استخدام الفضاء الخارجى والمحيطات للأغراض العسكرية .

وفى ضوء هذه الحقائق يصبح موضوع قصر استخدام العلم على اغراض السلم ورفاهية البشر دون الحروب والتدمير موضوعاً حيوياً . وعلى الرغم من ان الحروب هى ظاهرة صاحبت المجتمعات الانسانية منذ قديم الأزل ، الا أن اضرارها على البشرية لم تاخذ هذه الأبعاد الخطيرة الا بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة . ولا يقتصر اثر الحروب الحديثة كما هو معروف على القضاء على الأرواح البشرية وتدمير ميادين القتال بل يتعداه الى اهدار الموارد الاجتماعية والمالية والثروات الطبيعية للدول المشتركة فى القتال .

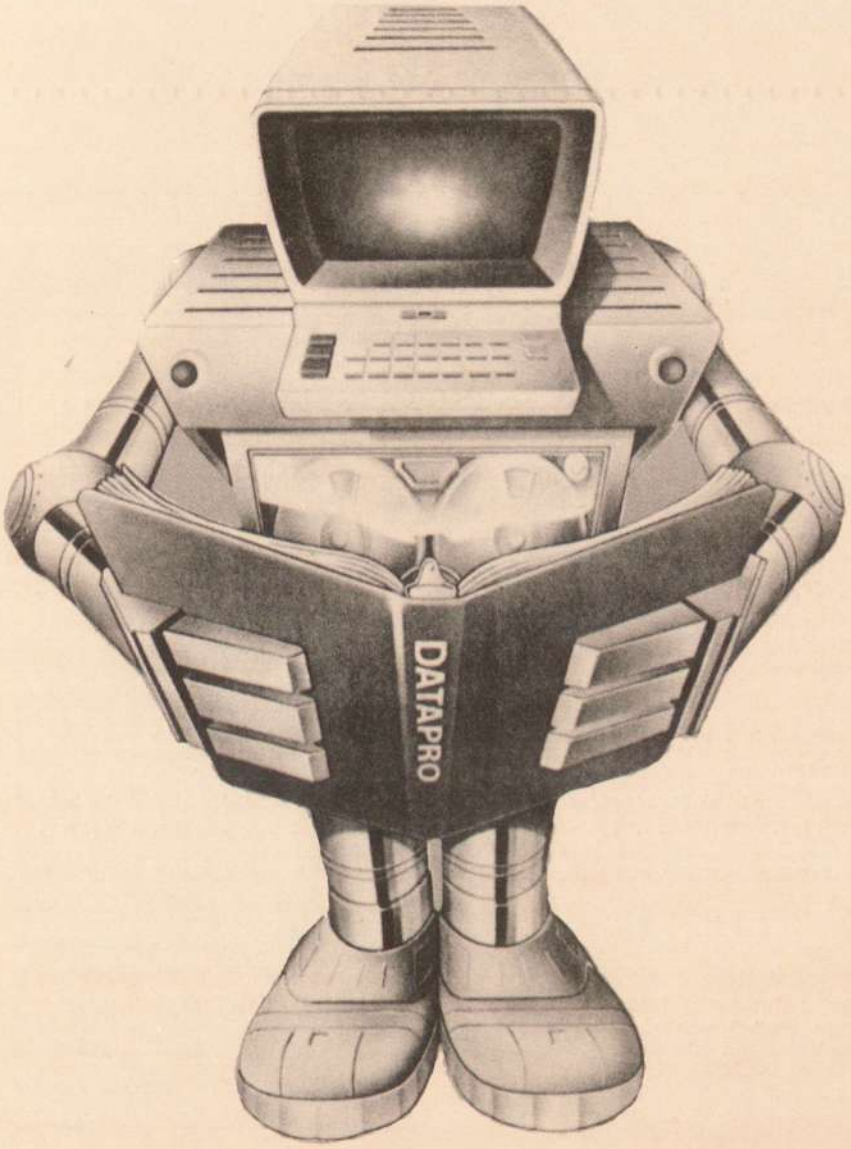
وللوصول الى قصر استخدام العلم على الأغراض السلمية لابد من بذل الجهود المضنية بواسطة الحكومات والمؤسسات الشعبية والعالمية والعلماء انفسهم . ويعود اهتمام العلماء بهذه القضية الهامة الى الثلاثينات من هذا القرن عندما تاسست فى جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة وفى فرنسا جماعتان من العلماء للدعوة الى هذه القضية والى نبذ الحروب ودراسة أسبابها والخطوات التى يتعين على العلماء اتخاذها لحفظ السلام . وبعد الحرب العالمية الثانية وما شهده العالم خلالها من دمار وخراب قويت هذه الدعوة وانتقلت الى معظم بلاد العالم المتقدم .

ومن الضرورى ان تزداد مساندة العلماء لهذه القضية الهامة ، كما ان عليهم ان يفكروا فى النتائج المترتبة على بحوثهم وان يضعوا لانفسهم من الضوابط والمعايير التى تمنع استغلال العلم فى الأغراض التى تتعارض مع مصلحة الانسانية . ولعل ما حدث منذ سنوات قليلة من قيام بعض علماء البيولوجيا الجزيئية من وضع قواعد سلوكية لاستغلال هذا الفرع الخطير من العلم لخدمة البشرية هو علامة مضيئة فى تاريخ العلم .

ان الجهود التى تقوم بها منظمات الأمم المتحدة والدول الكبرى لتحريم استخدام الأسلحة النووية والحد من انتاج الأسلحة الاستراتيجية هى خطوات هامة على هذا الطريق يجب ان تتلوها خطوات اكثر فاعلية .

إن سياسات شراء احدث الأسلحة واشدها فتكا التى تتبعها عديد من دول العالم الثالث والتى تستنزف ميزانياتها المرهقة تحتاج بلا شك الى اعادة نظر . وجدير بهذه الدول ان توجه الأموال الطائلة التى تنفقها على التسليح الى المشروعات الانمائية المختلفة والى بناء المؤسسات العلمية والتكنولوجية التى تساعدها على التقدم العلمى

العلم وقضايا السلام والتنمية



والتكنولوجى بما يضمن الرفاهية لشعوبها . ان ركود تجارة السلاح سوف يساعد على تقليل استثمار جهود العلماء والتكنولوجيين فى البحوث العلمية والتكنولوجية الخاصة بالأسلحة وخاصة فى الدول الكبرى .

العلم وقضايا التنمية

إن تقوية الهياكل والانشطة الاقتصادية فى الدول النامية عن طريق نقل التكنولوجيا اصبح ضرورة ملحة للقضاء على الظروف السيئة التى تعيشها شعوب العالم الثالث . ومن الضرورى ان يكون نقل التكنولوجيا الى هذه الدول موجهاً فى المقام الأول لمزيد من التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف :

- ايجاد مساواة اكبر فى توزيع العائد على أفراد المجتمع .
- القضاء على جميع اشكال الفقر والتخلف .
- خلق مزيد من فرص العمل .
- تمكين هذه الدول من الاعتماد التدريجى على الذات .

إن الدول النامية عليها ان تتجه الى استيراد التكنولوجيات المناسبة لها وخاصة تلك التى تحتاج الى وفرة الأيدى العاملة وان تبتعد ما أمكن عن استيراد التكنولوجيات الباهظة الثمن التى يحتاج تشغيلها الى قلة من الفنيين ذوى المهارات العالية . كما ان عليها ان تهتم بتطوير الصناعات الصغيرة وخاصة الصناعات الريفية لايجاد مصادر اضافية للرزق فى المناطق الزراعية المتخلفة مما يساعد على وقف هجرة سكان هذه المناطق الى المدن والعواصم وما يسببه ذلك من مشاكل ومآسى اجتماعية .

ومن أهم الأمور التى يجدر بحكومات الدول النامية الاضطلاع بها هو تشجيع الصناعات الوطنية وتدعيمها فى وجه المنافسة الأجنبية وانتاج سلع ذات مواصفات ومعايير تتناسب مع كافة الدخول والاحتياجات مع التركيز على مواجهة الاحتياجيات الضرورية لأصحاب الدخول الضعيفة . كما يجدر بها ايضاً ان تتبنى سياسات طويلة المدى للاعتماد على النفس .

إن الانتفاع بأهم منجزات العلم والتكنولوجيا فى تحسين ظروف حياة البشر فى الدول النامية يقتضى بذل جهود ضخمة كما يتطلب اتخاذ عديد من التدابير العملية التى يجب على حكومات هذه الدول ان تسارع بتطبيقها ومن هذه التدابير :

- انشاء الأجهزة الوطنية للسياسات العلمية والتكنولوجية ومؤسسات البحث والتنمية ودعمها .
- توثيق الصلة بين السياسات التعليمية والعلمية والتكنولوجية لتعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا ولضمان تنمية علمية ذاتية متلائمة مع الأوضاع والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية .
- تحقيق اتزان مناسب بين التنمية الذاتية للتكنولوجيا المحلية وبين استيراد الخبرات الفنية وفقاً

لاستراتيجية واضحة توفق بين تنفيذ المشروعات العاجلة وبناء القدرة العلمية والتكنولوجية للمستقبل .

- نشر الثقافة العلمية واشراك عدد متزايد من المواطنين فى تقدير أهمية العلم وضرورته الاقتصادية والحضارية بما يمكن ضمان التاييد والدعم اللازمين للتنمية العلمية والتكنولوجية الذاتية .

المشاكل الخطيرة

كما ان ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا فى الدول النامية جميعاً يقتضى ان تؤخذ قضايا البيئة فى الاعتبار عند تنفيذ المشروعات الانمائية . ومن المعروف ان هذه القضايا تتصل بمسالتين : الأولى مسالة الموارد الطبيعية وتنميتها وحسن ادارتها والثانية : مسالة نوعية الظروف البيئية التى يعيش فيها الانسان ويعبر عنها بصحة البيئة وابرز مشاكلها التلوث البيئى .

ولا يتسع المقام هنا لايراد المشاكل الخطيرة التى تنجم عن عدم مراعاة الاعتبارات البيئية عند تنفيذ المشروعات الانمائية فالأمثلة ماثلة فى جميع انحاء العالم . ويقتضى حسن ادارة الموارد الطبيعية والمحافظة على صحة البيئة : ضرورة اشراك العلماء المتخصصين فى البيئة فى تخطيط المشروعات الانمائية واهتمامهم بانتاج تكنولوجيات ومواد غير ملوثة او مدمرة للبيئة ودراسة المشاكل البيئية المختلفة وخاصة مشاكل التلوث البيئى الناتج عن تاثير الكيماويات وغيرها والمسار الذى تسلكه هذه المواد فى المحيط الحيوى حول الانسان وكذا داخل اجسام البشر .

ويجب العمل على الحفاظ على المستوى الحالى للمراكز الحضرية والريفية والاقلال ما أمكن من الاسراف فى التكثيف الراسمالى للبنية الأساسية مثل بناء الطرق الرئيسية والخدمية على حساب المناطق الخضراء ، واجراء البحوث العاجلة لتحديد الكثافة السكانية المرغوبة فى حالتها الأدنى والقصوى ، مع الأخذ فى الاعتبار الاماكن التعويضية والتصميم المعمارى والتحكم فى التلوث الناتج من وسائل النقل العام والتقليل من استخدام السيارات الخاصة كلما أمكن ، وكذا التحكم فى التلوث الناتج من الأنشطة الانسانية الاخرى .

الحياة الحضارية

تعتبر التكنولوجيا الحديثة احدى منجزات ما يسمى بالحضارة الغربية التى تركت بصماتها على انحاء كثيرة فى العالم وخاصة من النواحى المادية ، بل والى حد ما من الناحية الفكرية أيضاً . ويعتقد كثير من المفكرين انه اذا كانت حضارة الغرب متقدمة من الوجهة المادية فانها ليست كذلك من النواحى الروحية والمعنوية . وعلى البلاد النامية ذات الحضارة العريقة عند اجراء عمليات التحديث بها الافادة من التقدم العلمى والتكنولوجى بما لا يؤدى الى تغيرات اجتماعية مفاجئة فى حياة الأفراد أو هزات فى الأوضاع الثقافية بها . ولهذا السبب يجدر بهذه الدول دراسة الآثار الاجتماعية لكل الابتكارات التكنولوجية التى تستوردها بعناية بما يخدم تقدم شعوبها .

إن ترشيد استخدام وسائل الاعلام الحديثة من راديو وتليفزيون وكاسيت وفيديو ذات الأثر الخطير على الراى العام وخاصة بين اوساط الشباب يعتبر أمراً جوهرياً للحفاظ على تراث وقيم المجتمعات ويجب استخدام هذه الوسائل لنشر الافكار التى تتفق مع القيم الروحية والحضارات المحلية للمجتمعات المختلفة .

كما يجب على القائمين على استيراد التكنولوجيا فى الدول النامية استيراد التكنولوجيات التى تساعد على الانتاج الضرورى والبعد عن استيراد تكنولوجيات وسلع الاستهلاك الترفى التى تساعد على انتشار روح الاسراف والتبذير فيما لا طائل منه . ومن المؤسف حقاً ان نرى مثل هذه السلع تغرق اسواق كثير من الدول النامية الفقيرة فى وقت تحتاج مثل هذه الدول الى استيراد ابسط الضروريات .



العلم وزيادة الانتاج

يواجه العالم فى الوقت الحاضر نقصاً متزايداً فى موارد الغذاء والمواد الخام والطاقة ومن الضرورى ان تتجه جهود العلماء والباحثين وخاصة فى الدول المتقدمة الى اعطاء مزيد من الاهتمام الى البحوث الزراعية التى تؤدى الى زيادة انتاج الغذاء وخاصة فى دول العالم الثالث الفقيرة ، والى استنباط طرق مبسطة لتقليل الخسائر فى الغذاء المنتج سواء بعد الحصاد أو اثناء النقل والتخزين اذ انه من المعروف ان نسباً كبيرة من المحاصيل الزراعية وغيرها تفسد اثناء هذه العمليات او نتيجة لمهاجمة الحشرات والقوارض والطيور .ان تطوير طرق الزراعة والآلات الزراعية التقليدية المنتشرة فى دول العالم الثالث أصبح هو الآخر أمراً هاماً يستلزم اعطاءه مزيداً من الاهتمام بواسطة العلماء والتكنولوجيين فى الدول الصناعية الكبرى إذ أن الدول النامية ليس لديها القدرات العلمية والتكنولوجية لانتاج هذه التكنولوجيات المبسطة بمفردها .

إن من أهم المشاكل التى تواجه العلماء فى الفترة القادمة هو اكتشاف بدائل جديدة للخامات التى تنفذ مواردها والاسراع فى انتاج آلات وماكينات جديدة تكون أكثر اقتصاداً فى استهلاك الطاقة ، وكذلك تحسين تكنولوجيات الطاقات المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها للاقلال من استهلاك البترول والفحم .

كما تزداد الحاجة الى الاهتمام ايضاً باكتشاف طرق رخيصة لاعادة استخدام المواد المختلفة التى تدخل فى تركيب السلع التى يستغنى عنها كالزجاجات

العلم وقضايا السلام والتنمية

والعلب الفارغة والسيارات والثلاجات والملابس القديمة وغيرها من السلع .

العادات الاستهلاكية

على أن من أهم الأمور ان تحاول جماهير المستهلكين وخاصة فى الدول الصناعية الكبرى تغيير عاداتها الاستهلاكية ، ويقتضى ذلك بالطبع عمل حملات اعلامية ضخمة فى هذه الدول لتبصير الجماهير باهمية ترشيد الاستهلاك . أما جماهير المستهلكين فى الدول النامية فانه يجدر بها ان تقتصد وتبتعد عن شراء سلع الاستهلاك الترفى التى لا تتفق والقدرات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

وتتطلب مجابهة كل القضايا السابقة زيادة الوعى بها بين أوساط العلماء والتكنولوجيين وفى المستويات المسئولة فى الحكومات وكذا بين اوساط الراى العام فى الدول المختلفة . ان تقدم البشرية مرتبط الى حد بعيد بقدرة المجتمعات الانسانية على الاستفادة من منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة كما يعتمد على ترشيد وتعظيم هذه الاستفادة لخدمة قضايا الانسانية الملحة .

د. محمد كامل

الاسباب التى تفسر نمو الحضارات وانهيارها

القرآن وضح لنا علاقة الانسان بالحاجات المادية

حوار حول الروح والجسد فى التصور الاسلامى

د .عماد الدين خليل

التقيت به فى المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذى انعقد فى عمان فى نيسان الماضى .. كان يتكلم العربية بطلاقة ممزوجة برطانة فرنسية حيث الأحرف تريد أن تتدافع من الأنف بدلا من الفم !!

وشعرت كما لو أننى أعرفه منذ زمن بعيد .. ولست ادرى ما الذى جرنا الى موضوع (الدين) .. كان متفقاً معى على ضرورة الدين القصوى لمجابهة طغيان المادية الحديثة وموازنته .. ولكنه كان يختلف فى إلحاحه على فكرة (روحانية) الدين وتطهره عن كل ما هو مادى جسدى عابر موقوت .. إن الدين ـ أكد الرجل أكثر من مرة ـ هو تجربة روحية صرفة .. واية محاولة لادماجه فى تيار المعطيات المادية إنما هى تشويه له وطمس على جوهره الأصيل ..

قلت له : ولكن ، كيف يتم اتصاله بالعالم ؟ كيف يتحقق الوفاق المرتجى بين النزوع المادى الأكيد فى كيان الحضارة وبين وضع ضوابط ومؤشرات واهداف روحية لها كى لا تجنح وتضل الطريق ؟

أجاب : يعمل من فوق !!

قلت : دونما أى تماس ؟

قال : إنه بمثابة شحنات كهربية هائلة وانه لقدير ، وهو يعمل من فوق ، على تغيير العالم .. تغيير الانسان بالأحرى .. واية محاولة لادماجه فى البنية المادية للوجود سوف تقود الى إحدى اثنتين . احتراق العالم أو تسرب الطاقة الروحية وضياعها ..

قلت : ولكن لابد من الاتصال اذا ما أردنا التحقق بالخلاص المنشود ..

أجاب : كيف ؟

قلت: فى التصور الاسلامى ليس ثمة ثنائية على الاطلاق .. ليس ثمة فوقية وتحتية بالمفهوم المكانى .. إن الروح تعمل فى قلب الجسد ، تغير وتبدل من خلال قوانين المادة نفسها .. والمادة أو الجسد ، ليسا فى نهاية الأمر قطبين

متناظرين أو خصمين لدودين .. على العكس ، انهما صديقان ودودان يمكن ، بازالة الحواجز التى يصطنعها سوء الفهم ، أو التجربة الخاطئة ، ان ننطلق بهما على خط متواز لتحقيق اعظم الاهداف ..

معطيات القرآن

واذ رايت انصاته المحبب ، سالته : الم تقرأ القرآن الكريم ؟

قال وهو يبتسم : مرارا !!

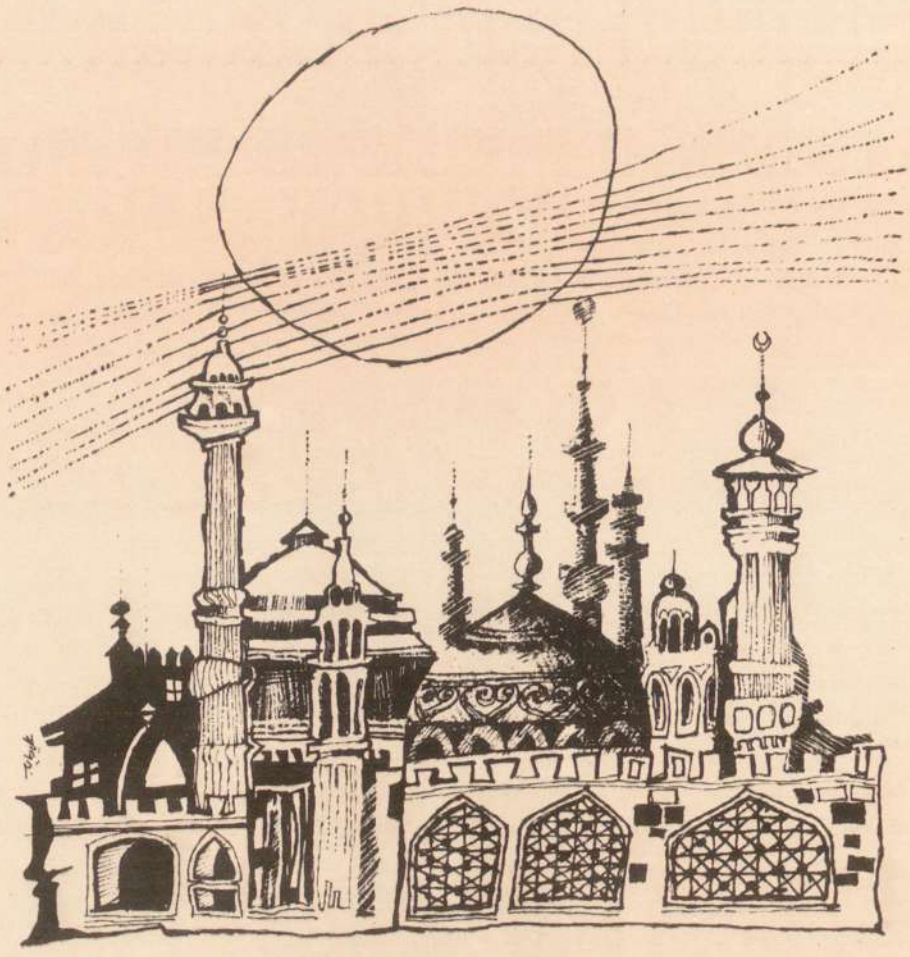
قلت : لا .. ليس هذا قصدى .. وإنما اردت أن اعرف اذا كنت قد تمعنت فى معطيات القرآن الفريدة ، المتميزة ، الواقعية ، فى موضوعنا هذا .. مسالة الروح والجسد .

اجاب : رغم اننى لست مقتنعا باية محاولة تسعى لقسر الروح على أن تخضع للجسد فاننى احب أن اعرف .

قلت : أبدا .. ليس فى الأمر اى قسر وإنما هو التوازن والتداخل والتكامل لتمكين الانسان من التحقق بالفاعلية على الأرض ، ومن ضبط هذه الفاعلية كى لا تجنح او تميل أو ينحرف بها الهوى ..إن القرآن الكريم مادام قد قدم لنا ـ من خلال تسبيح آياته جميعا ـ صيغة للنشاط البشرى على الأرض تتميز بالتوازن والتداخل والتكامل بين قيم الروح والمادة ، انطلاقا من تكويننا الادبى المنبثق عن نفخة الروح فى قبضة التراب ، وحدثنا ،من خلال حشود سوره ومقاطعه عن تجربة المسلم ، فردا وجماعة ، تلك التى لن تاخذ مسارها الصحيح المنسجم مع موقف الاستخلاف فى الأرض ، الا بموازنة متطلباتها الروحية والمادية على السواء .. وعن القيمة الكبيرة التى اولاها القرآن للمسالة الجسدية والمادية مما لا نلمح عشر معشاره فى معظم التجارب الدينية التى جنحت باتجاه الروح ونظرت الى الجسد أو المادة نظرة احتقار واستعلاء .. فان معنى هذا أن أى خلل فى هذا التوازن الذى يؤكده القرآن سيؤول بالضرورة الى تفكك وانحلال الفرد والجماعة وتمزقهما وتشتتهما بهذا الاتجاه أو ذاك .. الأمر الذى يقود ولا ريب إلى تازم فى الفاعلية البشرية وبالتالى فى تدفق معطياتها الحضارية ، مما يعرض (الجماعة) لانتكاسة قاسية قد تاتى عليها من القواعد ..

الحصاد المر

واصلت حديثى قائلا : فى مقابل (حالة التوازن) هذه التى يرسمها القرآن ويدعو المؤمنين الى التشبث بها ، والتحرك وفق مقاييسها الموضوعية العادلة .. تبدو اية تجربة بشرية تجنح باتجاه المادية ، مهملة الروح ، أو تتشبث بالروحية مهملة المتطلبات المادية ، شذوذا وانحرافا لانها تزوير وتزييف للموقف البشرى ، وقسر لتجربة الانسان الفردية والجماعية على التشكل فيما يأباه تكوينها الأساسى القائم على التداخل والتكامل والتوازن بين قيم الروح وقيم المادة على السواء .. ولن تكون نتيجة هذا الانحراف الذى يأخذ فى الحالة الأولى اتجاها ماديا صرفا ، أو علمانيا مزدوجا يفصل بين شؤون الدين والدنيا ، ويأخذ فى الحالة الثانية اتجاها رهبانيا هروبيا يرفض الدخول فى قلب العالم لتغييره بما ينسجم ومهمة الانسان فى الأرض .. لن تكون نتيجة هذا الانحراف إلا تمزيق الذات الانسانية على المستوى الفردى والنفسى الأمر الذى ينعكس على طبيعة النشاط الاجتماعى فيصيبه هو الآخر بالتمزق والتشتت والازدواج وفقدان الهدف ، وانتشار الاحساس السالب بالعبثية واللاجدوى وتحطم الامل بالمصير وسيادة نزعة التشاؤم والانشقاق واللاانتماء .. وهى مسائل تبلغ ، بتصاعدها الدورى المستمر ، درجة من الحدة يغدو معها النشاط الجماعى الحضارى الموحد مستحيلا أو فى حكم المستحيل .. ثم ما تلبث الجماعة أن تجد نفسها عاجزة عن مواصلة الابداع والانجاز ، ويؤول أمرها الى التدهور والسقوط .. وهذا يقدم لنا ، على المستوى التاريخى ، احد الاسباب الكبرى التى تفسر نشوء الحضارات ونموها من جهة ، وتوقفها وتحللها وانهيارها من جهة اخرى ..



حوار حول الروح و الجسد في التصور الاسلامي

الصراع .. نعم .. ولكن

واذ يتشبث كل من هيغل وماركس بمسالة التناقض والصراع فى عالمى الفكر أو المادة ، كمفتاح لتفسير النشوء أو السقوط الحضارى ، وبينما يبلغ تاكيد أرنولد توينبي على مسالة التحدى والاستجابة حدا يصل به الى التزام موقف الصراع والتناقض بين الانسان والبيئة ، نجد القرآن الكريم على اهتمامه بمسالة التناقض والصراع كمحرك للنشاط الحضارى ، وتخصيصه لها المساحات الواسعة ـ يقف هذه المرة موقفا متميزا مستقلا مغايرا تماما للموقف الغربى عموما والذى ينعكس هناك حتى على المستوى اليومى والصحفى ، فتجيىء محاولات الصعود الى القمر والكشف عن الفضاء باسم (غزو) القمر أو الفضاء ، الأمر الذى يفسره بعض المفكرين بأنه امتداد للصراع القديم الذى شهدته قارة أوروبا الضيقة بين الاقوام المتصارعة وبين الأرض الشحيحة !!

غزو الفضاء

سالنى وهو يرتشف كوبا من الشاى ناولته اياه : ماذا نسمى المحاولة اذن ؟ قلت : إن القرآن هنا يرسم خطا جديدا فى تصويره للعلاقة بين الانسان والعالم .. خطا يقوم على الوئام والانسجام والتكامل والوفاق والتجانس والالتحام بين الروح والمادة بين العقل والقلب ، بين الأرض والسماء ، بين الفعل والتأمل بين الغريزة والوجدان ، بين الحضور والغياب ، وبين الطبيعة وما وراءها .. وما دامت قوى الطبيعة وطاقاتها قد سخرت اساسا لخدمة الانسان ومساعدته على الرقى الحضارى فان العلاقة بينهما ليست بالضرورة علاقة قتال وصراع وغزو وبغضاء .. انما علاقة انسجام وتقابل وتواصل وتعاون وتكامل وكشف وتنقيب .. انها علاقة الخادم المطيع بالسيد القدير .. إنه فى هذه الحالة لايصطرع مع خادمه أو يستفزه أو يرفع السلاح بوجهه .. انما (يستخدمه) بحصافة وذكاء لتادية واجباته جميعا فى اجواء تسودها علائق الطاعة والمحبة والابداع ..

ان الصراع بين الانسان والعالم نظرة غربية منفعية صرفة مهما وضعت فى أطر فلسفات شاملة تبدو للوهلة الأولى منطقية ومبررة ، ولكننا بمجرد التوغل فى دقائقها ومنحنياتها فاننا سنعثر على مفهوم الصراع الذى تبنى عليه معطياتها ..

ويحل لهم الطيبات

مالبث أن قاطعنى قائلا : انك تتحدث منذ دقائق عن موقف القرآن ولكنك لم تات بشاهد واحد عن مسالة التوزان هذه

قلت : انها عميقة فى نسيج القرآن بحيث اننا نراها تاخذ أكثر من اتجاه وتتلبس باكثر من شكل .. خذ مثلا تلك الآية التى تتحدث بصراحة عن (الزينة) امرة بنى آدم أن يمارسوها ، واين ؟ عند كل مسجد ، حيث يؤدى الانسان غاية تجربته فى التجرد والانسلاخ عن زخرف الحياة الدنيا (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) تعقب ذلك دعوة صريحة ـ ايضا ـ الى الأكل والشرب شرط الا يبلغ ذلك حد الاسراف (كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين) ، ثم ما تلبث الآية التى تليها أن تتساءل بصيغة استنكارية واضحة (قل : من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .. ان المحرم والمرفوض فى الاسلام هو الفاحشة ، أيا كان مصدرها ، الجسد أم الروح ، وليس ثمة رفض أو تحريم أو احتقار موجه الى الجسد بما انه جسد ، والى غرائزه وحاجاته بما انها غرائز وحاجات تقف فى طريق الروح .. اننا نقرأ فى الآية الكريمة التى تلى ذلك ـ الارتباط بين الآيات الثلاث يحمل مغزاه الواضح ـ نقرأ (قل : انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) ..

هناك ايات كثيرة تستنكر على بعض اتباع الديانات المنحرفة السابقة تحريمهم الكثير من الطيبات التى احلها الله ، وما أكثر الآيات التى تدعو الانسان الى استغلال الطيبات دون افراط أو تفريط .. وإلا لم كان خلق الله سبحانه لها وتفجير خيراتها وتنويعها فى انماء الأرض ؟ (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل ، الا ماحرم اسرائيل على نفسه) (قل : هل شهداؤكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) (قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل الله اذن لكم ؟) (كلوا من ثمره ـ اذا اثمر ـ واتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين) (لو شاء الله ما اشركنا ولاباؤنا ، ولاحرمنا من شيء)

ويتضح من الآيتين الاخيرتين انهما تضعان التحريم الاعتباطى جنبا الى جنب مع الشرك بالله ، وتنعى على أولئك الذين يمارسون هذا التحريف بشأن الحقائق الكونية وبحق انفسهم على السواء ، قائلين ان هذا قدر لامفر منه .. إن كبت الغرائز هو تزوير للموقف الانسانى فى الأرض ، والشرك بالله هو اخطر تزوير ، ومن ثم كانت الممارسة البشرية التى تعتمد التزوير مرفوضة فى القرآن مهما صغر حجمها أو كبر ..

الاهداف الروحية

وإذ وجدت اهتمامه يتزايد واصلت طرح المزيد من الشواهد قائلا : اننا نجد فى الآية التى تقول (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) ان كبت بعض جوانب الغريزة أو المد فى اشباعها ، ، القائم على ضرورة التنويع ، يجيء بمثابة (عقاب) وليس ـ ـ كما قد يتصور البعض ـ قاعدة من قواعد الدين .. على العكس ، إن احدى كبريات البداهات الدينية التى نتعلمها من القرآن الكريم ، أن الحلال هو القاعدة العريضة فى ميادين الاشباع الغريزى جميعا : طعاما وشرابا وجنسا ، وان التحريم مسالة (استثنائية) محدودة

المساحة ، ضيقتها ، حتى أن القرآن ليعتبر توسيعها بشكل اعتباطى كفرا وافتراء على الله (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ..) (ولاتقولوا لما تصف السنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام) ..ويحذر المؤمنين من هذا السلوك المنحرف المعارض لطبيعة التركيب البشرى الذى صاغه وهو أدرى به (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) (ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) .. ويبين لهم أن احدى مهام الانبياء الأساسية أن يجيئوا ـ دائماً ـ لكى يعيدوا الأمور الى نصابها ويقفوا بمواجهة التزوير .. وهنا فى مجال التجربة الغريزية يجيئون لكى يفتحوا الطريق العريض امام متطلباتها مرة أخرى لكى يمضى الانسان المؤمن الى اهدافه الروحية دون أن تعيقه الضرورات أو تفرض على لاوعيه الباطن الف تصور مدمر وخيال منهوم لايعرف شبعا ولاارتواء (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ..) (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ..)

ليست الأديان

وثمة بديهة اخرى نواجهها ونحن نقرأ فى كتاب الله أكثر من مرة نداءه الواضح (كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا) .. بديهة كثيرا ما غفلنا عنها لشدة ظهورها ووضوحها .. ان الله سبحانه قد (سخر) لنا الأرض بما ينسجم وتركيبنا الآدمى من أجل أن نواصل مسيرتنا لاعمار العالم وعبادة الله وحده ، وذلك التسخير الذى يتحدث عنه القرآن فى عشرات المواضع وانه لمن التناقض الفاضح ، المرفوض فى القرآن قطعاً ، أن يركب الانسان ـ من قبل الله ـ تركيباً معيناً ، وأن تسخر الأرض ـ بارادة الله لتلبية متطلبات هذا التركيب ثم تجيء الاديان ، من عند الله ايضا ، لكى تنصب الحواجز وتضع الاسلاك الشائكة بين متطلبات التركيب الآدمى وبين خيرات الأرض ومنافعها المسخرة !! .. إن هذا التناقض يجيء ـ حينما يجيء ـ على أيدى طبقات رجال الدين التى يقوم دورها التاريخى على التزييف ووضع الحواجز ونصب العراقيل فى دروب المؤمنين من أجل أن تضطرهم اضطرارا للجوء اليها وطلب معونتها قبل السماح



لها بالذهاب الى الله .. وهناك يبدأ الاستغلال والاستنزاف والأكل بآيات الله لقاء ثمن قليل..

ولأول مرة اجده يهز رأسه بنوع من الارتياح والاقرار .. وسألنى وهو يمتص من غليونه المزخرف نفسا عميقاً يعرف كيف يثير شهية المدخنين !! اذا كانت هذه (الواقعية) مما يميز الاسلام عن الكثير من الاديان الاخرى فما هى (المثل) التى تميزه عن المذاهب الوضعية ؟

الواقع والآفاق

قلت : إن القرآن الكريم يبين لنا ـ كما رأينا ـ أن علاقة الانسان بالحاجات المادية ـ الجسدية هذه علاقة صميمة ، وأن حبه لاشباعها مركوز فى جبلته التى يشكلها الجسد تماما كما تحركها الروح والارادة والقدرات العقلية (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والانعام والحرث) .. الا أن الخطوة الحاسمة التى يخطوها القرآن متميزا بها عن سائر المذاهب والنظريات ، أنه يضع اهدافا أعلى ، وقيما أوسع وأكثر شمولا من مجرد تضييق نطاق الحياة البشرية فى البحث عن اشباع الحاجات الجسدية ، على ثقلها واخصيتها وضروريتها ، لأن تركيز الهدف النهائى للانسان فى الاشباع وحده يشده الى الأرض ويلصقه بترابها ويبعده عن مواقع الاستشراف الايمانى الشاملة الرحيبة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) ولأن توسيع نطاق المناشط والاهداف البشرية ، وتنويعها ، وربطها بآفاق ارقى واشرف وأكثر سموا يعطى الحياة قيمتها الحقيقية ، ويمكن الانسان من تأدية مهمة الاستخلاف الأرضي بحالة من التوزان الفذ الذى يحميها من الالتصاق بالارض ويمنعها ـ كذلك ـ من التهويم الاتكالى السالب فى سماوات الروح (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب).

قل : أانبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار)..

دائماً فى الصميم

إننا نستطيع أن نتلمس بوضوح موقف القرآن الكريم ازاء (المسألة المادية) عموما ، من خلال حشد كبير من سوره ومقاطعه وآياته .. إن أى حديث عن الكون والطبيعة والعالم ، وتسخير السماوات والأرض .. ومسائل الرزق والكسب والسعى وأمور الغرائز والدوافع الجسدية ، والدعوات المستمرة للتنقيب عن اسرار الطبيعة .. ونداءات التسلح واعتماد القوة المادية ـ الى جانب القوى الروحية ـ لصد العدوان أو تنفيذ متطلبات حركة الجهاد الدائمة .. وتنظيمات الحياة اليومية المتشعبة .. وغيره كثير .. تأكيد واضح تماما للأهمية التى يوليها القرآن للمسألة المادية .. إلا انه يضع دائماً فى صميم هذه العلاقات والممارسات ، ولانقول بمواجهتها اذ أن القرآن يرفض الثنائية والازدواج ، يضع قضايا الروح والقيم والاهداف البشرية العليا التى تحفظ توازن الموقف البشرى فى الأرض وتمكنه من اداء مهمته فى العالم ..

أراد أن يبادرنى بسؤال آخر ، ولكن جاءنا من ينبهنا الى أنه قد حان وقت الدخول ثانية الى قاعة المناقشات لمتابعة البحوث عن تاريخ فلسطين ..

وتذكرت ، حيث بدأ الصراع مناوشاته لقد أنسانى الرجل شرب الشاى !

د. عماد الدين خليل

الشواهد تدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوربية

دور الدين فى توجيه الحياة السياسية والفكرية

الدين فى العالم الغربى

د . عون الشريف

يظن كثير من الناس ان اوروبا التى قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية ، بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع ، بحيث يصبح امراً شخصياً ، قد تخلت بذلك عن دينها ، وانتهجت فى حياتها العامة والخاصة منهجاً مادياً إلحادياً ، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادى فى هذه الدنيا ، دون التفات لدين ، او انتظار لآخرة . وهو ظن واهم ، يحكم على الأمور بمظهرها ، دون التعمق فى مخبرها . إذ اننا لو تجاهلنا للحظة المعنى الفعلى للدين فى حياة الغربيين عامة ، وقسنا الأمور بظواهرها ، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين فى المجتمعات الأوربية . ونظرة سريعة الى الرمز القومى لكثير من الدول الغربية ، وهو العلم ، ترينا أن الصليب هو الرمز الذى يتكرر فيه بشكل أو باخر ، كما هو الحال مثلا فى العلم اليونانى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى والسويسرى والدنماركى والسويدى والبريطانى والنرويجى والايسلندى .

وليس هناك من ديانة فى العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها فى أرجاء العالم مثلما نشطت المسيحية ، ديانة الغرب . وقد انتشرت المسيحية فى القرون الأخيرة انتشاراً فاق اضعافاً مضاعفة كل ما أحرزته من نجاح منذ قرنها الأول . وكل هذا قد تم فى نفس الفترة التى انتصرت فيها العلمانية على الكنيسة منذ حوالى اربعة قرون .

الدين والحياة العامة

والدين مايزال يلعب دوراً كبيراً فى توجيه الحياة السياسية فى كثير من الاقطار الغربية . ويكفي على ذلك شاهداً نفوذ الأحزاب المسيحية فى بعض هذه الاقطار ، مثل المانيا وهولندا وسويسرا والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وغيرها .

وقد اجاز الكونغرس الامريكى قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً .. واقترحت احدى لجان الكونغرس ان يكون الايمان بالله من شروط الالتحاق بالخدمة العامة . ورغم ان التعليم الرسمى لا يدخل فى حسابه بمقتضى الدستور إلا أن الاتجاه العام فى السنوات الأخيرة يميل الى العناية بالدين ، كما برز فى توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ م ، التى تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجيع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة ان امتنا متدينة) . ورغم ان الدستور الأمريكى فى جوهره كان ممثلا للاتجاه البروتستانتى فى فصل الدين عن الدولة ، لأن معظم المهاجرين الى امريكا كانوا من المضطهدين دينياً ، بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانية ، إلا أن روح التدين فى اوساطهم من ناحية عملية ، كانت وماتزال عالية ، بسبب هذا الإلتزام القديم . ومن الملاحظ أن الجمعيات الكنسية والتبشيرية فى طول العالم الغربى وعرضه ، تشكل جهازاً من اقوى اجهزة التاثير الفكرى والسياسى بما تملكه من اموال ، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود .

ويكفى مثلا على ذلك جريدة الكرستيان سينس مونيتور الأمريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم . وهى جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعى سبيلا الى تدعيم المسيحية ، وتذهب الى أن المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته .

باب الاجتهاد

ومن الواضح ان النهضة الأوروبية قد سبقتها ثورة دينية أعادت الى الدين فعاليته فى نفوس عامة الناس . وقد كان الانقسام الكبير الذى شطر الكنيسة الى فئتين : كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية ، التى تمثلها سلطة البابا الروحية ، وبروتستانتية رافضة لسلطته فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الدينى ، كان هذا الانقسام فى جوهره بداية وعى جديد ، استعادت به اوروبا قدرتها على الحركة فى كل الميادين بعد



أن أزالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ أواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع . فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم إلا الطاعة والانصياع ، وقد كانت للكنيسة فى هذا المجال آراء محددة مثل رأيها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس ، وجاليليو ، الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن اجل ذلك اتسم الخلاف الكنسى فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الأثمان ، وهى قريبة من فكرة (ورد العتق) عند بعض المسلمين ، وان كانت تدار على أساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى وسيطرتها على كثير من أوجه الحياة الاقتصادية ، ما يحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة . ولا عجب من ثم ان رأينا الدوائر البروتستانية ترفض كثيراً من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى رأس ذلك تحريم الربا . فقد كان سعر الفائدة هو عصب الاقتصاد التجارى الجديد واتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها اليهود بالتوقف والبوار ، ومن ثم ارتبطت الحركة الرأسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالأخلاقية البروتستانية ، التى تشجع على جمع المال ، ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين . وهى أخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا ، التى تدعو لها المسيحية فى أسلسها .

رفض الشكليات

ورغم أن الانقلاب الدينى الذى تم فى أوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، قد رد المسيحية الى وضعها العام فى حياة المجتمع كما فهمه أهل الغرب ، بان تكون دينا يصل بين الفرد وربه ، ولا يتدخل فى حياة الناس العامة إلا بما يحفظ هذه الصلة بين الفرد وربه . إلا أن حدة الخلاف بين الجانبين قد دفعت كثيراً من المجموعات المثقفة الى الثورة ، لا على الكنيسة فحسب ، وانما على الدين أيضاً ، كما هو واضح من منحى الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وإنكار وجود الله .

ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبى بين العلماء ورجال الدين ، وإنما هو كما قال المصلح الدينى أرازمس (جعل المبادىء الأخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات المسيح وحياته ذات أثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء . إذ ينبغى أن يحيا الناس فلسفة ، لا أن يضعوها موضع جدل) .

ومن المؤكد أنه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ، ويسعى الى تاكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى راسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكا شخصيا يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازاً او مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال امام الشخصية الأوروبية لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى متاهات القرون .

وقد استطاعت بهذه الأخلاقية أن تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد أن أعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها . ولذلك لا عجب ان كان رجال الدين الأوربيون هم طلائع الزحف الأوروبى فى كل مكان ، ولا باس هنا من ان نقتبس مقالة جومو كنياتا رئيس كينيا الراحل فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) (لقد جاءوا والانجيل فى أيديهم والأرض فى أيدينا فاصبح الانجيل فى أيدينا والأرض فى أيديهم) .

وقد يقول الناس ان حركة نشر المسيحية فى العالم على أيدى الأوروبيين ليست فى حقيقتها إلا جزءاً من الحركة الاستعمارية ، ولا يراد بها وجه الدين .

وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم ، لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم ، أو كاداة من أدوات سيطرتهم .

الديـــن في العالم الغـــربى

خطر التقليد

صحيح أن التطور المادى المذهل الذى قاد به الغرب العالم لابد أن يترك آثاره القوية على الفكر الدينى ، ولكن اليس ذلك هو الوضع فى العالم أجمع ؟ ألا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التى تبعد الناس عن دينهم كل يوم ، كما يشكو علماء الدين فى الغرب ؟ ولكنهم هناك يجيلون النظر فى كل ما يجرى فى حياتهم من تطور ، ويعملون أذهانهم مجتهدين فى تطوير فكرهم بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم ، ولذلك نشهد فى هذه السنوات الاخيرة بعثاً دينياً جديداً فى كثير من الاقطار الأوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا محاولة لادخال عنصر التصوف والروحانية التى افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

والقول بأن أهل أوروبا والغرب عامة تخلوا عن دينهم ، فلنفعل مثلهم ، قول فيه من الخطر أكثر مما فيه من الجهل . فان نهضة أوروبا الحديثة نهضة قائمة فى جوهرها على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والأسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الأوروبية .

د. عون الشريف قاسم

الحركة الوجدانيـــة هى أهم حـركة تجديـــد فى الشعـر العـربى

حركة الاتجـــاه العـاطفى ذات النـــزعة الحسية المتـــرفة

بواكيـــر الواقعيـــة جاءت مع انشغـــال الانسـان بالقضـايا الفـردية

حـــول جائـــزة الملك فيصـــل

ما أقرب الماضى إلى الكذب !

مجيـــد طوبيـــا

كان التقاء الحضارة العربية بالحضارة الأوربية الحديثة اعنف هزة أصابت الوجدان العربى ، وذلك منذ ابتلاه الجمود والركود إبان القرون المظلمة من الحكم العثمانى .. وحين التقى المماليك فى مصر على صهوات خيولهم المطهمة بجنود نابليون فى عدتهم ونظامهم المتطور ـ أواخر القرن التاسع عشر ـ ادركوا وادرك العرب فى مصر والشام انهم يعيشون عهداً قد انقضى ، ويجابهون حضارة جديدة عليهم أن يواجهونها .. كانوا كاهل الكهف ، اجبروا على الانغلاق والسبات ، وعندما صحوا وجدوا الدنيا من حولهم وقد تبدلت !! .. تلك الفكرة التى بنى عليها «المويلحى» كتابه المعروف «حديث عيسى بن هشام» حيث يبعث احد باشاوات القرن التاسع عشر ويهبط الى القاهرة الجديدة عليه ويشاهد مذهولا ما طرأ من تغير على حياة الناس !!

فبرحيل الحملة الفرنسية وقيام دولة محمد على ، وكنتيجة للصدمة الحضارية ، بدأت فى وقت واحد حركة إحياء لبعض الوان التراث العربى ، وحركة اقتباس لبعض ثمار الحضارة الأوربية فى كافة المجالات ، فى الاجتماع والتربية والسياسة والأدب والفن .. وظهرت طبقة من المثقفين واجهت منذ البداية مرحلة الانتقال الجسيمة ، بما فيها من صراع وتناقض بين القديم الساكن والجديد المتحرك ، زاد من حدة هذا الصراع ما وقع من تسلط اجنبى ، الانجليز فى مصر والعراق ، الفرنسيون

فى الشام والمغرب العربى ، والايطاليون فى ليبيا !!

فى ظل ذلك الصراع المركب وذلك التطور سريع التغير ما كانت الواقعية لتصلح تعبيراً عن الوجدان المبلبل ، فالواقعية كمذهب إنما تاتى وليدة لمجتمع قد تجاوز مرحلة الانتقال إلى حياة شبه مستقرة .. لهذا نشات مع بشائر القرن الحالى طائفة من الأدباء بلغت حداً طيباً من الثقافة والوعى ، وتفتح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما اتاحه للفرد من شعور بذاته مفقوداً امداً طويلا إبان قهر الحكم التركى .. فالتفت الكاتب والفنان الى وجدانه ، يرقب من خلاله عالمه المتقلب ، ويعبر عن تجاربه الفردية ومشاعره الذاتية باساليب متاججة بالخيال الجامح والحدة العاطفية والصور المستحدثة ..وعدل الأديب عن رصد واقع العالم الخارجى الى التعبير عن وقع هذا العالم على وجدانه هو ، مستبدلا بالنظرة العقلية المتزنة فى الأدب «الكلاسيكى» ذلك الجيشان العاطفى الذى يزخر به وجدانه ، متجاوزاً بالضرورة منطق العقل ، ومقيما علاقات مغايرة عن طريق الخيال ، ومبتدعاً لنفسه معجماً شعرياً خاصاً فيه استخدام جديد لألفاظ اللغة واساليبها يرتبط بايحاءات نفسية ودلالات رمزية بعيدة بشكل او آخر عن الرد الموضوعى للواقع الحادث ..

هذا الاتجاه هو ما عرف عند معظم الدارسين لشعرنا العربى الحديث باسم «الحركة الرومانسية» مستعيرين هذا المصطلح الأوربى ..

د. عبد القادر القط



اكتشاف الذات

لكن الحركة الرومانسية فى الأدب الغربى جاءت تعبيراً عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربى من انماط الحياة الى نمط مناقض يكاد يضع حداً حاسماً بين عاملين مختلفين قبل وبعد الانقلاب الصناعى وحروب نابليون .. بينما ظل التغير الذى طرأ على مجتمعنا العربى وقتذاك محصوراً الى حد كبير فى أبناء الطبقة المتوسطة وبخاصة المثقفين منهم ، وظل ارتباط هؤلاء بالتراث ومصادر الدين ينزع بهم الى شىء من المحافظة يحد من استجابتهم التلقائية لدواعى التحول الكبير .. فتعايشت كثير من الاتجاهات الأدبية المتعارضة ، كل منها يمثل مرحلة حضارية بعينها ، وهى نفس الظاهرة التى مازلنا نلاحظها حتى يومنا هذا !! ..

ولهذا يقترح الاستاذ الدكتور عبد القادر القط تسمية اخرى لهذه الحركة هى «الاتجاه الوجدانى» .. حيث نجد الشاعر فى ظل هذا الاتجاه يرقب بوجدانه مجتمعاً مشدوداً بين اطراف القديم ومشارف الجديد ، وتتنازعه احاسيس متضاربة بين الرغبة والمثل الاعلى ، الارادة والقدرة ، الانجذاب نحو الماضى والاندفاع نحو المستقبل .. الأمر الذى دفعه الى المراوحة بين إطارى القصيدة القديمة والقصيدة القائمة على نظام القطوع ، فاستفادت القصيدة التقليدية واكتسبت مسحة عصرية ..

ولم يكن هذا ليعنى أن الحركة الوجدانية حركة سلبية ، بل هى فى معظمها إيجابية ، تقوم فى جوهرها على رفض الفرد لما لم يستطع أن يتكيف معه من أوضاع لم تستقر بعد ، وعلى فرحة هذا الفرد باكتشاف ذاته ، تلك الذات التى ظلت ضائعة مقهورة فى ظل عهود من الجهل والتخلف والظلم ..

والحركة الوجدانية بهذا تكون فى مجال الشعر أكبر حركة تجديد شهدها الشعر العربى فى تاريخه الطويل ، لا يمكن أن يقاس اليها تجديد العذريين ولا اصحاب الموشحات ..

الشاعرية الأولى

ليس المقصود بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها ـ وإن كان هذا من أهم مظاهرها ـ بل أن يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس ، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس البشرية ..

وقد اتيحت للشعر حينذاك موهبة كبيرة وضعته على أول الطريق الى النهضة الحديثة ، وهى موهبة محمود سامى البارودى .. وإن سبقه بعض الشعراء الذين مهدوا له السبيل ، وعاصره آخرون فى بعض أرجاء الوطن العربى لعل أبرزهم إبراهيم اليازجى (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) ومحمود سعيد حبوبى (١٨٥٠ ـ ١٩١٥) .

حفلت حياة البارودى منذ صباه بالأحداث والتجارب ، فخاض وهو شاب حرب كريت ، ثم حرب البلقان ، ثم قام بدوره المعروف فى الثورة العرابية والذى أدى الى نفيه سبعة عشر عاماً فقد اثناءه زوجه وبعض ولده وكثيراً من أصدقائه فى أرض الوطن !! ... وقد فرضت هذه التجارب والمحن على الشاعر فيه أن يرتد إلى ذاته ، فينبعث فى شعره من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة الصادقة ما لا ينبع الا من التجربة والملاحظة الذاتية للنفس والحياة والناس .. وهكذا اجتمع فى شعر البارودى أسلوب جديد بالنسبة الى عصره ، وتجربة صادقة افتقدها الشعر العربى فى عصور التخلف ..

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : «شعر البارودى حياته ، فكل قصيدة صورة لحالة نفسية من حالاته .. وديوانه فى مجموعه صورة للعصر الذى عاشه وللبيئة التى أحاطت به ، وللنهضة المتوثبة فى الحياة من حوله وللثورة التى تمخضت عنها تلك النهضة ، وللنكسة التى أصابت النهضة والثورة وكلتيهما..»

والثورة المقصودة هنا هى بالطبع ثورة عرابى ..

وحتى العقاد الذى دأب فى مطلع شبابه على مهاجمة التقليد ، يقول عن البارودى : «لا ترى فى ديوان البارودى كله بيتاً واحداً إلا وهو يدل على البارودى كما عرفناه فى حياته العامة والخاصة ، وهذه آية الشاعرية الأولى» .

لقد رد البارودى الى الشعر العربى عنصر الذاتية ، بعد أن كان قد فقده

ما أقرب الماضى إلى الكذب

قرونا طويلة .. لذلك يقول الدكتور القط «إن البارودى - رغم نزعته التقليدية الغالبة - يعد إرهاصا للحركة الرومانسية التى قدر لها ان تقوم بعده بسنين على أساس من الذاتية والتجربة الشخصية ... على أن ذاتيته ما كان يمكن أن تكفى فى صورتها السابقة لكى تمثل طبيعة التطور الحضارى الجسيم فى عصره .. وكان لابد من أن تمتد حركة الاحياء عند شعراء آخرين لتصبح أكثر حداثة» ..

أما التطور فى العالم العربى فلم يجر على مستوى واحد ، فقد سبق الى التجديد بعض الشعراء ممن اتصلوا مبكراً بالثقافة الغربية والعصرية ، فى حين كان شعراء آخرون فى مراحل حياتهم الفنية الباكرة لايزالون يجتازون مرحلة الأحياء الأولى ، منهم فى العراق الزهاوى والرصافى (الذى نشر ديوانه الأول عام ١٩١٠) .. وأيضاً الكاظمى وإن كان قد قضى شطراً كبيراً من حياته فى مصر ..

الفرق الواضح

فى أواخر أيام البارودى وبعده بقليل ظهرت فى أرجاء الوطن العربى كله - كما أسلفنا - طائفتان من الشعراء على طرفى نقيض .. الأولى تطلع أصحابها الى التعبير عن قضايا عصرهم بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأصبحوا - على اختلاف فى الدرجة والموهبة - يماثلون فحول الشعراء فى العصور القديمة ، إذ كان عليهم أن يصورا وقائع مجتمعهم متجاهلين - فى الأغلب - تجاربهم الذاتية .. ومن بين هؤلاء أتيح للشاعر أحمد شوقى أن يصبح مرموقاً على مستوى الوطن العربى كله .

وقد أسرف شوقى فى تجاهل وجدانه ، وأوغل فى شعر السياسة والأحداث والمناسبات حتى ارتد بوضع الشاعر الحديث الى ما كان عليه فى العصر العباسى ، متطلعاً إلى مكانة الفحول من شعراء ذلك العصر !! ..

وكان شوقى يعيش فى منزله على شاطىء النيل ، ويشهد غدو الناس ورواحهم على ذلك الشاطىء ، ويرى الأشرعة البيضاء وهى تخفق .. وفى امسيات الصيف كان يرى تالق القمر على مياهه .. ومع هذا فقد تجاهل ذلك كله فى قصيدة من خير قصائده وابعدها عن المناسبات وهى «النيل» ..وعلى عكس احساس المصريين المحدثين الذين لا يرون فى النيل كائناً سحرياً بل نهراً وديعاً جميلا ، نجد شوقى قد التفت الى الصورة التقليدية التى تصور النهر كائناً جباراً غامضاً ، فيقول :

من أى واد فى القرى تتدفق
وباى كف فى المدائن تغدق ؟؟
ومن السماء نزلت ، أم فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق ؟؟

بينما نجد أن نفس النهر يستحيل عند الشاعر الرومانسى الى رمز صوفى يشيع فيما حوله من طيور وزوارق وأشجار ورياح جواً خيالياً حالماً ، مثال ذلك قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل بعنوان النهر :

سكونه حياة .. ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاه
حين تنام الريح .. والموج يستريح
تخاله نشوان ، فى أفقه النعسان
أقداحه وضوء ، للصمت والهدوء
يمر بالحياة ، وموجه مرآة
أمواجه سجادة ، للطهر والعبادة
تجثو بها الطيور ، وتمرح العطور
وتصبح الزوارق ، كأنها حدائق
مسحورة الأغصان ، فى ربوة النسيان ...

والفرق واضح بين ما استدعته هنا التجربة الوجدانية من معجم شعرى خاص وتصوير وإيقاع ، وما اتسمت به قصيدة شوقى من بيان كلاسيكى اقتضته طبيعة النظرة الموضوعية الى التجربة .

نتصافح نظما

وقد كان الشباب من دعاة التجديد يتوقعون من شوقى أن يتجاوز البارودى ، وأن يجدوا فى شعره من التجارب الذاتية ما يعكس حياة الانسان فى مطلع القرن العشرين .. لكنهم وجدوه - وقد بلغ ما بلغ من مكانة مرموقة بين شعراء الوطن العربى - وجدوه لا يهجر الأنماط الشعرية القديمة ، بل راح يتابع أحداث السياسة ومناسبات المجتمع ، فيمدح ويرثى ويخوض فى الوطن من السياسة لعلها لا تمثل اهتمامه الحق ، ويتجاوز أحداث مصر والعالم العربى الى ما يترامى اليه من كوارث العالم وصروفه !!.. لهذا كله ولغيره اتخذوه هدفاً لحملتهم ضد القديم ، وجعلوا هدمه غاية لبناء الشعر على أساس جديد ... وهكذا قامت حول أدبه تلك الحركة النقدية التى قصد بها أصحابها أن يهاجموا القديم فى أكبر ممثل له ، وأن يلفتوا الأنظار الى ما يدعون اليه من جديد وتجديد !

يقول العقاد فى تقديمه لديوان المازنى مروجاً للاتجاه الوجدانى : «.. حسب الأدب العصرى من روح الاستقلال فى شعرائه أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التى عفرت جبينه زمناً ، فلن تجد اليوم شاعراً حديثاً يهنىء بمولود وما نفض يده من تراب ميت .. ولن تراه يطرى من



محمد على



رشيد سليم الخورى



ميخائيل نعيمة

هو أول ذاميه فى خلواته .. ولا واقفاً على المرافىء يودع الذاهب ويستقبل الآيب ، ولا متعرضاً للعطاء يبيع شعره كما يبيع التاجر من بضاعته»..

ولم يكن ذلك من العقاد استجابة محلية خاصة بمصر وحدها ، إذ نجد «ميخائيل نعيمة» وهو فى بيئة أخرى بعيدة عن بيئة العقاد يشاركه الرأى ، ويقول ساخراً من شعر المناسبات : «... وأصبحنا نتراسل نظما ونتصافح نظما ، ونستقبل أصدقاءنا نظما ونودعهم نظما ، ونهنئهم بعيد أو مولود نظما ، إلى أن لم يبق فى حياتنا ما ليس منظوماً سوى عواطفنا وأفكارنا !!»

الألم الممتع

غير أن الدكتور«شوقى ضيف» يدافع عن أحمد شوقى قائلا : «العقاد محق حين يزعم أن شوقى لا تتضح شخصيته فى شعره .. وشوقى ليس من الشعراء الذاتيين الآنانيين ، وهو لم يتقدم بهذه الدعوى ولم يفكر فيها أبداً ، وانما هو شاعر غيرى ، ولست أدرى لماذا نحجر عليه ولا نجعل له هذا الاتجاه مذهباً اتخذه فى فنه ؟! .. إن من الظلم للشاعر أن نقيسه بمقياس لم يفكر فيه !!»

والحق فان القضية عن شوقى لم تكن قضية اختيار شخصى بين الغيرية والذاتية ، بل كانت انتماء الى تيار فنى خاص يجدد بالقدر الذى يحقق توازناً بين التراث والمعاصرة ..

وموهبة عظيمة كموهبة شوقى لم تكن لتقنع بما فرضته عليها الظروف من اتجاه موضوعى ، إذ وجدت لها متنفساً فى إطار المسرحية ، فالمسرحية تفرض على الشاعر أن يتمثل عواطف شخصياته وازماتها النفسية .. وقد اختار شوقى من موضوعات التاريخ ما تنتهى فيه مصائر الأبطال إلى فواجع تثير المشاعر ، كما اختار من الماسى الفردية ما هو خالص لعواطف الحب وأشواق الانسان .. ففى مسرحية «مجنون ليلى » يلمس وتراً شجياً من أوتار الرومانسية عندما يذكر«قيس»الألم الممتع .. والحق فاننا قلما نظفر بين المراثى الكثيرة قصيدة فى جمال وشجن الأبيات القليلة التى قالها الشاعر على لسان المجنون وقد وقف على قبر ليلى :



إيليا أبو ماضى



جبران

هنا جسم ليلى ، هنا رسمها
هنا رمقى فى الثرى المودع
هنا فم ليلى الزكى الضحوك
يكاد وراء البلى يلمع !

شكوى هند

وقد عاصر شوقى شعراء فى الوطن العربى ، وإن تاخروا عنه فى المولد ، جروا مثله على النهج الكلاسيكى فى أشعارهم الوطنية ، لكنهم التفتوا الى كثير من التجارب الذاتية ، واقتربوا من طبيعة الاتجاه الوجدانى ، مثل الشاعر السورى «خليل مردم» الذى بدأ يتخلى عن التحفظ المعهود عند شوقى ونظرائه والذى استخدم نظام المقطوعة وأكثر من القوافى المتغيرة والألفاظ الدالة على المشاعر والعواطف .. أيضاً «خير الدين الزركلى» .. وكذلك الشاعر اللبنانى وديع عقل .

وقد نما الاتجاه العاطفى ذو النزعة الحسية المترفة على يد شاعر أصبح فيما بعد ممثلا بارزاً لها وهو «بشارة الخورى» أو الأخطل الصغير ، وله قصيدة «هند وأمها» تعد نموذجاً مبكراً لهذا الاتجاه الذى برع فيه ، أحال فيها عن طريق الحركة والتجسيم وبناء العبارة الشعرية تشبيه المقل والوجه بالليل الى صور بديعة جديدة .. وذلك عندما أتت هند تشكو الى أمها :

فقالت لها : إن هذا الضحى
أتانى وقبلنى قبلتين
وفر ، فلما رأنى الدجى
حبانى من شعره خصلتين
وما خاف يا أم ، بل ضمنى
والقى على مبسمى نجمتين
وذوب من لونه سائلا
وكحلنى منه فى المقلتين

لكل العصور

وفى كتابه الرائع «الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر» يوضح لنا الأستاذ الدكتور عبد القادر القط أن هذه المحاولات المختلفة لم تكن إلا البداية لتجديد أبعد مدى وأكثر إزدهاراً ونضجاً قام به أعمدة الشعر الوجدانى البارزون ، من أمثال خليل مطران وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى ، وأحمد زكى أبو شادى تلميذ مطران والذى قدر له أن يجمع شتات الحركة الرومانسية فى «جماعة أبولو» ... وكذلك الملاح التائه على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل .. وأيضاً عند شعر الشام بالمهجر الأمريكى ، الذى جاء استجابة تلقائية لبيئاتهم الجديدة مثل إيليا أبو ماضى والشاعر القروى رشيد سليم الخورى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

لكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، بكوارثها وشك الانسان فى الحضارة والعلم وفى قدرته على الحب والخير .. ومع حركات الاستقلال فى الوطن العربى والأوطان المحيطة به فى آسيا وأفريقيا ،

بدأ كثير من الشعراء ينفرون من الذاتية والوجدانية المسرفة فى انشغالها بقضايا فردية فظهرت بواكير الواقعية فى الشعر والقصة والرواية ، وظهر الشعر الحر لرغبة الشعراء فى الاقتراب من واقع الحياة اليومى .. وإزاء كل هذا انحسرت موجة الاتجاه الوجدانى .. فهل انتهت تماماً ؟؟

يعود الدكتور القط ليؤكد فى نهاية كتابه بأن ما نشهده من عودة فى بعض فنون الأدب الى التجارب العاطفية الخالصة يوحى بأن الانسان فى أيامنا هذه قد ضاق بتعقد الحضارة ، واشتاق الى استقبال الحياة من جديد بعواطفه وخياله وذاتيته .. وعلى هذا يمكننا القول بأن موجة الوجدانية قد عادت ـ ـ كما كانت من قبل ـ تعبيراً فردياً عن العواطف الانسانية فى الأدب والفن ، وفى كل العصور .

مجيد طوبيا

صلاح عبد الصبور



كتابان تعلمت منهما

مشارف الخمسين

أول الكتب انزلقت على أجنحته السحرية مفتونا بجمال اللفظ وسحر الايقاع

كثيرا ما أعود إلى أبى العلاء عندما ينتابنى الحنين إلى صوته الوادع الكسير

آسف أنا ، بل وحزين ، لاغتراب كتابين وذهاب زمانهما، إذا افتقدهما بين أيدى ناشئة أدبائنا ، فلا أكاد أجد لهما ظلا أو صدى . أحد الكتابين عربى والآخر انجليزى وكلاهما يجمع بين دفتيه ذخيرة صالحة من أدب الأمتين .

أول الكتابين وأحقهما بالتقديم ، هو الكتاب المنتخب من أدب العرب .. كانت فيه جملة صالحة من شعر العربية ونثرها على امتداد عصورها . وقد جمعه وشرحه طائفة من أساتذة الأدب على رأسهم طه حسين العظيم . ومن هذا الكتاب وعلى صفحاته المشرقة عرفنا فى سنوات الصبا الأولى أسماء امرىء القيس والنابغة والأعشى وطرفة ، ثم اكتملت سياحتنا المباركة حتى وصلنا الى ساحة الشعراء فى القرنين الرابع والخامس الهجريين من أمثال السرى الرفاء وكشاجم والبستى والطغرائى وغيرهم ، ثم أطلعنا على بعض النابهين من شعراء عصور التخلف كالبهاء زهير وابن نباته ، وقادنا بعد ذلك حتى طالعت عيوننا وجه الشعر العربى القديم المتجدد عند البارودى واسماعيل صبرى وشوقى .

كان الكتاب منجماً مجزءاً ، وكانوا يوزعونه مفرقاً على طلبة المدارس عاماً بعام ، فى المرحلة الثانوية ، اذ لم تكن المرحلة الاعدادية قد استحدثت بعد لتكون أشبه بالجهل منها بالعلم .. وكان منقطعو الصلة بالأدب من الطلاب يخلون بين الكتاب ومثواه فى خزائنهم الصغيرة ، أما الهواة الضالون الذين يفتنهم سحر اللفظ والايقاع فقد كانوا يقلبون أوراقه ، ويقرأون فصوله ، ومن هذا الكتاب ، وعلى أجنحته السحرية كانوا ينزلقون الى عوالم هؤلاء الشعراء

الانسان والحزن

أذكر الآن بعد ما يزيد عن ثلث قرن أنه كان فيه للمتنبى ، سيد القلب فى ذلك الزمان ، بضعة قصائد ، تعي ذاكرتى منها قصيدتان ، إحداهما من شعر صباه فى مدح صعلوك أو سيد اسمه شجاع بن محمد الأزدى ..... من شجاع ؟ ومن محمد الأزدى ؟ لولا المتنبى العظيم ..؟ فى القصيدة لهجة وعظ وارشاد تذكرنا بخطبة قس بن ساعدة الشهيرة ...

وهى أشبه بحديث صبى نابغة الى صبيان أغرار .

أبنى أبينا ، نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا ، وما من معشر
جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
جمعوا الكنوز فما بقين ، ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مطلق

فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق

انى لأنظر الى القصيدة الآن ، فأرى لهجتها تلك هى لهجة الشباب فى كل عصر وأوان ، إذ يرتعدون بين أمل الحياة ويقين الموت ، وقد علمنى العيش أن الانسان أقرب ما يكون الى الحزن فى ساعة الفرح العميق .

الحياة العظيمة

وأذكر أيضاً أن الكتاب قد حوى ميميته الجليلة فى مدح سيف الدولة حين بنى ثغر الحدث مسجلا انتصاره على الروم ، والمتنبى العظيم يبدأ القصيدة بحكمة تقريرية هى أعظم شعراً من كل شعر ، ودعك مما يقولونه عن الخيال والصور ، فهنا صياغة مجردة كالحقيقة ، سامية مجلوة مثل جلاء السموات والأرض :

على قدر أهل العزم تاتى العزائم
وتاتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين الصغير العظائم

ترى .. أعرفت يا سيدنا أبا الطيب أن الناس معادن ، وأن الحياة العظيمة هى إرث الرجل العظيم وامتحانه .



المتنبى



شيللى

ماذا علمنا ؟

أما أبو العلاء المعرى ، ففى ذاكرتى مما حواه ذلك الكتاب قصيدتان ، أولاهما داليته الشجية فى رثاء فقيه حنفى ، يبدؤها بهذا المقطع الباتر كالسيف «غير مجد فى ملتى واعتقادى» ، ولقد علمنا فيها أبو العلاء العظيم كيف نمشى فى الأرض رويداً حتى لا تدوس أقدامنا الجافية رؤوس أجدادنا المهشمة ، ولنذكر عندئذ مع شكسبير مشهد الحفار فى مسرحية هاملت ، ولنقل أن جمجمة قيصر قد أصبحت سدادة لبرميل جعة .

وترد فى الكتاب أيضاً قصيدته الباذخة التى مطلعها :

عللانى فان بيض الأمانى
فنيت ، والزمان ليس بفانى
أليس هذا مطلع يخلع القلب خلعاً ؟ .

أول مسرحياتى

قادتنى هذه المجموعة على امتداد صباى الى قراءة بعض شعراء العربية الكبار الذين كانت دواوينهم فى طوق اليد والجيب . ولقد فتنت بالمتنبى حتى حفظت معظم شعره ، بل لقد كنت كثيراً ما أجسده فى خيالى رجلا يعيش بين ظهرانينا ، بشر من التراب يعود الينا من عالمه الروحانى ، فأحادثه عندئذ ويحادثنى ، ولقد كانت صورته عندى هى صورة الشيخ المتابى الكريم على نفسه وعلى الكون ، فلقد كنت قرأت من أمور كبريائه ما ملأ قلبى إكباراً له ، كان المتنبى يبدو لى خلياً من شئون الحياة العابرة الا التوق الى مثلها العليا ، منصرفاً عن سفاسف الحياة الى عليائها وأذكر أن أول محاولاتى المسرحية كانت قطعه حواريه فى بلاط سيف الدولة ، أبطالها المتنبى وأبو فراس وابن خالويه وسيف الدولة ، يخرج فى أثنائها الشاعر مغاضباً لتلقى به أرض تنكره الى أرض ينكرها ، وقلبه الثقيل معلق بقلعة حلب وأميرها الشجاع الغادر . وتمضى السنون حتى ينقذه الموت من أشواقه المبرحة .

ولكن أنى لى فى ذلك الوقت أن أكتب مسرحية أو شبه مسرحية ، وأنا لم أشهد مسرحاً فى حياتى ، فلم يك فى مدينتنا الصغيرة من مجالى التشخيص إلا داران شديدتا الرثاثة للسينما ، تعرضان بعض الأفلام العربية التى لم تشهد صناعة السينما فى تاريخها الطويل فى جميع بلاد العالم ما يماثلها سوءاً ، فهى أفلام موجة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، حين نما جمهور عمال وموظفى معسكرات جيش الاحتلال ، وبسط سلطانه على أدوات الفن والتسلية ، إذ كان هو أكبر مستهلكيها .

كانت هاتان الداران تقدمان لأفلامهما السخيفة ببعض الحلقات الأمريكية التى شاعت فى ذلك الزمان ، مثل حلقات «زورو» و «عودة زورو» ، -و بأفلام مسلسل طرزان وقردته العجيبة شيتا التى تسللت الى عقولنا كتباً مقروءة قبل أن تغزوهما أشرطة مصورة .

الحنين الى صوته

تلك كانت علاقتى بالمسرح كمبنى ، أما علاقتى به كمعنى ، فلم تزد عن قراءة بعض مسرح شوقى وتوفيق الحكيم . وكلاهما ـ فيما أظن ـ لا يقودان الى فهم المسرح حق الفهم ، بل لابد من تجاوزهما الى المنابع الأولى لكى نقترب من سر الكيمياء المسرحية ، أو سر خلط عناصر الحكاية والشخصيات والحوار ، وصهرها فى بوتقة واحدة .

وقد قادنى المنتخب من أدب العرب ، أيضاً ، الى قراءة أبى العلاء المعرى فى لزومياته .

ومن الغريب أن الطبعة التى قرأتها حينئذ هى ذاتها الطبعة التى اقتنيها الآن وأعود اليها حين ينتابنى الحنين الى صوت أبى العلاء الوادع الكسير . فلم أعرف فيما صدر بعد ذلك طبعة أدق منها وأوثق . وهى مطبوعة فى عام ١٩٣٣ هجرية ، بمعونة أحد محبى العربية ، بالمطبعة الجمالية بمصر ، على ورق بين الأصفر والأبيض ، ودون أن يحتال عليها اسم محقق يزعم لنفسه سبقاً الى فهم النص ، ويثبت اسمه بأحرف أكبر من أحرف اسم صاحب الكتاب ، كما جرت العادة فى هذه الأيام الغبراء .

يد العبث

ولعله مما يفتك ويملأ نفسك اكباراً ، كما حدث لى فى تلك الأيام البعيدة ، افتتاح أبى العلاء لمقدمة لزومياته بقوله:

كان من سوالف الأقضية أنى أنشأت أبنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط (الظلم) ...

فلنذكر عندئذ أن هذه الكلمة المحدثة (الصدق) التى طالما تشدق بها كتابنا المحدثون كان أبو العلاء هو مبتدعها ، ولكن بحق ويقين ..

وحين قرأت أبا العلاء محا من فؤادى كل ما عداه ، فكأنه ختم عليه ألا يحل به



المعرى



محمود سامى البارودى



بيرون

سواه ، وأدركت أنى لو عشت فى زمانه لحرصت على أن أكون أحد تلاميذه أو خدامه ، أقرب اليه طعامه ، وأقوده فى مشيته ، وأميط الأذى عن ثوبه ، ولعلى أجنى لقاء ذلك علماً أو أدباً أو خلقاً .

وتمر الأيام من بعد ، وندرك أن الطريق الذى اختاره أبو العلاء شاعراً وانساناً أكبر من قامتنا التى حناها الزمان ، وأنظف من عصرنا الذى لطخه الكذب الشائع فى الأبواق . فلنقنع إذن بمحبته دون أن نكلف أنفسنا التأسى به .

ومجمل القول هو انه لو لم يكن لهذا الكتاب النفيس من فضل سوى أنه قاد شداة الشعر الى عالم الأسلاف العظيم لكان هذا سبباً كافياً لبقائه بين أيدى طلاب المدارس ، ولكن يد العبث التى عبثت بالتعليم كله محت من المدارس هذا الكتاب فيما محت من علم وخلق ، ووضعت بين أيدى التلاميذ أسوأ النماذج من شعر معلمى المدارس ومفتشيها ، وأكثر النماذج ركاكة من نثر متصدرى الساسة وأشباه الساسة .. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

الذخيرة الذهبية

ولقد كنا فى ذلك الزمن القديم نلمح بعض الشعر المترجم عن الانجليزية والفرنسية يتناثر فى أعمدة الصحف والمجلات . فمن ذلك ترجمة قصيدة «مرثية فى مقبرة ريفية» لتوماس جراى ، وقصيدة «الى الوقواق» لوردزورث وقصيدة «الى وعاء اغريقى» لكيتس ، وقصيدة «أغنية الى الرياح الغربية» ، وقصيدة «الى قبرة» لشللى العظيم ، فضلا عن بعض قصائد للامارتين وفاليرى من الفرنسيين .

وكان بعض الأبناء النوابغ الأول للجامعة يعكفون أحياناً على ترجمة كاملة لبعض الأعمال الشعرية ، اذ ترجم لويس عوض «بروميثوس طليقاً» لشيللى ، والحق بها قصيدته الطويلة «أدونيس» التى كتبها فى رثاء جون كيتس ، كما ترجم عبد الرحمن بدوى «تشايلد هارولد» لبيرون .

ولقد انبعث لدى الناشئة الأدبية أو بعضها عندئذ الشوق الى مطالعة ما يزيد عن ذلك القدر الضئيل من شعر سوانا من الأقوام ، ووجدنا بين أيدينا كتاباً من مختارات شعر اللغة الانجليزية كانوا يوزعونه فى الجيل الذى سبقنا على طلاب المدارس ، فأدركنا نسخاً مستعملة منه على سور الأزبكية حيث تباع الكتب القديمة ، واشتريناها بقروشنا الضئيلة .

كان ذلك الكتاب هو كتاب «الذخيرة الذهبية» الذى جمعه ف . ت بالجريف فى أواخر القرن التاسع عشر ، عصر غلبة الذوق الرومانتيكى ، قبل أن يثور الشعر الانجليزى على نفسه ، وتمتد اليه مغامرات التصويريين أو تجريب «اليوت» ، وكان آخر الأصوات العظيمة فيه هو صوت اليزابيث وروبرت براوننج

الحساسية الشعرية

كنت أقرأ مستعيناً بالقاموس ، ومازالت نسختى القديمة من قاموس «الياس» تصاحبنى منذ خمسة وثلاثين عاماً ، أمد اليها يدى بكل الحب القديم رغم جوارها فى مكتبتى لمورد البعلبكى وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر ،

عرفت من قراءتى فى ذلك الزمان للمنتخب من شعر الانجليز ، أو الذخيرة الذهبية ، صورة الشعر الانجليزى منذ بدايته فى عصر تشوسر حتى القرن التاسع عشر ، ولا أزعم أننى عرفت الصورة بدقائقها وتفاصيلها ، فما الى ذلك من سبيل ، وأنا لا أدعى لنفسى معرفة وثيقة إلا بأدب العربية ، ولكنى عرفت الصورة التى قد تصلح لشاعر أجنبى عن هذه اللغة ، يريد أن يدرك أبعاد الحساسية الشعرية فى هذا الأدب ، فقرأت بعض سونيتات شكسبير لأعرف منها الشكل الفنى للسونيتة ، وعالمها الأثير ، وأحببت عالم كولردج الذى تمتزج فيه الفلسفة والشعر والوهم ، وأظن أن قصيدته «الملاح القديم» .. ستظل من أحب قصائد الشعر الى نفسى ، كما أحببت شللى ، شجرة الورد الحساسة النقية . أما بليك فقد اكتشفته فيما بعد ، إذ أن بالجريف لم يقدمه بكل شاعريته الجموح .

الزمن المفقود

هذا أنا بعد ثلاثين من السنين أجدنى شتيت القلب بين عالمين ، يدركنى الملال فى بعض الليالى ، فأمد يدى الى ديوان من دواوين شعرنا القديم ، أتأمل الصنعة الذكية عند بعضهم ، أو الالهام العميق عند آخرين ، أو أمد يدى الى مجموعة من شعر سوانا من الشعراء ، الانجليز أو غيرهم من أمم الأرض مترجماً الى لغة أعرفها ، فأتأمل عندئذ امتزاج الصنعة والالهام كما تمتزج الكأس الشفافة برحيقها .

وأذكر عندئذ أن كتابين عظيمين قد فتحا لى هذه الكوة المضيئة «المنتخب من أدب العرب» لطه حسين وزملائه ، و «المنتخب من شعر الانجليز» المشهور بالذخيرة الذهبية لبالجريف .... أذكرهما وتنهمر ذكريات الزمن المفقود أمام عينى الكليلتين .

صلاح عبد الصبور

بعض..
هذا.. العقيق..!

شعر : فتحى سعيد



«بئس الليالى سهرت من طربى
شوقاً إلى من يبيت يرقدها ..»
«المتنبى»

بئس تلك الحديقة
لوحة ليس إلا .. من خيال مهيض
عوسج يتدلى من فوق سور المدينة
تحت قبو السكينة ..
والرياح العتيقة
عازف نازف فى فضاء عريض
والنجوم الرقيقة
دمعة أجهشت فى عيون القريض
لقطة حشرجت فى صدور الخليقة .!

● ● ●

بئس تلك الحديقة
مات فيها الشجر
غاب وجه الحقيقة
وتوارى القمر ..
عن سمائى وهاجر
لبلاد سحيقة
أن لى أن أسافر ..
رحلة لا تراها غير كف غريقه . !

● ● ●

رغم طول السنين
كلما ضمنا منحنى فى الطريق
أو مكان سحيق ..
ضاق بى بعد حين . !
كان نعم الرفيق
لم نعد نلتقى مرة أو نريق ..
علنى أرتوى ليلة
أو أفيق . !

● ● ●

من دمى .. فاشربوا
بعض هذا الرحيق ..
واشهدوا .. من دمى
كان هذا العقيق !

فتحى سعيد

شهيات



د. يوسف إدريس

الرأس والحل والنظام

اكتب لأنى أريد فعلا أن أكتب . مرة أخرى احتشد وينتقل ما بالراس الى الأصابع والأنامل وتستحيل (النغمشات) الى اشياء مجسدة لها معنى . أهى لعنة؟ أهى نقمة ؟ أهى نعمة ؟ أهو قدر يحيط عنقى بطوق من حديد لا يعرف حداد فى العالم كيف يحطمه ؟ قائد انا أم مقود مغمض العينين غير مطلق السراح الى ابد محدد لم يستشرنى أحد أبدا فى نوعه أو اتجاهه أو تحديده .

وقف فى المنتصف رافضا أن يتحرك خطوة حتى يعرف الى اين ، حتى يعرف لماذا ؟ حتى يرى ان كان هناك مجال للرؤيا حتى يبصر ، ولو بالبصيرة يبعده .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

لا تتمرد .

قال ما انا بمتمرد ، ان هو إلا سؤال . السؤال أيضا تمرد .

قال : حين يصبح السؤال تمرداً تصبح الكتابة معصية وخطا لا يغفر .

سم واكتب .

قال : «بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير» . وسكت .

إقرا .

قال : ما انا بقارىء .

إقرا .

قال : ما انا بقارىء .

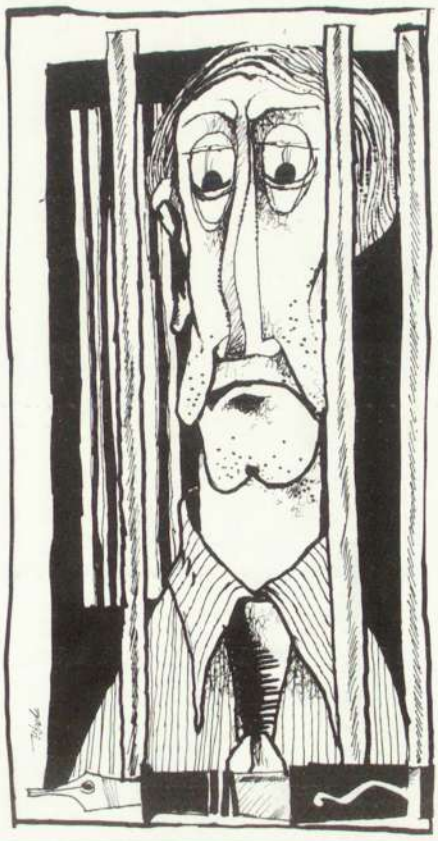
«إقرا بسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ، إقرا وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم» .

قال : صدق الله العظيم . الكتابة أمانة . وقد عرضت الأمانة على الأرض والسماء فابين أن يحملنها وحملها الانسان . ما اتعسه ، وما اخطرها من أمانة .

●●

ولكننى فعلا مشتاق ان اكتب ، مثلما انت تشتاق ان تاكل او تشرب او تهفو بجنون الى اخذ النفس اذا غطست فى الماء وعاندت نفسك واردت ان تظل أطول الوقت مكتوم الأنفاس تحت الماء . ما احلى ان ترفع الراس المختنق فجاة وتدخل صدرك أول شهقة هواء .

شهور ثلاثة والقارىء الكاتب مشتاق للقارىء القارىء ، وكل شىء يحول بينهما الى حد ان لا شىء يحول بينهما . الثانى ما عليه إلا ان يقرا . الأول مشكلته ان عليه أولا ان يكتب ، وان يكتب لا ليرى للناس صورته الباسمة المنقوشة ، أو



يقول للعالم : انا هنا . أو من اجل ان يطالع القارىء كل يوم ، كل يوم – يا الهى – بكلام ، اى كلام . لا . لابد ان يكتب ليضىء شمعة . ليسوق للناس كلمة طيبة ، ليضع شيئا يستحق عناء ان يمسك المواطن بالصحيفة ليفتش فيها عن شىء نافع أو دواء ناجع .

الحقيقة ان أسهل شىء فى الدنيا .. كما ترون .. ان يكتب الانسان .

وأصعب شىء فى الدنيا كما لابد تعرفون ، ان يكتب الانسان .

وبلادنا ووطننا الصغير والكبير ، ومواطننا كبر ام صغر يمر بمرحلة تدور لها الرؤوس ولو كانت مصنوعة من حديد .

وانت ككاتب ليس مفروضا ان تكتب لتشكو مما يشكو منه الناس ويعرفونه ربما أعمق منك .

وليس مفروضا ان تكتب لتحاصر العينين بانتقاداتك بحيث لا يعود الانسان يعرف من أين والى أين ؟ .

أنت لا تكتب لأنك تفكر . وليس أى فكر أو أى تفكير ، لكنه ذلك النوع الذى يسمونه الفكر المضىء أو الفكر القائد .

الفكر الذى وجد الحل ويراه ، واضحا وضوح الشمس ، بحيث ما عليه إلا أن يقنع الناس به .

فاذا لم يكن الحل هناك ..

واذا كانت الأمور قد إستغلقت وتعقدت ، بحيث ، حتى لو كنت تملك ذلك المفتاح الواحد السحرى الفعال – كلمتك – لم تعد قادرة على فتح ما استغلق ، أو فقدت ما بها من سحر .

الحل إذن أن تسكت .. !

ولكن الكارثة أن السكوت ليس هو الحل ، فلابد شئت ام ابيت أن تظل تفكر ، فانت عضو تفكير ، اذا تعطل أضر ، واذا توقف استحق البتر .

●●

أسهل شيء في الدنيا - كما تـرون - أن يكتب الانسان ! لماذا فرطنا في أشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيما ؟

أيكفى هذا ليعذرنى القارىء فى الشارع فى العمل فى البحر والبر وكل مكان ، الذى يسال : لماذا لا تكتب . وأين انت . وهل انت ممنوع او مصادر ؟

أيكفى ما سبق وذكرته إجابة تشفى الغليل ..!

لا اعتقد .

فانا شخصياً غير مقتنع .

لابد ان هناك شيئاً اكبر واخطر واشمل هو الذى يخيم علينا جميعاً ولا يكفى قلم واحد ، بل لا تكفى كل الأقلام مجتمعة ان تقنعنا بوجوده او بعدم وجوده ، فحنانيكم ارجوكم . اذا لم اكن عند كل حسن ظنكم فلا تسيئوا بى الظن ، واذا كنت عند بعض حسن ظنكم فلا تعتقدوا ان هذا ـ فى وقتنا ذاك ـ شىء مهين .

يا صديقى المواطن . بطل والله انت ، واى بطل .

ليست البطولة أن تجيد التصويب وتذهب الى ساحة الوغى أو عند الكمين وتقتل اول عدو تصادفه .

هذا فى رايى هى البطولة الصغرى .

البطولة الكبرى حتى ليس أن تعبر المانش أو تجيد سباحة المسافات الطويلة . البطولة الكبرى أن تغرق انت البحر .

وبلادنا فى مرحلتنا هذه بحر عالى الأمواج صاخبها .

بحر وكانما يريد أن يبتلع الناس والزرع والأشياء وكل ما على سطح الأرض .

ولكنا ، بوجودنا هذا الذى يبدو فوضوياً وبلا معنى وشديد البشاعة ، نصنع المعجزة نغرق البحر فعلا .

لا ... نحن لا نغرق .

نحن نغرق (بضم النون) .

تجرح أجسادنا وتمزق ثيابنا ويصيب الرشاش كرامتنا ، ونفرط فى اشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيماً .

ولكنه كفاح (البطل) ، ليعيش ، ليغرق الحفر والبرك والمستنقعات والبحور .

بطل انت يا مواطنى العزيز . وانت تخرب ما أصلحه الدهر بطل ، وانت تصلح ما خربه الدهر بطل ، وانت على اى الحالين لازلت تعيش بطلا .

ولا اقول هذا نفاقاً لك او تعزية .. فانت فى غنى عن النفاق لأنك فى لحظة تحدد الحياة والموت ، وفى غنى عن التعازى لأنك تعرف أن المعزين هم المنافقون السائرون أو الذين يريدون السير وراء نعشك .

متاكد انا تماماً انك تفهمنى ،

برغم انى اتكلم ، وكانما (باللاوندى) ولكنى متاكد انك تفهمنى .

فانا ، بفوضاك ، افهمك .

بكل منا وقد راح يخترع لنفسه قانون وجود ، افهمك ، بل وينتج عن ملايين القوانين ، ويا للغرابة ، قانون واحد يحكمنى ويحكمك وكلانا عليه نتفق .

وانا مثلك لم امت .

وانت مثلى لا تعيش كما تريد وكما يجب.

وانا وانت البطل .

● ●

يخيل إلي أن ما من شعب عاش على سطح الأرض ومر بما مررنا به من تجارب وازمات .

خذ عصر المماليك أو عصر البطالسه .

خذ اى عصر ...

واقرأ كيف جلوزناه واجتزناه ولازلنا باقين وسنظل الى ما شاء الله نبقى .

انا هذه المرة لا اكتب لأشرح وضعاً سياسياً استعصى علي أو علينا فهمه .

ولا لأثير مشكلة أو اثور على مشكلة .

انا فى الحقيقة اكتب لأونس نفسى .

واونس من يريد الونسة معى .

اكتب كما أريد أن يكتب لى واحس به طبطبة حنان صادقة ، تخفف عنى ، تشجعنى ، تطمئننى ، تنشقنى جرعة اكسجين أرى بها المستقبل لى أو على الأقل انفتحت ابوابه أمامى .

ومادامت العبرة بالنوايا ، فليحاسبنى الله سبحانه على نيتى ، أو فليغفرها لى فما اكثر ما تكون النوايا الحسنة ذنوباً على الطريق .

● ●

بالأمس سالنى ابنى الأكبر (إيه) النظام ؟ والتعبير احد نتاجات المرحلة ويعنى شيئاً اكثر دقة من قولك : ماذا سيحدث ؟

وكانما فوجئت بالسؤال ، فقد اضطربت .

وكان السؤال ليس همى صباح ومساء

قلت : أن يكون هناك نظام .

ولكنى ايضاً وانا اقولها كنت افعل وكانى اعتذر او اقول : يا بنى لست ادرى

وامس ، سالت ابنتى ذات السنوات الخمس : ما هو الحل يا نسمة ؟

قالت الشقية وهى تحاورنى : حل (إيه) .

قلت : يعنى الحل . اى حل ..؟

قالت بتانيب : الحل بيبقى حل مسالة فانت (مش) عارف المسالة (وعايز) تعرف الحل (ايه اللخبطة دى) ... !

شكراً يا نسمة . فعلا لكى نعرف ما هو الحل لابد أن نعرف ماذا نريد حله .

أو بالتعبير الرياضى يا نسمة لابد أن نعرف (راس) المسالة ، لكى يا عزيزتى وحبيبتى نحلها .

فاذا لم نكن نعرف الراس ولا المسالة ومع هذا فنحن نحلها وماضون فى حلها ، وببطولة نفعل ، ونوجد ، ونكتب ، الا يعد هذا ما يشبه المعجزة ؟!

بل المعجزة الأكبر والتى لم تحدث ابداً فى التاريخ ولكنا لابد أن نحدثها هى ان نعرف من خلال حلنا لمسالة لا نعرفها، راس المسالة .

أجل يا بنى ويا ابنتى حينذاك فقط نعرف ما هو النظام وما هو الأصل .

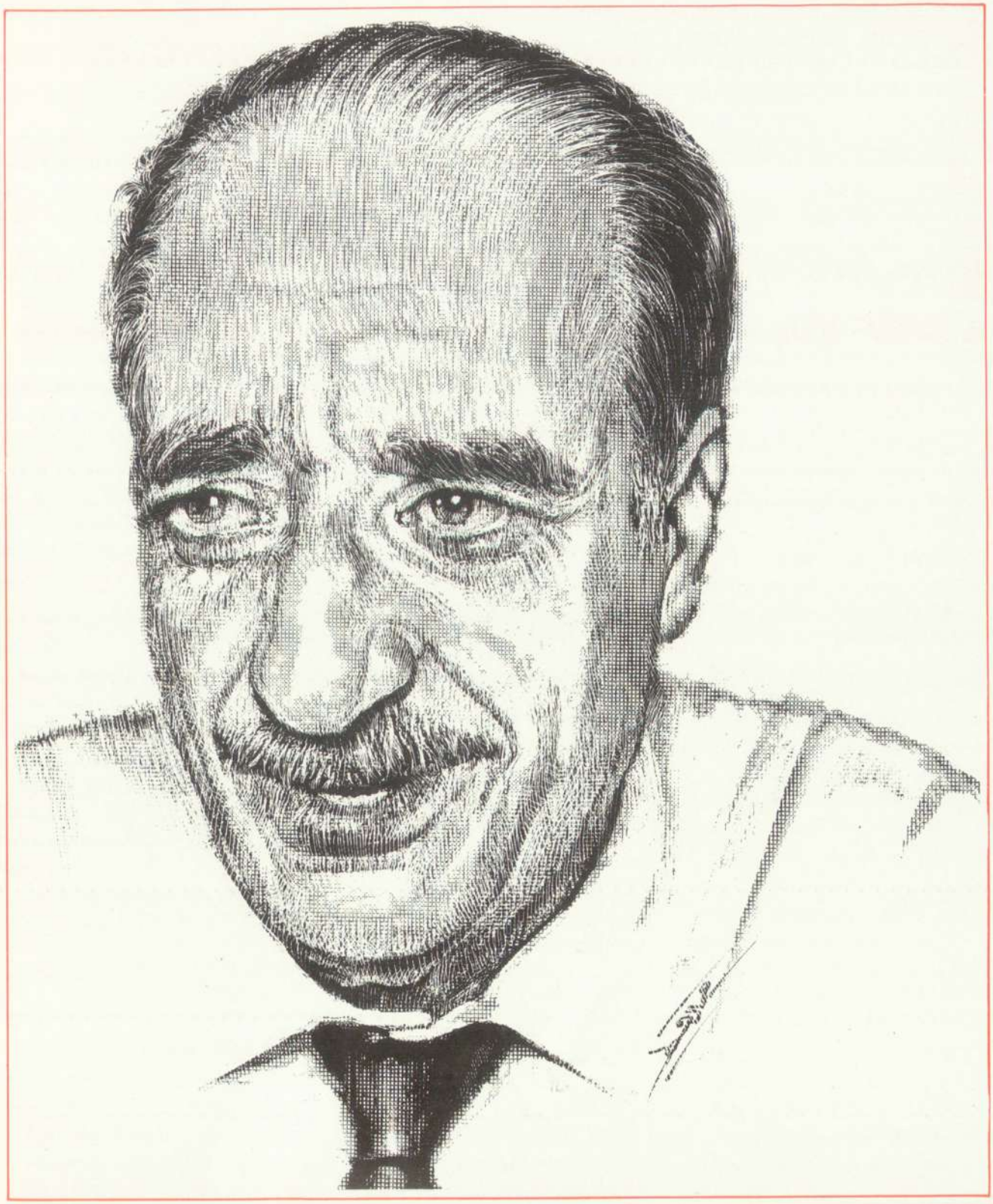
قد لا تفهمانى ، ولا تفهمونى ولكن ، يكفى احساسكم بى واحساسى بكم .

د. يوسف ادريس



عايـــدة الشـــريف

من مذكـــرات شاهـــدة ربـــع قـــرن



الشاعر عبد الرحمن صدقى

عاشق الحياة الأول

أحس بالحياة تهتز فى فؤاده ، فتغنى بها فى شعره

عندما أصبحتْ نافذته التى يطل بها على العالم بعد المعاش

عشق الحياة فتاملها .. راها فى ارجاء الدنيا تموج وتتحرك فرحل وراءها .. قرأ عنها فادركها .. وكتب عنها فاجاد .. واحس بها تهتز فى فؤاده وتترنم فتغنى بها فى شعره .. ولكنه رغم ذلك لم ينس الموت منذ وفاة والده ... منذ ذلك اليوم، لا يطمئن إلى الحياة .. ولا يثق فى الرجاء .. لم يتمن الموت ، ولكنه لم يفزع منه .. بل إن الموت بعد ذلك كان محركه الأول لعشق الحياة وقول الشعر ايضاً .

هذا هو الشاعر عبد الرحمن صدقى .. الذى من معرفتى به تاكدت انه من شدة حبه للحياة .. قبلها بنهايتها .. قبلها باقتناع خفى بان الموت بعد حياة .. فرغب لنفسه أن تكون الحياة المعاشة استمراراً للحياة المتوقعة .. فاسلم نفسه لشيطان الحب فاتصل فيه النهائى باللانهائى فى نشوة العشق الالهى .. وصارت حياته عشقاً فى عشق .

وقبل أن أرسم شخصية صاحب هذه الفلسفة ـ بين قطبى الحياة والموت ـ أعود إلى بداية معرفتى بها ، والتى تحولت من الطفولة والمراقبة الى الاكتمال والتعرف المباشر ..فقد كان واغلب أفراد اسرته وفيهم الدكتور عبدالرزاق صدقى وزير الزراعة السابق ، جيراناً لنا منذ طفولتى بجزيرة الروضة .. عندما وعيت كنت أرى صوره فى المجلات والجرائد وعندما أراقبه من شرفة منزلى المطل على منزلهم بشارع الاخشيد .. كنت ارسم له فى خيالى الف صورة وصورة .. ومرت الأيام والسنون فاذا بى اراه ماثلا امام عينى كاستاذ محاضر فى معهد الفنون المسرحية ، وكان قد ترك مسكنه فى الروضة من زمن ليمتلك مع زوجته الايطالية الثانية بيتاً صغيراً بحى مصر الجديدة ..

وكنا بين المحاضرات نتجاذب اطراف الحديث احكى له عن ذكرياتى عنه واستفسر ويحكى لى .. فتنشأ الصداقة .. ولكنها تتوطد حين اتخرج واعمل بالتليفزيون وهو مستشاره الفنى .. ويحال الى المعاش فيدعونى لزيارته .. فاصبح نافذته على العالم التى يطل من خلالها على العالم .

من خلال هذه المراحل المتعاقبة .. ازعم أننى أستطيع تصوير هذه الشخصية الأدبية التى قالت عن نفسها لقد عشت أديباً ومت أديباً . وقال عنها العقاد : «إنه من أسلم نفسه الى شيطان الذوق اللماح غير مدافع .. وانه هو الشيطان الذى يلمح مسارب الفطنة الخبيئة بين المعانى والألفاظ ، ولا ينتظر عليها حتى تفيض باليدين وتمتلىء بالشعاع الثاقب من كلتا العينين . فهذه الفطنة الخفية هى الصوفية الفنية التى انتهت إلى عبادة الجمال ورياضة القلب على جوار قريب من رياضة الروح»

أروع عمل

واذا كانت معرفتى بالرجل منذ الطفولة الى الاكتمال قد عرفتنى كثيراً من جوانب شخصيته تجاه الحياة .. إلا أن زيارتى له فى بيته وهو محال على المعاش قد جلت هذه الشخصية واضاءتها اكثر مما عرفتها من قبل .. فقد انفض عنه الصحب ـ فى هذه الأوقات ـ الذين كانوا فى الواقع يصاحبون مقعده وليس منزلته .. فتبدى امامى على حقيقته الجميلة دون مواربة او قيد .. فعرفت فيه الوحيد المتوحد بغير سخط او تمرد .. فها هو يهش لكل زائر .. محتفياً بكل عابر يرجع ذلك الى أن إيمان هذا الرجل متوافق مع فلسفته الهادئة .. لذلك يمتد له العزاء بألف جسر وجسر .. تتوارد على ذهنه رجع صفحات من الماضى البعيد والقريب ، من غير توقيت ولا ترتيب .. إنها صفحات عامرة لقد أحب كثيراً وبلى الحب العاطفى العميق على مختلف ألوانه وشتى طعومه فيذكر لى حبائبه الواحدة بعد الواحدة .. ثم يشرح لى كيف تتعاطف الانجليزية واليابانية والأمريكية والأفريقية .. ثم يستطرد وهل فى الحياة أمتع من الحب المتعة فى أن تكون محباً ، والمتعة فى أن تكون محبوباً .. والمتعة فى الحب نفسه بفكرته ومعناه وجوه .. هذا هو الحب

المثلث الرحمات .

وكثيراً ما كان يسالنى هل تعرفين يا عايدة ما هو اروع عمل قمت به فى حياتى واستفهم فيقول : إنه عدم الانجاب .. اننى الآن حر طليق استيقظ فى الوقت الذى يحلو لى .. ادور حول «فيلتى» الصغيرة صباحاً .. استنشق الهواء الذى لم يشمه احد من قبلى ، ارنو الى البراعم وهى تتفتح .. اداعب كلابى .. اقرا .. إتثاءب .. دون انشغال على ولد نجح او رسب .. سافر ام بقى .. تزوج ام طلق .. إنها الجنة على الأرض حقاً .

والحق ان هذه التيجان الفارهة ، التى كان يصنعها من الذهب الخالص ليتوج به عدم الانجاب .. كانت فى الواقع محض تعزيه .. تتناقض عما كان يحس به فى اعماقه .. ذلك انه عندما عقد صداقتى معه بمكتبته التى صحبته .حلة حياته الغنية بالفن والابداع يوما بيوم . «من الشرق والاسلام فى شعر جوته» ، «بودلير .الشاعر الرجيم» ، «ابو نواس» ، «الحان الحان» ، «الوان من الحب فى الأساطير والحب العالمى» ، «من اعلام الأدب الأوربى» ، «عصر القوميات» ترجم .. ، «من وحى المراة» ديوان «حواء والشاعر» ديوان . ها هو يطوف بى فى ارجاء هذه المكتبة ركنا بعد ركن يفضى إلى بخلاصة تجاربه فى لحظات .. فعند ركن ترجمات القرآن الكريم بكل اللغات .. اسمعه يقول : إن احسن ترجمة وضعت للكتاب المنزل على خاتم الأنبياء هى ترجمة مولانا محمد على الباكستانى ..

وكثيراً ما وقف بى وسط المعاجم .. مئات من المعاجم بالانجليزية والفرنسية والايطالية .. كان يقلبها الواحد بعد الآخر ليرينى ملاحظاته الهامشية عليها .. وهو يقول بصوت الفنان الهادىء المتحسر الأجش ..وهذه الملاحظات ، لقد افنيت عمرى ونور عيونى فيها بما يفيد المترجمين إلى العربية ، إنها عمرى وجهدى ، فهل تضيع دون ان يفيد منها احد .

واضيعتاه .. !

وكلمة واضيعتاه التى انطلقت منه عفويا ولكن بعبرة وتحمحم على مكتبته وكتاباته المبعثرة هنا وهناك .. وأمنيته فى كتابه مجلد ضخم عن ذلك الشاعر الرجيم بودلير ليحل فى المكتبات محل الكتيب الصغير الذى نشره فى ترجمة حياته واسفاره .. هذه العبرات التى التى جعلته يكسر وهو «على اعتاب الموت» وهى مقالة تتوسط ديوانه حواء والشاعر كتبها عندما مرت به ازمة قلبية مماثلة للأزمة التى توفى بها الشاعر فعلا .. فى هذه المقالة نجده يكسر تلك التيجان الفارهة التى طالما توج بها عدم انجابه .. فيقول فيها : هذه المكتبة لو كان لى ولد يرثها عنى .. إذن لصانها من الضياع وقام عليها فانتفع ونفع .

ثم اما كنت اموت اطيب نفساً ، لو رايت إلى جانب فراشى ذلك الولد الذى هو استمرار لحياتى وبقائى ، بما يجرى فى عروقه من دمائى ، وما هو مركوز فيه من شمائلى وطباعى .. «عندما قرات هذا المقطع تذكرت كلمات تروجنيف اديب روسيا العظيم الذى عاش طوال حياته مقرظاً لعدم الزواج ونادى الشباب بضرورته قبل وفاته»

لا تحسبن ان كل ما قلته عن الرجل ورد طى حديث دائر ، لا .. إن اكثره قضايا وكلمات يلقنى بها فور استقبالى .. إنه يشركنى بما قد فكر به او قراه طوال اسبوعه او نهاره دفعة واحدة ـ وهذه على ما اعلم صفة من صفات الوحيد المتوحد ـ فكانه يشعر او يتخيل اننى اشعر ، ان ما يفكر فيه افكر انا فيه مع بقية الدنيا .. او كانه يريد ان يتاكد من ان صداقتى معه تقرب او تتشابه مع صداقة العقاد للمازنى .. ولكننا عندما نقطع الصمت اجدنا دون اتفاق نتكلم فى موضوع واحد .

ومن المعروف ان عبد الرحمن صدقى كان من تلامذة العقاد واصدقائه المقربين .. وقد كتب له العقاد مقدمة ديوانه «حواء والشاعر» وتوقف كثيراً عند احاسن مزاياه الشخصية وشعره .. وكان صدقى يؤكد مدافعاً عند ورود ذكر الحديث عن تلامذة العقاد : بانه حقاً من تلامذته ولكن ليس من تلاميذ يوم الجمعة» حيث تروقه وباقى تلامذته المحبين والمتشددين به إلى حد التطرف .

يؤكد ذلك وتلك .. ما يأتى به صدقى من احكام حول العقاد فانه يقول لى مثلا : إن العقاد كتب العبقريات بحسه الدينى وليس العقلى ، او ان العقاد كان يقتبس فى اشعاره ممن سبقوه عربا كانوا أم اوربيين كالمازنى تماماً .. وإذا كان المازنى قد ووجه بذلك وانفلت منه العقاد ، فمرجع ذلك ان المازنى كفنان كان يشفق على البيت فيبقى عليه ورحمة به لايقطع اوصاله .. اما العقاد بحسه النقدى كان يقوم بتشريح البيت وإذابة معالمه فى شخصيته الشعرية الفذة .. ولكن هذا لا يخفى على الذكى الفطن ؟ او عندما اعظمه فى غنى مكتبته بالمؤلفات .. فيقول إنها اكبر من مكتبة العقاد .. ذلك ان العقاد كان فى اخريات ايامه قد اتفق مع مكتبة «الانجلو» على ان يقرا الكتاب ويعيده إليها .. كما ان العقاد كان يقرا


جوته


بودلير


العقاد



فردى

اللغة الانجليزية فقط أما انا فاقرأ الفرنسية والايطالية ايضاً .

الثناء على النفس

وعبد الرحمن صدقى .. من أكثر الأدباء الذين يثنون على انفسهم طى الحديث .. وفى كل مناشط حياته الأخرى .. وربما كان مرجع ذلك انه يفتقد المادح والناقد المنصف .. فاصبح مادحها ومنصفها .. وتجد ترجمته عن ذلك حتى داخل شعره .. أتذكره مثلا يقرأ لى قصيدة فى أخريات أيامه ، ولم تنشر بعد .. تحت عنوان «عائدة» بين الموسيقار الايطالى والشاعر المصرى يقول فيها :

سمراء يا خمرية اللون
فردى ، هنا حياك فى اللحن
«عائدة» انت ولا اعنى
إنى روميس لدى الطعن
«عائدتى» عودى مجدة
هيهات طيف عابر يغنى
عودى إلى مصر كما رجعت
حوائم الطير الى الوكن
انظم لك الشعر رخيم الصدى
جذل القوافى مطرب الوزن
شاعرك العاشق جاز الصبا
كالنيل قد ترعن وهن
«عائدة» مازلت حلماً ، فما
تاتين حتى ترحلى عنى
قرى جوارى حره سمحه
حسبى الذى أسلفت من ضنى
حسبك بعد العقل عند اللقا
نجنى ثمار الروح والذهن
من باع عقلا بجنون الهوى
زفت له عرائس الفن

فهو هنا يقول لبطلة القصيدة انه سينظم لها الشعر ـ اى شعره هو رخيم الصدى ، جزل القوافى مطرب الوزن ـ ثم يصف لها ما خفى من مظهره الشيخ ، بانه وإن كان إجتاز الصبا .. إلا انه فتى فى حسه وقلبه مهما علت سنه .

وتحمل هذه القصيدة بجانب استحسانه لشعره وترجمة ذاته خصيصة من اهم ملامحه الا وهى .. عدم حبه للتصريح .. فانه هنا قد وارى كنية البطلة بين الموسيقار الايطالى فردى . والشاعر المصرى عبد الرحمن صدقى نفسه .. لأن بطلتها سمية لبطلة اوبرا فردى «عايدة»

كما تتبدى فى هذه القصيدة سمة من سمات شعر صدقى .. وهى عدم الاحتفاء بالوزن أحياناً .. فبجانب ان ابيات هذه القصيدة قد تارجحت بين البحرين البسيط والكامل .. إلا ان بعض شطرها مثل «انظم لك الشعر رخيم الصدى» فيه تطويل لا يتمشى مع متفاعلن متفاعلن فعلن وهو الكامل ـ او مستفعلن مستفعلن فعلن وهو البسيط ... وهذا يؤكد قول العقاد بانه فى سبيل الصوفية الفنية يقدم الشاعر قرابينه على المذبح الخالد إذا وجب القربان على حساب كلمة او قافية ، او على حساب فكرة او عاطفة .. ولكن الحساب الذى لا يحسه قيد شعره ولا مقدار ذرة هو حساب الجمال الملموح فى محراب تلك الصوفية فلا هوادة هنا ولا نقص ولا زيادة ، فى مواسم هذه التقوى وشعائر هذه العبادة

والصوفية الفنية كما قومها العقاد .. هى التى تتلقى الحب انواعاً فتخلص منه برحيق كرحيق النحلة من شتى ومختلف الرياض .

فتاتى احبك حب الاب
وحب الصديق بلا مارب
كذاك احبك حب الرجال
ولكنه ليس بالقلب
عواطف شتان ما بينها
فان اخف واحداً اكذب
توحد ما بينها فى هواك
ولا شىء فيه بمستغرب
ففيك انوثة كل الاناث
وفيك براءة كل صبى

ويذهب العقاد ويلتقط من شعر صدقى الكثير بنهيه وفى الحق ان شاعرنا الذواقة هو خير من يمتحن فن الشعر العربى فى مزيته الكبرى ، وهى مزية «السليقة الغنائية» التى سلمها له أصحاب الدعاوى الفنية منذ مولده على نغمات الحداء .. ثم عادوا يكابرونه فيها كلما وازنوا بينه وبين فنون العرائس من ربات الملاحم ، او ربات المسارح ، او ربات الحكمة والبيان ، على إختلاف الأوزان ، او بلا اوزان ـ الا تعتبر كلمة بلا اوزان اعترافاً من العقاد بالشعر الحر الذى طالما احاله على لجنة النثر للاختصاص .. الا يكون بذلك ذبح الأوزان فى محراب صديقه وتلميذه عبد الرحمن صدقى ، ويردف .. فان عروضنا العربية لتتسع لكل نغمة من لنغام الشعر إذا هى اتسعت على شروط شاعرنا الذواقة لخوالج النفس ، وخواطر الذهن ، ولطائف الذوق ، وقد حمل الشاعر اوزاننا نغمات «الباليه» الراقصة فحملتها وخفت بها اطراف اصابعها .. فاذا حسبنا ثروة الشعر العربى بما يزيد عليها من نفائس هذا الديوان «حواء والشاعر» فلنحسب بينها انه آية من أصدق الآيات على ان الشعر العربى حداء خالد .. لانه يؤدى رسالة الحداء على اجملها فى قوافل هذا القرن العشرين .

أثر الأوبرا

وكان العقاد هنا يردد كلمات صدقى عن نفسه بنصها .. فانه كان عندما ينشد لى قصيدة .. يتوقف عند بعض المقاطع والابيات .. ويقول انتبهى إلى أثر الأوبرا والأوبريت ، والسيمفونى فى شعرى .. وكيف تهبط الكلمات من عل وترتفع إلى الهامات .. كصوت الاوبرالى الفذ والباليرنيه الرشيقة .

وإذا كان عبد الرحمن صدقى شغوفاً برواء نفسه من بحر الثناء والتقويم الذى وافته منه بعض الدفقات سواء من صديقه العقاد او صديقه الذى كان قد

رحل سليمان نجيب .. أو صديقه الأوحد «على أدهم» الذى بقى له .. وكان يزوره فى مكمنه كل يوم خميس .. فانه كان دائم الثناء والتقويم الجميل لكل إنتاج وأفعال من هم حوله أو رحلوا عنه ، حتى شمل استحسانه للتمايز .. إلا انه لم يبلغ قول الشاعر العربى :

قلبى وثاب الى ذا ، وذا
ليس يرى شيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى
ويرحم القبح فيهواه

فيقول لى مثلا .. إن قراءة «على أدهم» واسعة ومتشعبة تماما كقراءاتى ولكنها جد مختلفة المنحى .. وإذا التفت إلى زوجته «نازلى» عندما أسلمت و «إلتى» الايطالية قبل ذلك .. فيقول لى : انظرى إلى قوامها وحيويتها .. إنها لا تفوت يوما إلا ولعبت فيه الرياضة .. لاحظى أرديتها المتناغم الوانها .. بمثل هذا التناغم نظمت بيتى .. ها هى الكتب المتراصة تتجاذب أطراف الحديث مع الصور المعلقة ، وأكثرها لجارهم الفنان محمد صبرى .

ويستمر استحسانه لزوجته فى كل ما تعمل .. ترتفع هذه النبرة عندما تدخل لتناول الطعام .. فانه يلقى أولا بنظرة شاملة على الطاولة ويلفت نظرى إلى تنسيقها .. ثم ينعطف على كل جزء يثنيه .. يتوقف عند السلاطة مثلا فيقول .. لاحظى أن الخضروات فيها لم تغادرها الحياة حتى بعد التقطيع والتقشير .. ذلك أن «إلتى» على حزمها فى كل الأمور رقيقة اليد على الخضروات .. وتغمز لى هى بعينها بأن صدقى كبير القلب شديد الحدب على كل شىء .. ويسرد لى هو كيف تعرف بالتى فى ميناء جنوه ، بعد وفاة زوجته الأولى وعروس ديوانه الأول «من وحى المرأة» وكانت هى أيضاً بغريب الصدف إيطالية أيضاً .. وقبل أن أتناول هاتين الايطاليتن فى حياة شاعرنا .. توارد قراءاتى وتتداعى .. فاجد أن عبد الرحمن صدقى فى ذكرياته هذه مصداقاً لقول ابن حزم فى ترجمته عن نفسه بكتابه طوق الحمامة .. حيث نجده فى أثناء حديثه عن المحب وانه إذا أحب صفة فى محبوب له لم يتحسس بعدها الى غيرها مما يخالفها ، ويقول دعنى أخبرك أنى أحببت فى صباى جارية لى شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سواد الشعر ، ولو أنه على الشمس أو صورة الحسن نفسه ، وانى لأجد هذا فى أصل تركيبى من ذلك الوقت لا تؤاتينى نفسى على سواه ولا تحب غيره البتة .

ذلك أن حياة صدقى .. كما عرفناها .. لم يتزوج إلا إيطاليتين كاللائى خفق قلبه البرىء اليهن فى المرة الأولى .. وإن بعد ذلك يجد فى صحبة الشابات عزاء فى كهولته وشيخوخته إلهاماً لفنه ، وشيئاً غير قليل من إرضاء لرغبته فى أن يظل شاباً دائماً .. فهو كما عشق فى طفولته بعد الايطاليات .. الأمريكيات والانجليزيات وغيرهن .. فانه بعد فقد عروس ديوانه الأول وزواجه الثانى .. لم يسلم من امتحان الحياة له بالفتنة بعد الفتنة .. وكلها فتنة الأنوثة الخالدة .. تتراءى متجسدة فى بنات حواء .. على اختلاف الأنماط فى الحسن والشمائل .. فنجده فى ديوانه «حواء والشاعر» ينشد القصيدة تلو القصيدة فى حواء الفخمة البيضاء فى حريم الشرق القديم ، وحواء الوديعة السمراء على ضفاف النيل ، وحواء الرشيقة الشقراء بين حلب ودمشق .. وحواء المتقلبة الأطوار والأهواء ، وحواء فى البادية العربية ، وحواء فى مصايف الاسكندرية .. وأخيراً وليس آخراً حواء الفقيدة فى ذكرياتها الجديدة حيث نراه لايزال هائماً يبحث عنها فى الظلام ، حتى اذا حل به الاعياء وجد نفسه عند باب السماء .. وهنا يطلع الفجر الروحى .. فاذا بالشاعر غائب الحس فى غمرة الوجد الصوفى .. وقد أفضت به الرحلة .. رحلة العشاق فى الأعماق ـ الى غايتها .

بين الهمس والتجاسر

وإذا عدت لوصف صدقى لزوجته الأولى .. ومعايشتى أنا لزوجته الثانية .. أجد التمايز الصارخ بينهما .. فبينما كانت الأولى كما يحكى .. هامسة فى مشاعرها وتمعنها للثقافة .. رأيت الثانية عملية متجاسرة فى كل تصرفاتها وكلماتها .. يحكى لى مثلا عن الأولى أنها كانت عندما تقرأ وتقع عيناها على مقطع شف فيه المعنى وأجاد الكاتب ، ويكون هو يقرأ أو يكتب .. فانها لا تقاطعه لتقرأ عليه ما أعجبها .. باستعراضية فجة .. وإنما تؤجل ذلك لمناسبة مواتية أخرى أما الثانية فقد قرأت أنا لها مرة رداً على كلام نشره أنيس منصور فى أخبار اليوم حول الزوجات الأجنبيات كزوجة عبد الرحمن صدقى .. وكيف انهن قد يحببن كلابهن أكثر من أزواجهن .. فردت عليه «إلتى» فى نفس المكان قائلة : إذا كان كل الرجال

صلاح عبد الصبور



محى الدين صابر



سليمان نجيب



مثلك .. فان لى الحق بالفعل أن أحب الكلاب أكثر من الرجال .. وعندما سألتها يومها .. ألم تكونى قاسية على أنيس منصور الذى نشر ردك على سبيل الطرافة .. قالت .. ذلك أن أنيس منصور ينحو دائماً نحو التعميم .. إنه شاهدنى أسأل صدقى فى نهاية طعامه .. هل ستاكل هذه القطعة من اللحم ؟ فقال لا .. فرفعتها من أمامه لأعطيها للكلب .. فهل هذا يدل على اننى أحب الكلاب أكثر مما أحب زوجى ..

قالت هى ذلك مع أن عبد الرحمن صدقى نفسه .. كان يردد على مسمعى دائماً .. أن أغلب الأجنبيات .. لسن غيريات كالشرقيات .. فالشرقية تخص زوجها باحسن الاشياء واطعمها والاجنبية تبقيها لنفسها وإن لم تصل إلى حد تفضيل الكلاب على كل حال .

ورغم أن زوجة صدقى الأولى لم تعتنق الاسلام .. فانها على فراش الموت قد رجت ذويها أن يرثها صدقى فى استحقاقها من مال ابيها وقد بروا بوعدهم .. أما الثانية .. فعندما استقر بها المقام فى مصر كان أول شىء فعلته هو دراسة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .. فقررت أن تعتنق الاسلام .. ويوم ذهبت لشهر اسلامها .. تهلل شيخ الأزهر فرحاً وسألها عن سبب اسلامها .؟ وهو يتوقع أن تقول شعراً فى حسنات الاسلام وهباته على المراة .. ولكنها ردت عليه بواقعية صارمة .. إننى اسلم كى أرث زوجى .. فقد عرفت من دراستى للشريعة الاسلامية أن الميراث يكون فقط مع اتحاد دين الزوجين فى الاسلام .. من خلال هذه السيدة الأريبة عرفت شيئاً آخر غاب عنى .. وانا دارسة للقانون وابنة ماذون ايضاً .. وهو اننى عندما جلست أسألها بعد وفاة صدقى عن نصيبها فى «الفيلا» قالت لى إن لى فى الفيلا بادىء ذى بدء النصف ذلك أننى بعت مصوغاتى واشتركت فى شرائها مع صدقى .. اضيفى إليه الثمن وهو نصيب المراة فى تركة زوجها .. ومؤخر الصداق .. يصبح لى أكثر من الثلاثة أرباع .. وأستفهم .. ما الذى جاء بمؤخر الصداق فى كلامها ؟ فتجيب .. ذلك انه يقتضى عند أقرب الأجلين .. فما دمت لم آخذه لاننا لم نطلق .. ومات هو عن تركة .. ولا تركة إلا بعد سداد الديون .. فان مؤخر الصداق كدين شرعى أول أثقال التركة المتوجب استحقاقها .

وبالرغم من اختلاف الزوجتين فى الطباع إلا أنهما كانتا المبادرتين بالايقاع بصدقى فى شباك الزواج .. وهذا يدل على أنه كان إنساناً يشفق من المبادرة ويحب فى كل أعماله أن يبادر من الخارج .. يقول لى هو ان الأولى رغم رقتها الهامسة .. هى التى بادرته وقبلته يوماً عند سفره .. وتقول لى الثانية .. انها وهى عائدة من امريكا اللاتينية على ظهر باخرة .. وقفت بها عند جنوه لترى والدتها واخيها وتكمل مشوارها الى بيروت .. وعندما صعد هو بقامته المديدة وتقاطيعه الوسيمة وسمرته الجذابة .. شد انتباهها فاسرت لذويها .. انها ستوقع بهذا الرجل فى شباك زواجها .. ولما وجدته منكباً طوال الرحلة على قراءة الكتب .. فقد عرفت المنفذ إليه .. ذهبت واشترت كتاباً .. واستلقت فى الشمس ممسكة به بالمقلوب .. وعندئذ اقترب هو منها .. فاطلقت عليه كل سهامها .. ثم نزلت ميناء بيروت بعد أن تركت له عنوانها .. وسهامها .

وعاد عبد الرحمن صدقى إلى القاهرة ليحكى لصديقه سليمان نجيب وينشد :

هويتـك مـذ رايتـك تخطرينـا
علـى مـرح كانـك ترقصينـا
علـى شطئـان بحـر الروم تلهـو
غواريـه وترتحـل اللحونـا
فمـا حملقـت فـى عينيـك حتـى
عدانـى سحـر عينيـك الجنونـا
وان الحـظ يكمـن فيـه حتفـى
وفـى عينيـك لاقيـت الكمينـا

طلب الزيارة

فاشار عليه سليمان أن يرسل فى طلب زيارتها إلى القاهرة .. وتقول هى انها لكى تحيك شباكها .. وتدللها .. وتظاهرها بانها غير عازمة على الزواج .. فقد حضرت بحقيبة صغيرة .. ويسالها سليمان نجيب بالنيابة عن عبد الرحمن صدقى عن بقية امتعتها .. فتجيب بأن الرسالة طلبت منى الحضور للزيارة فيؤكد لها سليمان نجيب بأن صدقى أرسل لها بغية الزواج .. فتمثل هى دور المترددة ثم تقبل الذى كانت تطمح إليه وكأنه رجاء موجه لاستعطافها

واذا كان قد خيل لنا ظاهرياً أن صدقى أحب الاثنتين بتمايزهن بدرجة واحدة .. فان شعر الرجل ليفصح العكس .. وأن لهذا التباين أثراً غائراً فى نفس الرجل .. جلاه شعره أو رد فعل التباين .. ذلك انه كتب الشعر لأول مرة اثر وفاة الأولى .. «من وحى المراة» بينما لم يوجه للثانية إلا بعض القصائد المتفرقة من ديوانه الثانى «حواء والشاعر» بل انه فيه لم ينس عروس ديوانه الأول فى قصيدته «الذكرى العشرون» الذى يستهلها وينهيها بهذه الأبيات الأسفة على ذكراها .. ثم زواجه الثانى .

شقيقة روحـى حل عيـد زواجنـا
وقـد حـال عيـداً للأسى والترحـم
أتـى فهجـرت الدار أنيسهـا
وجئت علـى اعتـاب قبـرك ارتمى
شقيقة روحـى ، لا تخالـى شريكة
تشـارك فى قدس المكان المعظـم
لاقسمت : حبـى ما يـزال كعهـده
وقلبـى وان اعرست غير مقسـم
وهذا يشى بان صدقى كان متوافقاً بدرجة اشد مع الأولى .. ومن المؤكد أن الثانية كانت تشعر بذلك .. وقد تجسد ذلك فى أحلامها الفظيعة يوم مرض صدقى .. فقد روت له عن رؤيتها فى المنام طيف زوجته الأولى الفقيدة .. جالسة عند طرف الوسادة على رأسه .. وأنها حين انزعجت وارتفع عويلها فى النوم ، طمأنتها الفقيدة أن لا غرض من زيارتها إلا عيادته ودعتها الى الجلوس على رأسه عند طرف الوسادة المقابل ..

ومن عبث الأقدار ، أن تموت الأولى الرقيقة أثر نوبة ألمت به وخافت عليه منها ، بينما مات هو أثر نوبة قلبية خوفاً من مرض على الثانية .

وإذا كان سليمان نجيب هو من دفع بالايجابية فى أوصال صدقى .. حتى يعاود الحياة الزوجية من جديد .. فان رجلنا قد أخلى مكاناً رحباً فى قلبه ليحتفظ فيه بكل التذكارات واللفتات

الرائعة التى تلقاها فى حياته من سليمان نجيب .. فقد كان رجلنا عندما يكلمنى عن صديقه سليمان .. يصفه بالشهامة والدربه على صقل الانسان حتى الخام .. وعندما استفسر .. يحكى لى انه عندما عين ـ رجلنا ـ وكيلا لدار الأوبرا .. وكان سليمان رئيساً لها .. وحان موسم العرض .. وتوجب السفر لاستقدام الفرق .. بعث سليمان نجيب للمسئولين يطلب السفر وانا معه .. ولكنهم ردوا .. بان سفر واحد منكما يكفى .. فكتب سليمان من جديد .. فليكن السفر للوكيل لأنه الرئيس المقبل فجاء ردهم هكذا « وامام شهامة الرئيس نوافق على سفره مع وكيله» وسافرنا معاً .. وهنا تبدت عبقريته فى تشكيل الخرساء .. فلأن بدل سفرنا الضئيل كان لا يسمح لنا إلا بالنزول فى فنادق متواضعة .. فانه كان يوم ابرام العقود مع الفرق الكبيرة .. يجعلنا نترك حقائبنا فى الفندق المتواضع للنزل فى فندق غاية فى الفخامة .. ويقول لى إن ذلك شرف لنا امام الفرق اولا .. ويجعلنا ثانياً نتذوق ما هو الترف ولو لليلة واحدة .

عبد الرحمن صدقى وفي لكل من بادره بادرة حلوة فى حياته .. حتى وهو على اعتاب الموت يقول : كانت تخيم على غرفة رقادى ، بل فى البيت كله سكينة حزينة ، مثل سكينة المقابر ، ولكننى كنت لا استشعر السآمة .. فالسكينة حبيبة إلى نفسى .

وفى وسط هذه السكينة احسست بحركة غير اعتيادية وبعض اللغط فى البهو ، ثم خطوات عارمة فتية فى اتجاه غرفتى ، ثم طلعة سمراء تنكب على راسى وتترك على جبهتى الشاحبة قبلة مشفقة رحيمة .. فادرت راسى فى تؤدة من الضعف والوهن متطلعاً ، فاذا صاحب هذه الأريحية العاطفية احد وزراء الدولة ، إنه على راس الوزارة التى اعمل بها .. وقد لقيته على هذه الصفة مرات معدودات .. ولا احسب التوفيق كان حليفاً لى فى تلك اللحظات .

وهذا هو يذكرنى فى مرضى ، ويابى إلا أن يعودنى على كثرة الشواغل والمهام الرسمية .. وقد اخذ مجلسه إلى جانب فراشى برهة وهو ساهم متاثر ... وقد تركتنى هذه العاطفة الكريمة فى حيرة عظيمة .. ثم زاد من حيرتى خفاء هذه المكرمة عن الزملاء والناس اجمعين .. فى بلد لا تخفى عن الناس فيه خافية وكان من هذا جميعه أن تضاعف ثقل الدين فى عنقى .. ولكننى لا اجد اليوم بدأ من احترام إرادته على الرغم مما احس به من حاجتى الى التخفيف من دينى والخروج من حيرتى باعلان فضله وشكره .

عندما الححت انا فى سؤاله عن هذه الشخصية فى اخريات ايامه .. قال لى هامساً .. إنه الدكتور طه حسين .. وكان وزيراً للمعارف وكنت ـ اى صدقى ـ موظفاً مبتدئاً فى مكتبه .

تداعي الذكريات

ذكريات وذكريات .. كانت تتداعى فى خواطر الرجل وتشرق على حياته الهادئة وهو بمكمنه فى آخر ايامه وزواره ندرة .. اذكر يوماً زرته يوم جمعة لأنى لم اكن قد زرته يوم الأحد كعادتى .. فتهلل وهو يستقبلنى قائلا : والله لقد انقذت حياتى من الموت يا عايدة ، قالها وقد شرخ صوته نبرة حزن حزينة .. تنبى بتحرقه فى وحدته .. رغم التعزى بالقراءة . تاسفت له عن عدم حضورى الأحد الفائت لاستحكام أزمة المواصلات فى مصر وعدم وجود التاكسيات .. ولما كان يوم الجمعة هو ميعاد زيارتى للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر وهو بمصر الجديدة ايضاً .. فقد عرضت أن اصحبه إليه .. فقال بتردد .. ولكن ليس قبل أن تعلميه بذلك .. او تبقى معى . فاتصلت بالأستاذ شاكر أعتذر له بحجة انى ساقضى النهار مع صدقى .. فرد هو ولماذا لا يتفضل هو لزيارتى .. فتهلل وجهه فصحبته .. وبهذه الطريقة اختصرت يومين فى يوم واحد .. كنت يوم الجمعة استقل تاكسى من الروضة امر على منزل عبد الرحمن صدقى .. ثم الى الأستاذ شاكر .

ومن الغريب انى بهذه الفعلة ايضاً اخرجت صدقى عن حرصه المعهود حيث كان يدفع اجر التاكسى منذ أن انطلق من الروضة .. مع انه كان فى الأيام الخوالى يقتضى منى أثمان كتبه .. عندما فعلها بالنسبة لديوان «حواء والشاعر» رغم انه كتب لى عليه إهداء .. واستفسرت عن هذا التناقض دفع بوجهى بحجة أن بالديوان قصائد مهداة إلى ومن ثم توجب بذل عبئ الشراء ... وقد يرجع حرص صدقى السابق إلى انه لم يدرب على إعطاء المصروف كأى اب .. او انه كان يدخر لزمن اصبح لا يثق ببقائه فيه وربما لانه كان لا يمتلك إلا مرتبه .. واجوراً قد تاتى ولا تاتى .. ذلك انه كان قد بدأ اعترافاته ومذكراته ثلاث مرات .. ولم تتم احداها .. ففى سنة ٧١ .. بدأ يكتب إعترافاته فى مجلة الهلال

وعندما تفرغ فى الحلقة الثالثة الى أصله التركى وما إلى ذلك .. توقفت .. باكثر من حجة ..

ودرجة درجة .. تناقصت كتابات الرجل فى الصحف والمجلات .. واصبح لا يغشى المجتمعات على حبه لها .. لانه لم يدع .. وكان النهر الذى يشرب منه ادباء قومنا هو نهر النسيان فى اساطير اليونان » وهكذا افتقد الصديق والصاحب فى آخر ايامه .. إلا من الاستاذ على ادهم الذى كان بدوره يغيب عنه لزيارة اولاده فى اسبانيا وغيرها ..

الدوحة العدد القادم

دور الأزهر فى تكوين الكتلة الثالثة

د . محمد البهى

سبعة أعوام تمر ، وما زالت كتبه الثمينة حبيسة الصناديق

ويتركه وحيداً إلا من زياراتى .. واصطحابى له إلى بيت الأستاذ شاكر ..

وكان من الممكن أن يفضى به هذا الموقف الجاحد من جيله الى طريق اللعنة .. فيحرق مكتبته كما فعل «أبو حيان التوحيدى» عندما مر بمثل هذا الموقف .. ولكن صدقى الانسان الذى كان كسولا حتى على الحقد .. ونشيطا فى نسيان الاساءة .. كان وهو على أعتاب الموت .. شديد الحفاوة بهذه المكتبة . فيقول : لم يكن خاطر الموت يفزعنى ، وإنما كان يحز فى نفسى أنى أموت قبل أن أشفى غلتى من القراءة .. إن خزائن كتبى زاخرة بعشرات المئات من المؤلفات المختارة فى أكثر من لغة .. ولم تترك لى الوظيفة فسحة من الوقت لدراسة الجزء الاكبر منها .. وهنا ـ على ذكر خزائن كتبى ، ذكرت أنى اقتنيت معظمها بالشراء من مخلفات من سبقونى الى دار البقاء ـ وسرح بى خيالى فتخيلت كتبى ـ بعد موتى ـ مبعثرة فى أسواق الوراقين تتناقلها أيدى الباعة من انصاف المتعلمين ، وتطرح فى كل مكان مطارح الهوان .. أما كان الأولى لو أوصيت بها لدار الكتب حين كان فى العمر متسع .

وعندما توفى صدقى فى مارس ٧٣ .. ولم أكن قد أعددت مقالا عنه فقد نشرت فى مجلة الاذاعة مقتطفات من مقاله على أعتاب الموت .. وما يتعلق منها بأمنية إهداء مكتبته .. وذلك تحت عنوان «عبد الرحمن صدقى .. عاشق الحياة يفارقها إلى لقاء وصفه فى رثاء نفسه» . ومن الغريب أن يتصل بى الورثة يسألونى هل ترك الرجل وصيته لديك .. فقلت لا وإنما هو نشرها فى ديوانه «حواء والشاعر» .

ورغم أن القانون .. لا يعتبر مثل هذه الأمنية وصية ملزمة لأحد . فالمدهش حقاً هو إلتزام زوجته وباقى الورثة بتنفيذ هذه الأمنية الوصية .

وبالنيابة عن كل أبناء مصر الذين سيفيدون من هذه الثروة .. التى تشهد بأن صاحبها كان واحداً من جيل الموسوعين على ندرتهم .. بعثت دار الكتب والوثائق القومية .. برسالة شكر



محمود شاكر

الى السيدة نازلى حرم الفقيد .. أردفتها بعد الأربعين بلجنة فرز وتعبئة .

عندما ذهبت لأسجل هذه اللحظات .. تنبهت لوقوع شىء غريب فى نفسى ذلك أن هذه الزيارة قد تكون زيارة المائة أو تزيد .. إلا أننى قبلها لم ألاحظ أن للمقاعد أرجلاً أو للفرش والستائر أحرفاً .. وهكذا افتقدت الأشياء قلبها وروحها بغياب الشعاع الهادىء الذى كان يحتضن كل شىء .. فتناثر كل شىء .. وبانت أطرافه .

شارع عبد الرحمن صدقى

أرفف الكتب التى أخليت من محتوياتها تبدو كتوابيت غادرتها «المومياات» الكتب هنا وهناك تبدو كبقايا الحفريات .. هذا كتاب بلا غلاف .. جنبته اللجنة الى حين . ، فانكمش على نفسه محاولا التوارى عن الأنظار .. كثيراً ما رأيت الرجل الذى فقدناه يقلب صفحاته ولكن فى حرص شديد .. ويحمله باهتمام كوليد .. لقد أشعرنى كل ذلك يومها على خيبة الأمل على رحيل هذا الرجل الذى ترك كتبه يتيمة من بعده .. ومازالت منذ مايو ٧٣ حبيسة الصناديق .. رغم أن الدكتور محى الدين صابر كان قد عرض عليه أيام كان صابر وزيراً للتربية أن يشتريها للسودان بخمسين ألف جنيه .. ويتسلمها بعد وفاته ..

سبعة أعوام تمر .. ولا تخرج الكتب من الصناديق لتحتل قاعة «عبد الرحمن صدقى» كما هو متوجب .. أو تكوين لجنة .. لحصر الهوامش والملاحظات حول قواميسه وكتبه واستخلاصها .. للاستفادة بها من قبل الدارسين والمترجمين .

لقد كتبت مع كل المعترفين بفضل الرجل .. بعد انتقال هذه المكتبة الثمينة للثقافة .. ألا يستحق عبد الرحمن صدقى الشاعر الفنان جائزة الدولة التقديرية . لقد كان الفقيد أديباً فناناً غزير العطاء .. قدم لمصر التى أحبها صفحات ثرية من الفن .. خلال خمسة وأربعين عاماً خصبة .. أبدع فيها شعراً حساساً .. وكتب فيها مقالات جادة .. وتفرغ منها لابحاث أضافت لمكتبتنا الكثير ولم يقف عطاؤه لمصر عند الخلق والابداع والكتابة ، ولكنه ساهم بمجهوده الكبير أستاذاً بالمعهد العالى للفنون المسرحية ومديراً للأوبرا .. ومستشاراً فنياً للتلفزيون .. وعضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

يوم سلمت هذا الترشيح عن تلامذة الرجل بمعهد الفنون المسرحية إلى مدير مكتبه (حسين ..) انتفض عند قراءتها .. وتسلمه مستفزاً لم أعرف سره .. إلا بعد نيل يوسف السباعى لهذه الجائزة فى نفس العام .. ثم اضطر للتنازل عنها لأنه كان مديراً للمجلس الأعلى الذى يمنح هذه الجائزة ..

ألم يكن الأولى أن تتشرف به الجائزة .. لا سيما وقد انتقل عبد الرحمن صدقى إلى رحاب الخالدين ..

لقد خابت دعوتى هنا كما خابت فى صيحتى بأن يحمل شارع «منيس» الذى كان يسكن فيه بمصر الجديدة .. اسم عبد الرحمن صدقى .. ولم أنجح إلا فى أن يكون لزوجته معاش استثنائى.. وهذا قليل .. من كثير كان يستحقه الرجل وعن جدارة أيضاً ..

والصيحة المعلقة الآن هى إلى الأستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. وفى إلحاح السرعة بتهيئة قاعة عبد الرحمن صدقى .. للقراء والمستفيدين .

عايدة الشريف

نعمان عاشور

جورج أبيض

ساقتنى قدماى ذات صباح الى زيارة المخرج الراحل فتوح نشاطى فى المسرح القومى بحديقة الأزبكية .. كان قد احتل لنفسه غرفة فى الدور الثانى بالمبنى العتيد بعيداً عن صالة العرض والكواليس وخصصها لكى تكون مكتباً له ... نحن على نهاية عام ١٩٥٨ وفتوح نشاطى يشغل هذه الغرفة من سنوات بعيدة فى احدى الوزارات او المصالح والدواوين الحكومية .. كنت على موعد معه لقراءة نص مسرحية اكتبها ليخرجها هى مسرحيتى «صنف الحريم» ولم يكن لى سابق علم بوجود مثل هذه الغرفة السرية فلما سالته عنها اخبرنى انه يحتفظ لنفسه بها ليحتمى فيها من التقلبات التى تطرأ على الحياة المسرحية وليشعر دائما انه مرتبط بعمل يومى فى المسرح .. لكنى ما كدت اجلس لاحتسى معه القهوة كالعادة المتبعة فى مكاتب العمل حتى فوجئت بالفراش يخطرنا بوصول الأستاذ جورج أبيض . والحق انها كانت مفاجاة مذهلة بالنسبة لى لم استطع ان اخفى معها ما اثارته الواقعة فى نفسى من اثارة واهتزاز .. جورج ابيض .. بشحمه ولحمه وشخصه ؟ بعدها مباشرة دخل علينا العملاق وهو يبتسم محيياً .. كانوا ايامها قد عينوه للاشراف على إحدى شعب المسرح القومى .. ولكنه لم يكن يتردد على المسرح بانتظام .. الشىء المذهل انه حين رآنى لم يكتف بتحيتى سلاماً باليد ... وانما فرد ذراعيه كما لو كان فى إحدى مشاهد تراجيدياته الرائعة واخذنى بالحضن .. ثم اردف ..

ـ انا جى مخصوص يا ابنى علشان اقابلك ... قالولى تحت انك عند فتوح قلت لازم اشوفه ...

إلى هذا الحد كانت حفاوة الرجل بوجودى !!! ومن يكون هذا الرجل !!!



جورج أبيض

جورج ابيض !!! اضخم واثبت شخصية عرفها تاريخ مسرحنا الجاد منذ بداية القرن ...

لويس الحادى عشر

زايلنى القلق بعد لحظات حين طلب إلينا الجلوس .. ورفض ان يتناول القهوة ... وراح يعاتب فتوح نشاطى لأنه كان قد طلب منه ان يرانى !!! يرانى انا !!! ومن اكون بالنسبة له !!! لم يكن إحساساً بالضالة او الصغر ... ولكنه كان من جانبى اعتزازاً منهلا ان يحاول جورج ابيض بجلالة قدره مقابلتى والتعرف بى غير معقول !!! وابتسم فتوح نشاطى وهو يعتذر له ... لانه كان ينوى القيام بذلك بعد ان يتكرر لقاؤنا .. ووضع جورج أبيض كفيه وهى مشبوكة الاصابع على أسفل بطنه ثم تنحنح فاستلفتنى فى صوته شبه بحة مثيرة ... فلما اخذ الحديث مداره بيننا بدات اذنى تتنبه إلى صوته ورخامته وعذوبة انطلاقه ودقة مقاطعه ... لم اكن شاهدت جورج أبيض الا فى الصغر حين كان يطوف بفرقته فى الاقاليم وصحبت عمى لمشاهدته فى المنصورة وهو يعرض تحفته الرائعة التى اشتهر بها على الدوام ... «لويس الحادى عشر» ثم بعد ذلك اختفى الرجل من افق حياتى لسنوات طويلة .. ولم تكن تذكرنى به الا بعض قراءاتى عنه وعن نشاط مسرحه فى عديد من الرسائل والمقالات التى تنشر ... واحياناً فى بعض ما يروى من ذكريات ...

اكتشاف سيد درويش

كانت ابرز الصور التى تشغل واعيتى به ... حكاية مستفيضة حدثنى عنها المطرب الفنان حامد مرسى ... اشهر من عرفهم تاريخ الاوبريت الغنائى فى مسرحنا الحديث ... وبطل فرقة الكسار واكثر من يعى التراث الغنائى القديم ... كان فى ذات ليلة يروى لى ذكرياته عن سيد درويش اذ كنت اعد عنه برنامجاً للتليفزيون اواخر عام ١٩٦٣ ... واستعنت بحامد مرسى فى محاولة تتبع بعض دقائق حياة سيد درويش ومناسبات الحانه ... وروى لى واقعة مجسمة عن جورج ابيض زادتنى معرفة به وبقيمته وجهوده . حدث ذلك على وجه التحديد عام ١٩١٨ وكان حامد مرسى لا يزال صبياً يجيد الغناء وتستعين به الفرق على تقديم فقرات طرب بين فصول مسرحياته كسباً للجمهور . مثلما كان يحدث مع عبد الوهاب فى مبدأ ظهوره ... وكانت فرقة جورج ابيض المسرحية ايامها تعانى من الركود نتيجة لانتشار وسيطرة جوقات ومسارح الهزليات وعلى راسها فرقة الريحانى فارتحل جورج بفرقته الى

فرد ذراعيه كما لو كان فى أحد مشاهد تراجيدياته الرائعة

إنه أهم شخصية فنية عرفها تاريخ مسرحنا الجاد

مسارح الهزليات جعلت مسرحه يعانى من الركود

منعنى من تسجيل الحديث لأن ما سيقوله لا يحتاج إلى كتابة

الاسكندرية واصطحب معه الشاب أو بالاحرى الصبى المطرب حامد مرسى ليغنى بين الفصول كما جرت العادة ...

زورونى كل سنة مرة

ذات ليلة كما روى لى الفنان حامد مرسى ... كان يغنى احد ادوار عبده الحامولى بين فقرات الفصل الثانى والثالث لمسرحية عطيل التى يمثلها جورج ابيض ... ففوجىء بمقاطعة حادة من مجموعة بين المتفرجين راحت تصفق فى صخب ... فلما انتهت الفقرة فى سلام اسرع اليه احدهم يطالبه باصطحابه لمقابلة الشيخ سيد .... يقول الفنان حامد مرسى ... لم اكن اعرف من هو الشيخ سيد هذا ولكنى لم اتردد فى تلبية رغبتهم وذهبت مع الرسول الموفد الذى اصطحبنى اليه وكان واقفاً على باب مسرح الهمبرا بمحطة الرمل محاطاً بمجموعة من الاسكندرانية ... كان ضخم الجسم مشعث الشعر اقرب الى السمرة والبدانة اشبه ما يكون بالفتوات وبادرنى فى الحال ..

ـ اسمع ... إزاى عرفت تغنى لحن الأسطى بالشكل ده ؟

وكان يقصد بالأسطى «عبده الحامولى» ... رأس المطربين وسيد الملحنين على أواخر القرن التاسع عشر ... ويتم حامد مرسى روايته ... أمسك سيد درويش بيدى وطلب عربة حنطور واجلسنى بجواره واتجهنا جميعاً الى مقهى على ترعة المحمودية جنوب الاسكندرية واحضروا للشيخ سيد العود بعد أن اجلسنى أمامه وطلب الى ان اتابعه ليحفظنى اللحن الجديد الذى لا يمكن أن يغنيه صوت غير صوتى ... وكان هذا اللحن هو الأغنية الشهيرة لسيد درويش والتى تغنيها فيروز . اغنية «زورونى كل سنة مرة» .. ولم يتركنى الا بعد ان كنت قد حفظت اللحن وغنيته له عدة ساعات ..

وفى الليلة التالية حضر الشيخ سيد الى المسرح وطلب الى أن اغنى اللحن بين الفصول ... واخبرنى انه سيجلس فى الصالة ليستمع ويرقب وقعه من وراء الكواليس وهو غير مصدق اذنيه ... فلما انتهى التمثيل سألنى عن صاحب اللحن فقدمت له الشيخ سيد درويش ولم يكد جورج ابيض يعود الى القاهرة حتى أرسل فى طلب سيد دوريش من الاسكندرية وكان لديه نص مسرحية غنائية يعدها للموسم المقبل وهى مسرحية «شهرزاد» فعهد الى سيد درويش بوضع الحانها لتكون الخطوة الاولى والباكورة الناضجة لما ابدعه سيد درويش من الحان واوبريتات غنائية بعد ذلك .. وكانت هى الأصل فى نهضة المسرح الغنائى ..

مصر القديمة ... ومصر الجديدة

اعود بكم بعد ذلك الى غرفة مكتب فتوح نشاطى فى المسرح القومى عام ١٩٥٨ وانا جالس معه فى حضرة العملاق جورج ابيض ... كان طبيعياً ان اساله وانا فى غاية الاعتداد والسرور عن سبب رغبته فى لقائى ... فاذا به يروى لنا نفس ما رويته لكم من قبل على لسان الفنان حامد مرسى كان بوده أن يكتشفنى كما اكتشف سيد درويش ... فلما اعترضت عليه فى ذلك وانننى او غيرى لا يمكن ان نقارن بسيد درويش ... فمن اكون حتى يساوينى به واين انا وغيرى من هذا العملاق الخالد !!! أجاب وهو يهز راسه فى هدوء وتمعن ...

ـ يا ابنى انت عملت نفس ما عمله سيد درويش ... انا شفت لك وقريت لك كمان .. «الناس اللى تحت» و «الناس اللى فوق» ... انت عملت حاجة غريبة كنا محتاجين لها من زمان .. المؤلف اللى يكتب مسرحية خالصة وتتمثل على المسرح طوالى من غير اعداد او تغيير او تبديل ... لا من مخرج ولا من ممثل دى مش شويه ... فرح انطون هو الوحيد اللى حاول يعملها فى مصر القديمة ومصر الجديدة .. لكنه للأسف ما اقدرشى ...

ولاحقته فى زهو ما انا كنت مسمى الناس اللى تحت فى الاول مصر الجديدة بدون ان ادرى شيئاً عن فرح انطون ومسرحيته وضرب جورج ابيض كفاً على كف وهو يردد ...

ـ عارف ... انا نفسى قلت عليك انك ولا فرح انطون .. واسال فتوح ..

وهز فتوح راسه ...

ـ حقيقه ... جورج بك قالها لى اكثر من مرة ...

الصحافة والمسرح

وطالت الجلسة بيننا لاكثر من ساعتين ... اخذت نفسى خلالها بكثير من الصمت وانا فى ذهول مما اسبغه على هذا المارد العملاق .. وراح جورج ابيض العظيم يحدثنا عن حياته فى المسرح والمشاكل والمصاعب التى واجهها ونظرته الى المسرح الجديد ورايه فيه وما ينتظره من تقدم حين رانى اطالب الاستاذ فتوح نشاطى ببعض الأوراق واخرج قلماً من جيبى قال ...

ـ عاوز تعمل ايه ؟

فاخبرته باننى سأحاول تسجيل ما يقوله لانه تاريخ . غير انه نهانى لان ما سيقوله شىء معروف لا يحتاج الى كتابة ... ورغم ذلك فقد سجلت من حديثه هذه الصفحات التى لم تكتمل الا بعد ان وعدنى بلقاء آخر يجيب فيه على ما

جـــورج أبيـــض

ساقوم بوضعه من اسئلة .. وعلق ضاحكا :

ـ انا عارف انك بتشتغل صحفى ... لكن انا بكلمك كسرحى ... سيبك من الصحافة ومن الكلام اللى بيكتبوه فيها

واضاف فتوح نشاطى ... خلونا فى المسرح ...

وكانت جلسة ممتعة اطلقت لسان جورج أبيض بالكثير الذى سجلته وشاركنى فتوح نشاطى رحمه الله فى ايضاح الكثير من جوانبه ....

بماذا حدثنى جورج أبيض ؟

بعد أن أخرج جورج أبيض منديله ليجفف به العرق وتململ من ضيق المكان قال مع ذلك انه انسب مكان لنكون فى شبه عزلة ... ثم شرد بباصريه إلى سقف الغرفة فاذا بها تقع على بعض زخارفها العربية ... وتاثر وهو يتامل الزخارف مترحماً على طلعت حرب زعيم اقتصادنا الوطنى والرجل الذى انشا مسرح الأزبكية عام ١٩١٩ وراح يقول ...

كان زمان أهون تضحية هيه التضحية بالفلوس ... وكان اللى يحب فن من الفنون مستعد أنه يقدم فى سبيله أى شىء حتى عمره خد مثلا المسرح اللى احنا قاعدين فيه النهار ده .. يقصد مسرح الأزبكية اتبنى نتيجة هواية ... حب كبير لفن التمثيل ... والا ايه اللى يخلى واحد زى طلعت حرب كان يبنى مسرح الأزبكية ... تعرفوا بأى هدف .. مش تعصب لأولاد عكاشة ... زكى وعبد الله ... هما قالوا عليه كده أياميها

ابدأ مسرح الأزبكية اتبنى لخدمة اللغة العربية ... تصوروا .. دا كان الهدف الأساسى لطلعت حرب ... تتقدم عليه المسرحيات اللى باللغة العربية بس ..

مسرح أوائل القرن

وهنا حلت لى المقاطعة ... «نفس اتجاهك الدائم يا جورج بك» ... فاستطرد ... هو دا كان الأصل ... من حسن الحظ



حسين رياض



نجيب الريحانى

انا رجعت من بعثة فرنسا سنة ١٩٠٤ والحركة الوطنية بتاعت مصطفى كامل عمالها تحمى وتشتد .. وكان مصطفى كامل نفسه بيكتب مسرحيات ويمثلها ... تصوروا .. كان المسرح له قيمه كبيرة وكل المتعلمين ملفوفين حوالين المسرح ... كان شيئاً أساسياً فى حياة الناس ... وواخد اهتمام كل المتعلمين .. وماحدش كان له فضل عن غيره ... يعنى انا مثلا كنت باغطى ناحية فى اتجاه واحد مع خليل مطران وعبد الرحمن رشدى .. وعزيز عيد كان له ناحية ... وسلامة حجازى واخد ركن كبير .... الكلام ده قبل الحرب العظمى ... الحرب الأولانية ... وكانت الناس واخداها جد ... ويوم بعد يوم الدنيا بتتفتح قدامهم والاهتمام فى المسرح فى ازدياد ... والمسرح ده ياما كان له فى الايام دى ضحايا ... عارفين ... فى سنة من السنين .. سنة ١٩٠٩ انا فاكر تمام ... كانت المسرحيات بالميات ... وكلها ماشية مع بعض ... مسرحيات تراجيدية ومسرحيات كوميدية غنائية . وفرق تفتح وفرق تقفل وناس تفلس وناس تيجى غيرها ... ونظر الى فتوح نشاطى .. لازم تكون فاكر الأيام دى يا فتوح .. انت برضه ما كنتش صغير فاجابه ... اياميها انا كنت لسه تلميذ فى ابتدائى لكن احنا عاوزينك تكلمنا عن مسرحك انت يا جورج بك .....

ونظرا لى نظرة ذات معنى ...

المسرح لا يفقد جديته أبداً

وطلب جورج أبيض فنجاناً من القهوة وكوباً مثلجاً من الماء وعاد يجفف عرقه ... ثم استرسل فى حديثه.. انا مش جاى علشان اتكلم على مسرحى دى فترة راحت وانتهت ... وسارعت اقاطعه ... يا جورج بك .. سعادتك تاريخ وانت الأصل والأساس ولولا وجودك وثباتك لفقد المسرح جديته فلاحقنى ... ابدأ ... المسرح لايمكن ان يفقد جديته ... خد عندك الريحانى .. ابتدا هلس فى هلس ... وانتهى وكله جد ... الريحانى على الآخر كان قرب بالكوميديا بتاعته من التراجيديا ... ودى هيه بداية الخيط اللى انقطع بموت الريحانى ... وانت بقى يا ابنى اللى مسكته بايدك ... واجتاحتنى رعشة ووجدتنى أهب واقفاً وانا هلع وغير مصدق لما يقول ... انا !!! انا يا جورج بك !!! وابتسم الرجل فى هدوء لحركتى المباغته وأردف فتوح نشاطى ... ما هو علشان كده ... جورج بك اهتم انه ضرورى يقابلك .. ؟

ليس أهم من النص

وجاء كوب الماء المثلج والقهوة ... وكان يرتشفها بصوت مسموع وانا جالس على مقعد امامه .. وكانى نملة أزداد ضالة كلما تطلعت له وهو جالس كالفيل ... وعاد ليجفف عرقه قائلا «المهم يا ابنى تكون عندك مثابرة وتكون عندك

قبل الحرب العظمى كان المسرح شيئا أساسيا فى حياة الناس

لماذا قال لى : إن كلامك لا يفسره إلا ناقد أو مؤرخ ؟

حاجات كتير .. اكتر من كده علشان تقولها .. وده كله متوقف على الاستمرار ... أصل دور المؤلف غير الممثل ... وعصرنا أحنا اللى فات كان عصر التمثيل ... ما حدش عارف ايامكم اللى جاية حقيقى ايه ... انما من هنا ورايح مش حيكون فى المسرح اهم من النص ... ودا هو الخطر . » وقال الأستاذ فتوح رحمه الله مقاطعاً .. ماتخافش يا جورج بك .. دا احنا بقى عندنا مؤلفين جداد كتير ... وانا معاك ان المسرح اساسه الكلمة ...

وعلشان كده انشاء الله حا أخرج رواية جديدة للأستاذ نعمان ... كتبها خلاص وبنقرى نصها ... واطلعه على ماكنا قد طبعناه من نص المسرحية ... وهنا أوصاه جورج ابيض «خليك معاه يا فتوح انا متفائل ان المسرح عندنا بدا يشد حيله وعلى صورة جديدة خالص ... ما كانش عندنا النوعيات دى زمان» ..

صاحب أضخم التجارب

كان قد صمت ... فسارعت لأرده الى سابق حديثنا «سيادتك يا جورج بك ما كلمتناش عن مسرحك ؟ .» وشهق فى ملال .. «كلها حاجات قديمة المهم فى الجديد ... ومع ذلك ... انا اصلى ذاكرتى على قدى ... يعنى ... وقاطعته وقد أدركت انه يهم بالوقوف .. طب ممكن يا جورج بك تدينى وعد أقابلك تانى ... وحا احضر شوية أسئلة . «فضحك ساخراً» الصحافة دى غريزة . ؟ وحاولت ان أوضح له اننى لا اقصد ان آخذ منه حديثاً لأنشره ولكننى انشد الاستفادة منه كصاحب اكبر تجربة فى مسرحنا المعاصر ووعدنى الرجل بأن يلاقينى بعد يومين هنا فى المسرح القومى .. اذ انه يحضر يوماً ويغيب يوماً وامسك بيدى وانا أسلم عليه وراح يربت على كتفى «شد حيلك واتوصى بفتوح بكلمتين حلوين زى اللى كتبتهم قبل كده» وتركنا وانصرف بعد ان ودعنا حتى الباب الخارجى لحديقة الازبكية ...



عبده الحامولى

الوثائق المسجلة

استفسرنى فتوح نشاطى بعدها ونحن نعود الى الغرفة عن الأسئلة التى كنت انوى توجيهها اليه فاخبرته بحقيقة ما كان يراودنى وشرحت له فكرتى الطموحة ... لم تكن مجرد خاطر عابر انبتته مناسبة هذا اللقاء المباغت مع جورج ابيض ...وانما كانت فكرة خامرتنى من سنوات ... اثر جلسات ولقاءات متعددة مع اكثر من عملاق فنى عتيد ... حسين رياض وفؤاد شفيق وفاطمة رشدى وبديع خيرى وغيرهم ... لماذا لا نحاول ان نسعى للحصول منهم على تسجيلات بذكرياتهم وتاريخهم ونضالهم من اجل المسرح وتكون هذه التسجيلات بمثابة وثائق باصواتهم انفسهم نؤرخ بها لحياتنا المسرحية فى كل مراحلها .. من المؤسف ان احداً لم يفعل ذلك او ربما حاوله بعضهم ... لكن الفكرة ذاتها كانت تشغلنى من قبلها بسنين وكنت أعجز عن ان أقوم بتنفيذها ... وكذلك لم استطع تنفيذها بعد لقائى الثانى مع جورج ابيض ... ربما لأننى عدو لدود للآلات التسجيلية من اى نوع كان ....

النهضات والانتكاسات

انصرم اسبوع لم يحضر جورج ابيض خلاله الى الازبكية ... ولكننى فى ذات صباح وانا اصعد درجات السلم الى حجرة الاستاذ فتوح نشاطى ... إذا بى وجهاً لوجه امام جورج أبيض ... استوقفنى ممسكاً بذراعى وهو يعتذر لأنه لم يحقق لى رغبتى فى لقائه .. «اصل انا يا ابنى باتحرك بصعوبة .. انت لسه برضه مصمم على اسئلتك إياها ؟ .. فاخبرته باننى طوع أمره .. واخذنى من يدى لنجلس فى الشرفة الخارجية لمسرح الازبكية ... وبعد ان جلسنا بدأ هو الحديث ....

ـ بدى أفهم ... انت عاوز تسالنى عن ايه ؟

ومن واقع معرفتى بتاريخه ... جاءتنى فكرة ترسبت طويلا فى تاملى لطبيعة الحياة المسرحية عندنا .. فاسرعت بطرحها عليه .

ـ ما السبب فى ان المسرح عندنا لا يتطور باضطراد ... بمعنى انه يتعرض فى بعض المراحل لنكسات ساحقة ... وفى مراحل اخرى ينتفض ازدهاراً ؟ ما سر هذا التارجح الذى تجنى فيه مراحل الهبوط على فترات الازدهار ؟ كان الرجل ينصت الى محاولتى لتفسير فكرتى مستشفاً ما وراءها ... وكان يهز رأسه بين لحظة واخرى ليشجعنى على متابعة الحديث ... وفى النهاية وبعد ان شرد بذهنه لحظات قال فى هدوء ....

ـ الحقيقة كلامك لا يمكن ان يفسره إلا ناقد او مؤرخ ..

جـــورج أبيـــض

فالحفت ملاحقا ...

ـ تجربتك يا جورج بك اهم مما يمكن ان يكتبه أى ناقد او مؤرخ ...فانت اصلب واثبت من تمسكوا بالمسرح الجاد ... ولا أعنى بذلك التراجيديا وحدها ... أو استعمال اللغة العربية الفصحى ....

ونظر الى الرجل وكانه غير مصدق ...

ـ فى «الديكيه» الأولانى ـ وكان يقصد العشر سنوات الأولى من القرن العشرين ـ انتعش المسرح نتيجة الجدية التى صاحبت الحركة الوطنية لمصطفى كامل ومحمد فريد ... وفى العشرينات انتكس لسرح الجاد وسادت الكوميديا والغناء خاصة فى سنوات الحرب العالمية الأولى ... واضطررت لأن انضم بفرقتى لسلامة حجازى .. ثم مقاومة الريحانى بمساندة محمد تيمور رحمه الله ... ولكن قيام ثورة ١٩١٩ اعاد للمسرح الجاد ازدهاره .

نوعية الجمهور وحقيقة المسرح

وبعد أن صمت لحظات ... عاد الى الكلام وهو يتطلع الى السماء .. كان يستلهم ذكرياته ... وفجاة انطلق يقول ..

ـ الحقيقة ان الحياة العامة نفسها أو ما تسميه انت (يقصدنى) الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية



سيد درويش

تؤثر كثيراً على نشاط المسرح .. ولكن هناك عامل رئيسى وهام .. هو نوعية الجمهور المسرحى .. فالمسرح خاضع للجمهور مثلما هو خاضع لهذه الأوضاع التى ذكرتها .....

وهذا يزيد من صعوبة الدور الذى يجب ان يقوم به رجالات المسرح ... فعليهم مراعاة الجمهور ... وفى الوقت نفسه يجب ألا يخضعوا له ... وانا شخصياً حاولت كثيراً ان أفعل ذلك ولكن طبيعتى وطاقتى الفنية وزمانى كانت تفرض على الا اتراجع عن ان يكون لمسرحى رسالة ولا انساق وراء نزوات الجمهور ... وبسبب ذلك تقطعت صلتى بالمسرح خلال سنوات عديدة ...

وطالبته ببعض الايضاح فتابع حديثه «كل وقت له ناسه» .. لكن بالنسبة للمسرح بالذات .. زى ما درسناه ومارسناه ... وزى ما يجب انه يكون ... أكبر كتير من انه دار للتسلية من حيث انه بيجمع كل الفنون وبيجمع كل الأذواق ... المسرح فن كبير ولابد أن يكون له رسالة ..

الصرح الكبير

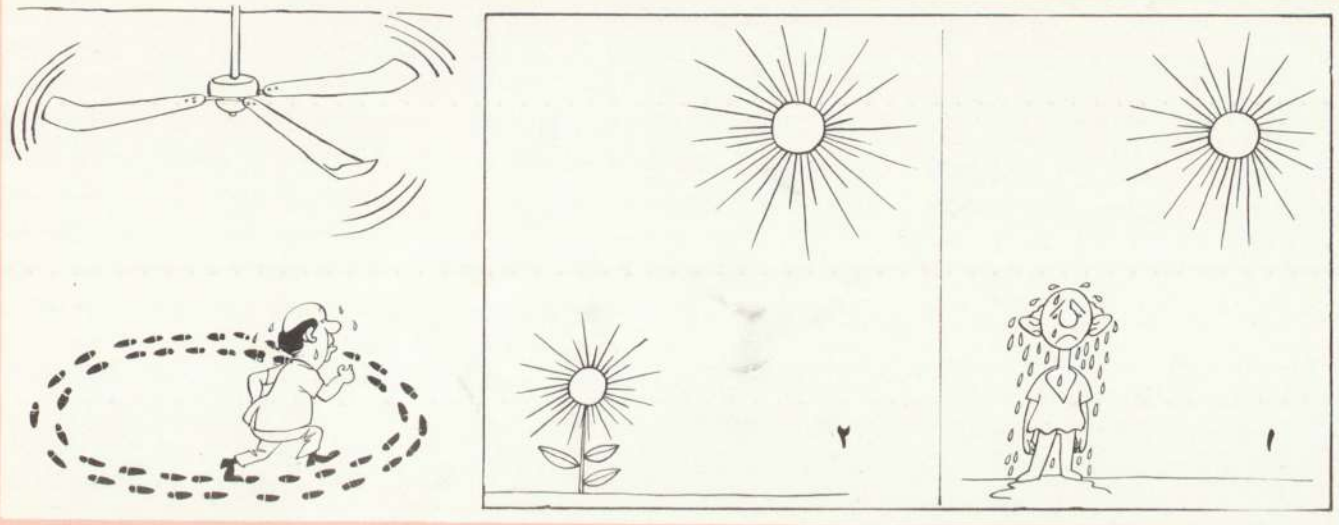
وهنا تنبه جورج أبيض الى اننى كنت أكتب كل ما يقول فسالنى :

ـ احنا مش اتفقنا انك مش حتكتب حاجه ؟

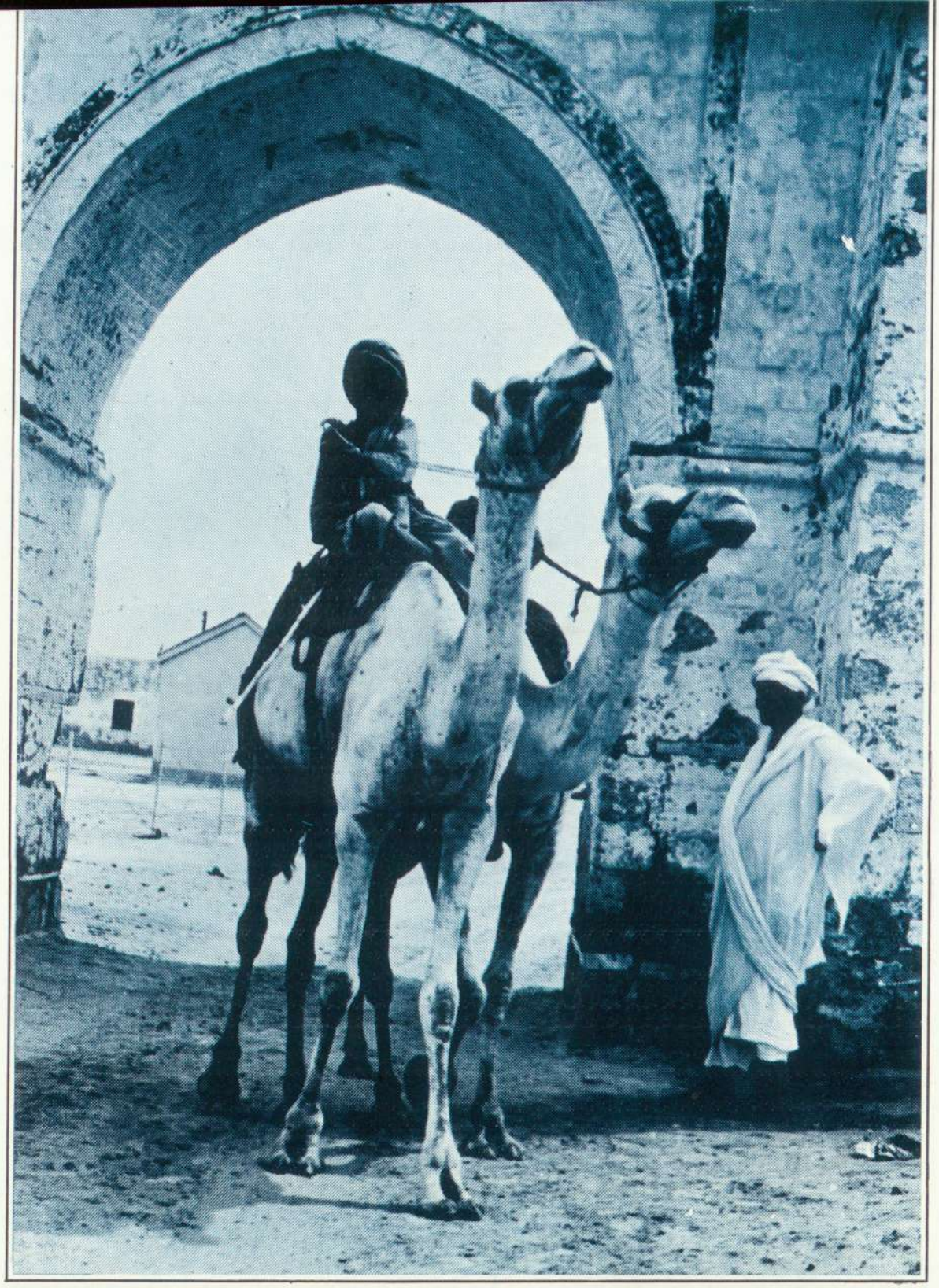
فاكدت له أن ما أكتبه ساحتفظ به لنفسى ولن أنشره فى الجرائد وجاء أحد السعاة من داخل مبنى المسرح ليطلب جورج بك لمكالمة تليفونية فاستاذن مهرولا ...«دا لازم الدكتور» ...

ومن بعدها لم أر جورج أبيض ... ولكنى لم يفتنى حين وفاته ان أؤبنه بكلمة قلت فيها ...«ان وفاة جورج ابيض تعنى انهيار اكبر صرح فى بناء مسرحنا المعاصر» ....

نعمان عاشور



أخبار من الخيال في شرق السودان



كمال سعد

لأن السودانْ ـ كما يقولون ـ قارة متنوعة الثقافات ، فان رحلتى الى الجنوب بما فيه من قبائل ولغات مختلفة وغابات وجبال ومحاولات مستمرة للتحديث ، جعلتنى أقوم برحلة أخرى الى الشرق لعلنى أتعرف على منطقة قالوا عن طبيعتها أنها أغرب من الخيال، وقالوا أن كل شبر فيها لا يتعامل إلا مع الذين يتذوقون الجمال ويملكون موهبة الافصاح عن شىء من نبض الشعور ، وتتدفق الدماء حارة من قلوبهم كلما أقبلوا على الحركة أو تعمقوا بلا حدود فى روافد الحياة التى تثير فى وجداننا الدهشة والاستغراب !

البطولة النادرة

وبداية فان شرق السودان هو ذلك المكان الذى دفع ثمن ميزته



الاستراتيجية التى جعلت منه جزءاً من مناطق الصراع الأوربى فى الشرق الأوسط وخاصة على البحر الاحمر خلال القرن التاسع عشر ..

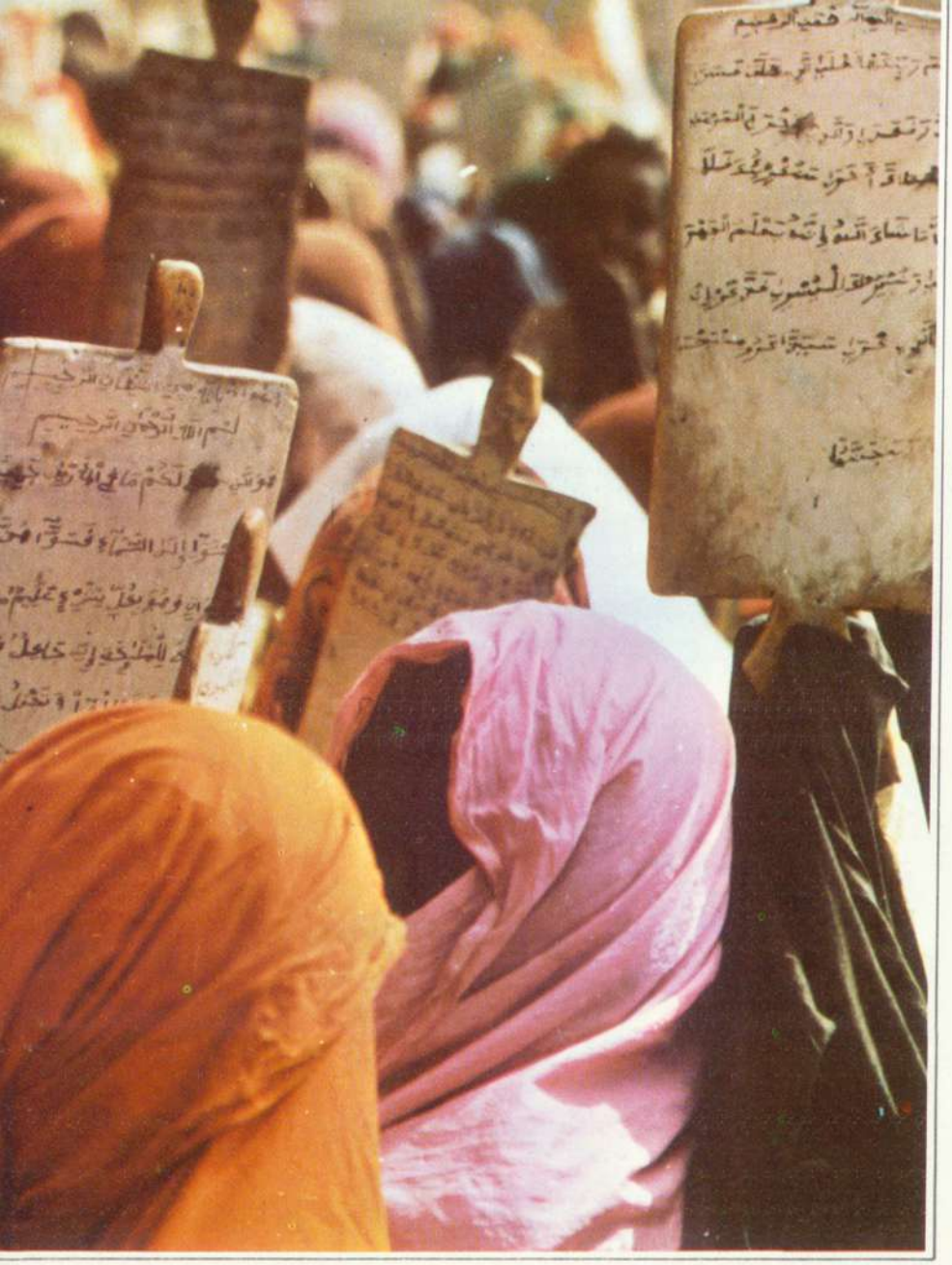
ولعل ابرز ادواره فى نضال الأمة السودانية عندما رفع راية الكفاح ضد المستعمر بقيادة الأمير عثمان ابو بكر دقنه الذى كان يتولى إدارة تلك الامارة الممتدة من مدينة سواكن على البحر الاحمر الى نهر عطبرة ومن ميناء حلايب حتى مصوع شمالا ..

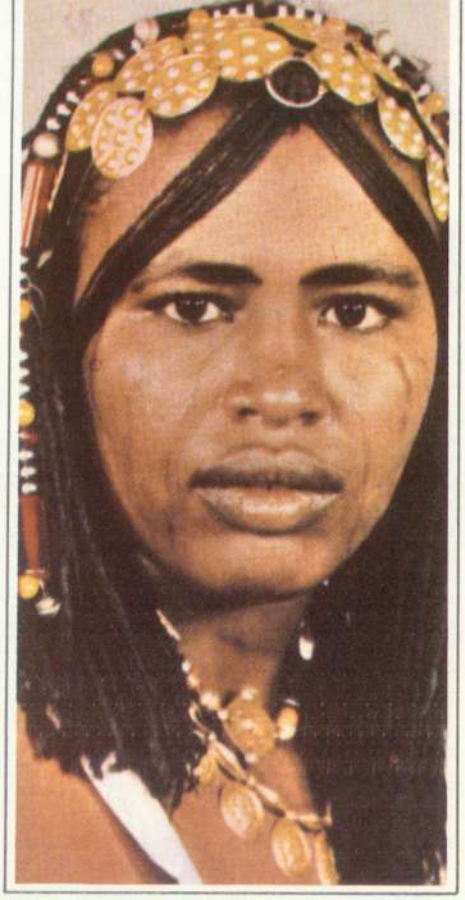
وكان عثمان دقنه زعيماً لا ينازعه احد على شرق السودان ، ولذلك قام فى هذا الاقليم بدور بارز فى نشر الدعوة المهدية وقاد ـ وهو لا يتجاوز الأربعين عاماً ـ حرب العصابات ضد القوات البريطانية باستبسال لا مثيل له «اشار إليه» «ونستون تشرشل» فى مذكراته التى قال فيها انه عندما كان ضابطاً فى الجيش برتبة ملازم اول ، واجه هذا الرجل فى موقعة «كرري» التى جرت فى نهاية القرن التاسع عشر ، وانهم وجدوا انفسهم فى تلك المعركة كحبات الأرز فى حقل زيت مغلى ، فما كان منه إلا أن عبر الكمين فى احد أطرافه وافلت بحصانه !

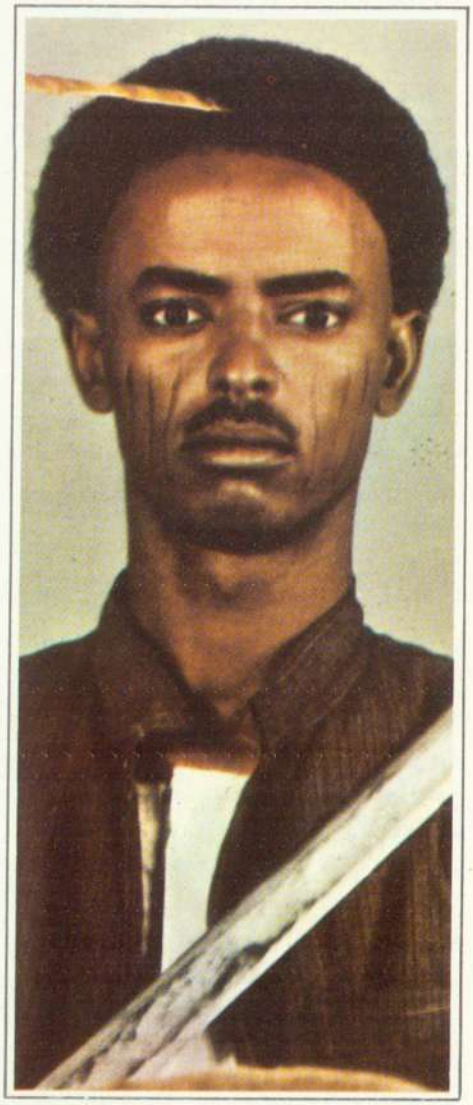
وقد كان عثمان من مواليد مدينة سواكن .. وكانت أسرته ذات حظ كبير فى التجارة ما بين المنطقة ومدينة جدة السعودية ، إلى أن وضعتها الادارة التركية تحت المراقبة ، ثم صادرت تجارتها واستولت على كل أموالها ، ليشب الفتى فقيراً ، كارهاً للاستعمار بكل اشكاله ، وعندما يصبح رجلا يافعاً يسلمه المهدى إدارة شرق السودان ، ويقسم أن يحافظ عليها بحياته ، وينفذ وعده ، فلا يقبل التخاذل او المساومة ، ويدافع عن أرضه فى بطولة نادرة ، ولا يستطيعون كسر شوكته إلا عندما يشترك جيشان فى نزاله وهما الجيش البريطانى والجيش الايطالى ، حيث يأمرون باعتقاله مدى الحياة لخطورته وقوة تاثيره على اتباعه ، فيظل فى معتقل البحر الأحمر منذ عام ١٩٠٠ميلادية إلى أن ينقل الى سجن مصر ثم سجن حلفا فى عام ١٩٠٨ ، ليموت فى عام ١٩٢٦ بعد أن ضعف جسده واصبح طاعناً فى السن ، ولتظل قصته حية فى نفوس كل ابناء السودان .

كارثة الجفاف

وشرق السودان الذى رأى ميلاد وكفاح وموت هذا البطل الأسطورى ، لا يزيد تعداده على مليونى نسمة .. فرغم





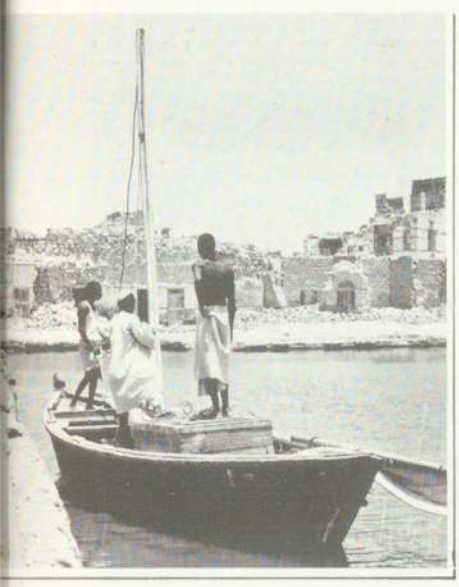


كل مساحته الهائلة فان المنطقة الحيوية الفعالة الآهلة بالسكان ، هى تلك التى تمتد على طول الحدود الاثيوبية الأرترية وتنتهى عند الجهة البحرية فى الشمال الشرقى ، حيث نافذة السودان الوحيدة المطلة على البحر الاحمر بطول ساحلى لا يتجاوز ٧٢٥ كيلو متراً ،والتى تربط البلاد مباشرة بالملاحة العالمية وبالجزيرة العربية ..

اما لماذا يتزاحم السكان فى هذه المنطقة ، بينما نجد مناطق اخرى شبه خالية من السكان ؟ .. فالسبب فى ذلك يتلخص ببساطة فى كلمة واحدة : الماء !

فلولا وجود الدلتا الداخلية التى يحملها خور القاش وخور بركة ، ولولا الآبار ، لكانت المنطقة كلها ـ وليس قطاعات منها ـ يصعب العيش فوق ارضها !

وقد روى لي الاهالى كيف أن هبوط مناسيب المياه فى الآبار ادى منذ حوالى ثلاثين عاماً الى حدوث اكبر كارثة فى تاريخ شرق السودان ، حيث أدت ندرة المياه الى مجاعة هائلة سببها النقص الشديد فى المراعى وهلاك الماشية من العطش ، ووقتها سقطت الأمطار فجاة ، وتصور الأهالى انها ستنقذ بقية القطعان من الهلاك ، وكانت صدمتهم قوية عندما حدث العكس ، لأن الأمطار جاءت فى فترة كانت فيها القطعان مرهقة وضعيفة ، فادى ذلك الى هلاك مجموعات اخرى منها ، بحيث لم ينقذ من الكارثة غير عشرين فى المائة فقط من الثروة الحيوانية ، ونتيجة لذلك انهارت التجارة وعم الكساد كل الأقليم ، وكانت اكثر القبائل تضرراً هى قبيلة الرشايدة الذين لم يعرفوا فى حياتهم غير حرفة







● شعراء «البجاة» يتحدثون عن العطش وحرارة الشمس والأسفار البعيدة !

واحدة هى الرعى، ووجدوا أنفسهم بعد أيام طويلة من المعاناة مضطرين الى العمل كاجراء فى الحقول لأول مرة فى حياتهم !

فالماساة هنا تكمن دائما فى الظما الذى يقضى على كل شىء ، بما فى ذلك العيس أو كرائم الابل وخاصة فى موسم الجفاف الذى يأتى مع شهر يناير ..

إلا أن الرعاة الذين يتجولون دائما بين السهل والجبل حسب وفرة المياه والمرعى ، استطاعوا أن يتغلبوا على العطش بحفر أعداد كبيرة من الآبار التى جعلتهم يستفيدون استفادة بالغة من المياه الجوفية التى لا تنضب فى المنطقة إلا فى النادر !

مشاكل الترحال

ورغم هذه الظروف فان مصادر المياه القادمة من مرتفعات أثيوبيا ، شكلت حالة من الاستقرار فى المنطقة لقبائل عديدة ذات جذور عربية استوطنتها منذ القدم محترفة الرعى والزراعة ، ناقلة معها الثقافات العربية والاسلامية التى توارثها الأحفاد عن الأجداد ..

وقد ساعد على تطوير المنطقة هذا الطريق البرى الذى أعد مؤخراً ليبدأ من بورتسودان مروراً بمدينة كسلا لينتهى فى قلب عاصمة الجزيرة وهى واد مدنى ، ثم ينتقل إلى الخرطوم ..

إن هذا الطريق أصبح يمثل شرياناً اقتصادياً حيوياً يمر بالعديد من مشروعات التنمية الاقتصادية ، وييسر سهولة انسياب واردات السودان برياً ، جنباً الى جنب مع خط السكك الحديدية و خط أنابيب البترول الذى يمتد من بورتسودان الى الخرطوم ..

وإذا كان خبراء الاقتصاد يؤكدون أن عمليات التنقيب المستمرة عن البترول والغاز الطبيعى والذهب والنحاس ستؤدى الى تغيير نمط الحياة السائدة فى شرق السودان ، فان وجود الميناء وتطويره قد استلب أعداداً كبيرة من الرعويين فى العمالة اليدوية ، مشكلين بدايات المدن فى الشرق ..

وقد عانت الحكومات السودانية كثيراً فى سبيل استقرار الرعويين الرحل .. وكان مبعث هذه المعاناة ضرورة إيصال الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية الى مناطق تجمعاتهم ، التى كان يحول من وصولها طبيعة ترحالهم الدائم ..

إلا أنه مؤخراً لجأت الدولة الى توزيع الخدمات الصحية فى نقاط تقرب من مناطق التجوال .. ومازالت الجهود تبذل لتوفير الخدمات التعليمية عن طريق المدارس المتنقلة التى تصحب هؤلاء الرحل لتعليم أبنائهم .. أما الخدمات البريدية التى كان يعتمد فيها على الجمال فقط ، فهى الآن مركزة فى قاطرات السكك الحديدية التى تمر بانتظام فى المنطقة ، والتى تقدم الخدمات لكافة السكان المنتشرين فى مناطق متعددة !

فنون القبيلة

وأهم سكان شرق السودان هم «البجة» الذين ينضوى تحت لوائهم عشر قبائل رئيسية من أهمها الأمارار والهدندوة والأرتيقة والبنى عامر والحباب .. ومعظم أبناء هذه القبائل لهم لغة خاصة هى اللغة البجاوية وهى لغة حامية دخلها كثير من الألفاظ العربية ..

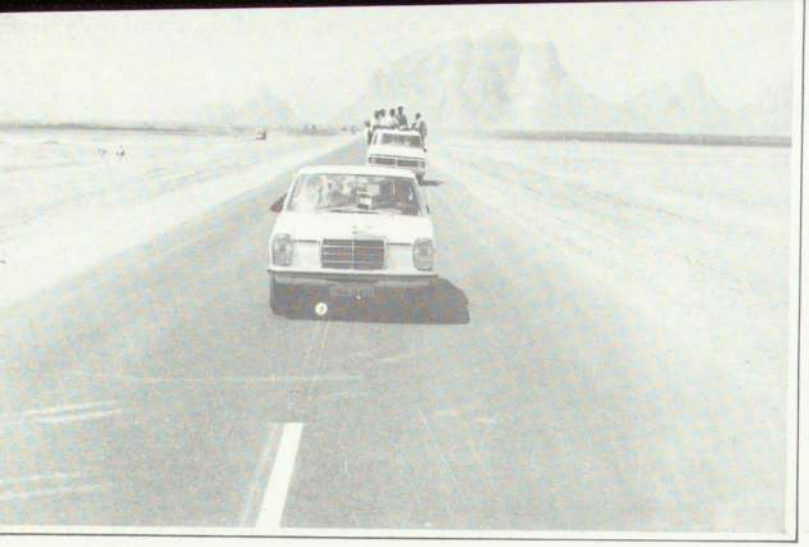
والرعاة فى هذه القبائل يعنون بالأوسام التى يرسمونها على الحيوانات بالكي ، وتعد بمثابة علامات للتعرف على ثروة كل قبيلة ..

وقبائل البجة لا تتقاتل إلا بسبب الخلافات على الأراضى الزراعية والآبار والحيوانات والنساء .. ومن أغرب عاداتهم أنهم إذا أخرجوا سيفاً من غمده لا يعيدونه إلا إذا ضربوا به أى شىء .. كما أنهم يفضلون الزواج المبكر بحجة ستر الأعراض ويشجعون زواج الأقارب لأنهم خير لبعضهم البعض !

وهم يعشقون الموسيقى ، وتشكل الربابة أهم آلاتهم الموسيقية ، ثم يليها الناى ، وتستعمل نساؤهم «الدلوكة» فى الايقاع ، وإذا أردت أن تثير أى واحد منهم فاقطع وتر ربابته وهو يعزف ، إن رد فعل هذا العمل قد يكلفك حياتك !

أما الشعر فله مكانة خاصة فى قلوبهم ولكل قبيلة شعراؤها الذين يفخرون بالآباء والديار ويتحدثون عن الأسفار البعيدة والدروب الصعبة الوعرة وحرارة الشمس والعطش والمرض والجوع وسهر الليالى .. وعندما يتحدثون عن فنون القتال تلمح فرسانهم يصولون ويجولون دون أدنى خوف من الموت ، وترى أسلحتهم البيضاء وسيوفهم وحرابهم التى لا تخيب ضرباتها !

وفى هذه الأشعار تلاحظ عادة الثأر قوية ، متأصلة فى النفوس ، ولعل





• « تـاجـوج » الفتـــاة العربيـــة المفـرطـة الجمـــال التى أحبهـا أشجع الفـــرسـان !

شاعرهم «البجابدرى» قد لخص العادة فى شعره عندما قال :

ـ اذا حاربنا فاننا لا نجزع لما يصيبنا ونعيد الكرة على الأعداء لنشفى صدورنا !

أشجع الفرسان

ولكل قبيلة من قبائل البجة صفات تميزهم عن غيرهم فقبيلة الامارار هى ابرعهم فى القتال وقوة التحمل .. والهدندوة اكثرهم تملكا للأرض الزراعية والثروة الحيوانية ، وهم جادون ، سريعو الغضب ، لا يحبون المزاح .. بينما ترى قبائل البنى عامر مسالمة ، تنزع الى الحياة الوادعة المستقرة ولا يحلبون ابقارهم بانفسهم لان ذلك فى نظرهم لا يليق بهم كاسياد .. اما قبائل الحلنقة فهم يعشقون الخيول ، ورغم انك ترى اكثرهم والسوط فى يده ، إلا انهم متسامحون متساهلون كرماء مع الضيف يقدمون له اللبن والحبوب واللحوم والقهوة !

وعموما فكل قبائل البجة تشترك فى رشاقة الاجسام والشعر المجعد المسترسل ، والمبالغة فى احترام النساء ، وكلما زادت أعداد الابل فى قبيلتهم كلما كان ذلك يعنى ارتفاع مكانة القبيلة وزيادة نفوذها .

وغير البجة ، يعيش بالقرب من مدينة كسلا قبيلة الرشايدة وهى من القبائل العربية التى نزحت الى السودان ، وافرادها يميلون الى الترحال الدائم ، واغلبهم يعملون فى تجارة الابل ونساؤهم لا يكشفن عن وجوههن ، وشجاعة رجالهم تجعل لهم مهابة فى كل المنطقة رغم قلة التعداد !

وإذا كنت قد سمعت عن قصة «تاجوج» الفتاة العربية المفرطة الجمال ، التى احبها اشجع الفرسان «المحلق» واصبح سكان المنطقة يتناقلون قصتها فى موروثاتهم الشعبية ، فهى من ضمن قبيلة تسكن ـ ايضا ـ منطقة شرق السودان واسمها «الحمران» ..

وقد ذاعت شهرة جمال نساء هذه القبيلة ، وكان رجالهم فى الماضى يحملون سيوفهم ويخرجون بجيادهم ليطاردوا الاسود والافيال ويعودون بجلودها بعد كل رحلة صيد !

وبالمناسبة فان قصة «المحلق» وفتاته «تاجوج» سيقدمها السينمائيون السودانيون فى فيلم سودانى طويل لا يكتفى فيه فقط بسرد الحدوتة ، ولكنه سيلقى الاضواء على حياة قبيلتها الصغيرة التى تسكن منطقة نهر ستيت عند الحدود السودانية الاثيوبية !

الحياة الجديدة

وقد راى شرق السودان فى السنوات الاخيرة عدة مشروعات صناعية فى نطاق خطة التنمية ، خاصة فى مدينة بورتسودان وكسلا .. هذا الى جانب المشروعات الزراعية فى دلتا القاش وخور بركة حيث ينتج اجود انواع القطن ، مع العلم بان مدينة كسلا هى مصدر الخضروات والفاكهة على نطاق القطر ، وهى تضم مزارع لأجود انواع الموز .

وفى البحر الاحمر الملىء بالصخور البللورية ذات الاشكال الرائعة والتى ترتفع بعض قممها الى اكثر من الفى متر ، قامت الموانىء البحرية التى لم تزد طوال تاريخها على ميناء واحد .. ففى اثناء الحروب الصليبية كان هناك ميناء «عيذاب» .. ثم اختفى هذا الميناء ليحل محله منذ القرن العاشر الميلادى ميناء سواكن بسحنة عربية اسلامية وبزخرفة معمارية فى مبانى المدينة متعددة الطوابق ، تستمد طرزها من العنصرين العربى والافريقى ..

واصبح ميناء سواكن فى القرن السادس عشر منافسا خطيرا لميناء لشبونة الاسبانى ، نتيجة لموقعه الفريد الذى حماه من قراصنة البحر وغارات البر !

وكان يفد على المدينة النابضة بالحياة والثروة تجار من كل صوب ، حتى من الصين والبرتغال ، وكانت كل افريقيا تتخذ منها نقطة تجمع للابحار الى رحلة الحج ..

غير أن النعيم لا يدوم ـ كما نصحنا اجدادنا في الماضى ـ فسرعان ما طوى المدينة الزمن ، واصبحت شعبها المرجانية على الساحل تعوق السفن .. ووقتها ذهب الكولونيل «دالستون كيندى» بتكليف من وزارة الاشغال العامة لاعداد تقرير عن الميناء .. وعاد الخبير الانجليزى ليقدم أوراقه التى كانت تحمل حكما بالاعدام لا رجعة فيه

واخذوا برايه ، ونقلوا الميناء الى خليج واسع عميق امام مرسى الشيخ برغوث الواقع شمال سواكن بنحو ٤٠ ميلا .. وببداية ظهور الميناء الجديد فى عام ١٩٠٥ اطلقوا عليه اسم بورتسودان



.. وفى عام ١٩٢٢ صدرت الأوامر بعدم استقبال أى سفينة على ساحل سواكن .. وعندئذ أصبحت المدينة ذات المنازل البيضاء والنوافذ الخشبية الملونة ، أشبه بمدن الأشباح ، صامتة ميتة ، لا تسمع فيها إلا صفير الريح ومواء القطط !

إحياء سواكن

وتحولت مدينة بورتسودان بسرعة هائلة الى مدينة كبرى ، وأصبحت المدينة الثانية فى السودان من ناحية تعداد السكان والمدينة الأولى من ناحية استيعاب أكبر عدد من الأجانب ..

غير أن مدينة بورتسودان بطرزها العصرية وحركتها التى لا تهدأ لم تستطع أن تعوض جمال مدينة سواكن التى مازالت قبلة لعشاق الفنون ، الذين يقفون الساعات أمام أشهر المبانى الدالة على عظمة المدينة الغابرة خاصة المساجد الاسلامية ذات الزخرفة البديعة وقصر الشناوى الذى جعلت غرفه بعدد أيام السنة ..

ولعل هذا الجمال دفع الكثيرين من أبناء السودان المثقفين إلى المطالبة بضرورة إعادة تعمير مدينة سواكن مع المحافظة على مبانيها القديمة .. خاصة وأن هذا التعمير لن يكلف الدولة الكثير ، فالمطلوب هو مجرد اعتماد ميزانية محدودة لصيانة المبانى الحالية وترميمها !

ووقف الى جوار هؤلاء بعض الفنيين الذين لا يطالبون باعادة ترميم المبانى فقط ، بل يطالبون باعادة فتح الميناء لأن الاعتماد على ميناء واحد فى الاستيراد والتصدير مسالة غير عملية بالنسبة للدولة ، وأنه مع قليل من الرعاية يمكن اعادة ساحل سواكن لاستقبال السفن الصغيرة ، خاصة وأنه مازال حتى يومنا هذا مقراً لرسو السفن التى تاتيه – فقط – فى موسم الحج لنقل الحجاج الى جدة !

خلاوى القرآن

ومن مدن البحر الأحمر النابضة بالحياة فى الشرق .. المصيف الجبلى الشهير فى مدينة أركويت الواقعة على تلال مرتفعة فى قلب الصحراء على بعد ٤٥ كيلو متراً جنوب غرب سواكن ، وهو مصيف السودان الأول ، تغطى جباله الأشجار وتملأ سهوله الخضرة الدائمة وتشكيلة من النباتات النادرة ، وتصله بالقطار ، لتتسلق الجبال إذا كنت من محبى هذه



الهواية ، أو تمتطى جمال قبيلة الهدندوة أو تشاهد زرقة البحر الاحمر من جبل الست ، أو تزور قبر البطل السودانى عثمان دقنه !

وباتي بعد هذه المدينة من ناحية الاهمية مدينتان : سنكات التى تتمتع بمركز استراتيجى على أسهل طريق من النيل الى البحر ومدينة جبيت التى كانت منجماً مشهوراً للذهب !

أما فى جنوب الشرق أو بعيداً عن خط البحر الأحمر ، فاننا نقابل عدة مدن من بينها أروما وطوكر وترنكيتات ، إلا أن أكثرها أهمية وحيوية هى مدينة كسلا التى تبدو أمامنا تحت جبالها التى ترتفع نحو ٨٥١ متراً .. وهى مدينة ترى فيها التمازج الفريد بين العلاقات العربية والأفريقية .. وهى تشكل مفتاح السودان عند ارتيريا . وقد بدات اهمية المدينة منذ ظهرت تحت سفح جبلها قرية الختمية .. وزادت أهميتها عندما سكنها منذ القدم ، عائلة المراغنة وهم أهل دين وصلاح ، ومن تجمع المريدين حولهم بدأوا فى العمل على نشر الدين والمعرفة وتحفيظ القرآن ، جنباً الى جنب مع بعض رجال القبائل أمثال الشيخ على بيتاى وآل ترك وآل دقنه الذين أسهموا فى نشر الدين والتعليم والمعرفة ، فعرفت تلك المناطق فى غياب المدارس النظامية الحكومية فى السابق ، خلاوى القرآن وما يتبعها من كتاتيب .. ومازالت هذه الخلاوى تقوم بدورها فى تعليم القرآن ولها أثر كبير على حياة الناس وترابطهم الدينى والاجتماعى ..

إلا أنه بظهور الحركة المهدية تحولت المدينة الى ترسانة عسكرية ، وتعرضت للتدمير من المستعمر فى بعض أجزائها ، واحتلها الايطاليون فى عام ١٨٩٤ بالاتفاق مع الانجليز الذين زحفوا إليها عقب ذلك بثلاث سنوات واستولوا عليها عقب انسحاب القوات الايطالية .. والغريب فى الأمر أن الايطاليين احتلوها مرة ثانية فى عام ١٩٤٠ وظلوا بها عاماً واحداً !

وهكذا نرى أن شرق السودان الذى كان جسراً للاتصال بالعالم القديم ومعبراً للهجرات العربية القديمة ، مازال يحمل فى طبيعته أسراراً أغرب من الخيال ، ومازال كل شبر فيه لا يتعامل إلا مع الذين يتذوقون الجمال ويعشقون روافد الحياة التى تثير فى وجداننا الدهشة والاستغراب !

كمال سعد

عبد المنعم الجداوى

زوجة المشنوق تحمل صندوق الهدايا



تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين أحبهم

أوثقوه بالقيود الحديدية و سرقوا كل شىء .. حتى زجاج النوافذ !

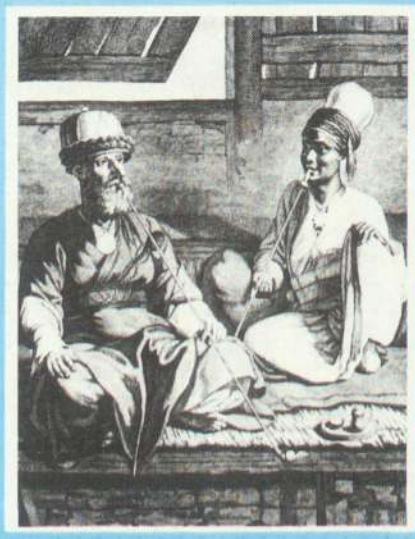
●●● قاطع طريق .. فاجر .. مؤذ لجاره .. تهم ثلاث رموه بها .. أحاطت به لا لشىء إلا لأنه أصر على الدفاع عن أهله .. وماله .. وعرضه .. فعندما أقبلت عسكر المماليك تريد السلب والنهب .. تصدى لهم .. قاتلهم .. طاردهم .. استنهض أبناء حيه ضدهم .. تصارع أبناء الحارات .. خرجوا بالخناجر ، والعصى ، والبلط ، والسواطير .. هرب العسكر .. ذهبوا الى الكاشف .. حملوا اليه رشوة .. قالوا له «ابن البسطى» رفض أن يدفع .. مع أنه من أغنى التجار .. جرد المملوك «حسين الشفت» تجريدة توجهت إلى «باب الشعرية» ، وجعلتها غزوة ضد الآمنين !

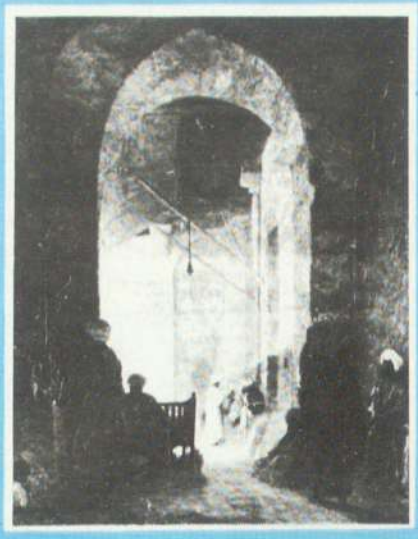
لم يحزنه أمر المماليك ، فهو لا يرجو منهم عدلا .. الذى أحزنه أنهم جاءوا بشهود أربعة ، من أشباه الرجال .. أربعة من أبناء الحى .. تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين أحبهم .. فالذى جعله يموت ألف مرة شهود الزور الذين يشنق من أجلهم .. هؤلاء الجوعى المعلقون من أجفانهم .. المنافقون الذين يقبلون حبال المشانق ، ويغنون للكرابيج تلهب ظهورهم ، ويرتلون أهازيج الذل فى رحاب العبودية !

غضب الحارة

حقيقة الأمر أنه أحس بالمهانة ، اذا ترك الجندى يأخذ البضاعة بلا ثمن .. فهو يحمى الحى كله .. فكيف يرضى لنفسه الظلم ؟ . لهذا طلب ثمن «الصينى» الذى اشتراه الجندى .. فاثار حفيظته ، وجن جنونه ، والقى بالصينى على الأرض فحطمه ، وأصر على أن يؤدبه ، حتى يكون عبرة لغيره ، والا كلما اشترى الجندى شيئا دفع ثمنه !

وثارت أعماق «ابن البسطى» ،





واعماقه مشحونة .. مملوءة بالحقد المخزون .. إنهال على الجندى ضربا .. انضم الى الجندى زملاؤه .. وانضم الى التاجر أهله .. انفجر المرجل .. تنادى ابناء «باب الشعرية» .. خرجوا من الحارات يقودهم الغضب .. تدفعهم «هستيريا» جماعية .. تماسك خفى .. يظهر فجاة عند الناس البسطاء ، كلما الم بهم الخطر !

ضربوا العسكر حتى فرقوهم .. أجلوهم عن الحى .. طاردوهم فى الحارات والأزقة ..

ارفعوا المشانق

هرب الجنود من الموت .. .. يركضون نحو بيت القاضى .. اجتازوه الى قصر الكاشف .. قدموا الشكوى مع الرشوة ..فتزلزل زلزال الكاشف .. انتفض غضبان .. ملأ مكانه صخبا .. صاح يا «كتخدا» الأمة فى خطر .. يا « آغا» الحكم يتزعزع .. ماذا بعد ضرب العسكر ..؟ ضاعت هيبتنا .. تطاول علينا الرعاع .. فليخرج أهل «الوجاقات» ـالخيالة وحملة المزاريق ـ والمشاة والصناديد .. لابد من سحق التمرد ، وشنق «ابن البسطى» فى نافذة بيته .. علقوا كل الذين عاونوه على المشانق .. اجمعوا أهل الحى ، ليتعلم الجميع ويروا بعيونهم عاقبة من يعصى أمرى .. أو يعتدى على عساكرى !

انهالت على الحى قعقعة سنابك الخيل ، ارتفع صهيل الخيول .. سرت فى الحارات صلصلة السيوف ، وهى تصطدم بركابات الخيل .. توقف كل شىء فى «باب الشعرية» .. قبع الجميع خلف الأبواب ينتظرون المصائب .. تزاحمت العيون المشرفة بالدموع خلف المشربيات .. عربدت فرقعة السياط فى الشوارع الخالية .. حوصرت الطرق المؤدية الى بيت «ابن البسطى» .. تحولت الحارة الى ثكنة للجنود .. ترجل فرسان مرد .. حطموا الأبواب .. اقتحموا الدار .. نهبوا كل ما كان فى البيت ، حتى زجاج النوافذ خلعوه .. أوثقوا التاجر بالقيود الحديدية .. جروه فى السلاسل .. انطلقت ألف شهقة من ألف صدر فى وقت

زوجة المشنوق
تحمل صندوق الهدايا

• هوت عليها السياط تمزق ملابسها





• تحولت الحياة فى الحارة إلى وليمة شهية للدود والحشرات والهوام !





واحد .. عجز النهر عن الوقوف فى وجه الدموع .. ندت صرخة من مشربية فى أول الحارة .. قالت المرأة الملتاعة فى صوت حزين .. حاد كطرق زجاجة مكسورة .. «يا الف حسرة على شبابك» !

كانت الأم تقف .. ملفوفة بالسواد .. كعمود من الليل .. ترنو الى كل ما يدور فى صبر جليل .. وسكون رهيب .. تتسلل دموعها .. تسيل فى أخاديد وجهها .. لكن بلا فزع .. تقدم على الحزن بيقين قدرى .. لا مفر من وقوع المكتوب .

الجلادون يعدون الحبال .. يصنعون المشنقة لفلذة كبدها .. وهى واقفة تتجه اليها كل العيون .. حتى عيون الجلادين .. ويأتى صوت امرأة من الداخل .. تحطم اغلالا .. تمزق قيوداً من الحبال .. تندفع وفى قدميها بقاياها .. ممزقة الثياب .. خرجت من الدار كفلقة القمر .. القت بنفسها على الشاب الموثق .. صرخت فى جنون .. خذونى بدلا منه .. اشنقونى معه .. لكن الفرسان انقضوا على المرأة .. حملوها .. القوا بها بعيداً .. ارتطمت عظامها بالأرض .. لكنها قاومت فى جنون .. اندفعت مرة أخرى تريد أن تحتضنه .. خيل لها انها قادرة على حمايته .. وهوت عليها السياط تمزق بقية هلاهيلها .. عوت صارخة .. لكنها استمرت فى محاولتها .. تكاثروا عليها .. اقصوها .. تململ البطل فى قيوده .. صاح فيها بصوت رجل على وشك أن يلقى ربه : فاطمة .. اهدئى ، واطلبى لى الرحمة من خالقى .

صرخ كبير الجنود فى جنده .. يستعجلهم صنع المشنقة .. كانوا قد أعدوا كل شىء .. جربوا الحبال التى علقوها فى نافذة المنزل التى طالما أطل منها البطل ، والقى بالاحسان على الفقراء فى المواسم والأعياد ..

وصرخ رئيس الجند فى الشهود الأربعة .. هل هذا هو «ابن البسطى» .. قاطع الطريق .المؤذى لجيرانه .. الفاجر واجابوه فى صوت مكروب ، منقطع الأنفاس ، مهدود من الحزن : نعم !

زوجة المشنوق تحمل صندوق الهدايا

أغلقت بيتها ورفضت تلقي التعازي

نخوة النساء

ولم يفزع لكنه حزن .. لم يجزع لكنه تالم .. هام بصره يبحث بين الوجوه الواجمة عن وجه يمكن ان يقول كلمة حق .. ظلام سود نهار الشمس ، وظلم تسانده تربة صعف ..رجال سلبهم الخوف معنى الحياة .. فباتوا يحسدون الموتى .. ولا يلحقون بالأحياء ..

عقله يتبدد شيئا فشيئا .. فقد اصبح الاحساس فجوراً ، والوقوف فى وجه الظلم قطع طريق ، وحماية الجار اعتداء واذى على الجيران !

وبكت الجدران والنوافذ بصوت مسموع .. وضجت الحارة بالانين والشهيق ، والزفير .. وسقط ضوء النهار على ارض الحارة مغمى عليه .. ومات كل شيء إلا العدم .. تحولت الكتلة التى كانت تضج بالحياة الى وليمة شهية للدود والحشرات ، والهوام .. وتهاوت الام جالسة .. اما فاطمة زوجته ، فقد لطمت خديها ثم سقطت صريعة غيبوبة قاسية .

وعندما افاقت فاطمة .. كان كل شيء قد انتهى .. لم يعد زوجها الا فى قلبها .. نهبوا حانوته .. اخذوا الجثة معهم .. دفنوها فى مكان مجهول ، وكانهم يمحون آثاره دون ان يفطنوا الى انهم يخلدونه

اغلقت فاطمة البيت ولم تعد جنازة .. لم تتلق تعزية .. قامت تدق البيوت .. تقتحمها على اهلها .. كلهم يعرفونه .. كانوا يفتحون لها قلوبهم .. يطاطئون رؤوسهم .. شعروا بالذنب نحوها .. ينحنون من الداخل والخارج .. يودون ان يستغفروا بالاستماع .. تصرخ فى الجميع .. يا رجال الحى .. انا لا اخاطبكم فقد نفضت يدى منكم .. لكنى مازلت اطمع فى نخوة النساء .. يا نساء الحى الى متى تصمتن ؟ .. افتحن آذانكن .. افتحن قلوبكن .. المصير الذى لاقاه زوجى ينتظر ازواجكن .. غداً تصبحن ارامل .. من لا تصبح ارملة ، سوف تصبح ثكلى .. الرجال رجالنا .. علينا ان ندافع عنهم .. «ابن البسطى» ابن «باب الشعرية» كلها .. كلكن أمهات ، وكلكن زوجات .. الرجال اطفالكن فلماذا لاتحرضونهم على اخذ الثار ؟!

المظاهرة بالطبول

طافت بالحارات والازقة .. دخلت كل بيت .. استقبلت بالدموع فى كل مكان .. وافلحت المراة فيما فشل فيه الرجال .. ماكادت شمس اليوم التالى تشرق ..حتى كان «باب الشعرية» يغلى .. صعد المؤذنون على المآذن ، فاذنوا للجهاد .. اغلق التجار حوانيتهم ، خرجوا يحملون البيارق والاعلام .. وخلفهم آلاف النسوة يندبن .. يصرخن .. ينعين «ابن البسطى» ، ويطلبن الانصاف من عسكر المماليك .. واخترقت المظاهرة التى تتقدمها الطبول ..شارع امير الجيوش .. فالغورية ، واتجهت الى الأزهر .. فهرع المشايخ لاستقبال كبارها .. فشرحوا للمشايخ ما كان بالامس .. وركب شيخ الازهر بغلته فى مقدمة المظاهرة ..



أطلقـــوا عليـــه « الشـــفت » لشـدة ولعـــه بالذهـــب !

اتجهوا الى القلعة .. يرفعون بلواهم الى «الباشا» .. وحمل النسوة «فاطمة» فى هودج .. تنوح من فوقه .. وهن يرددن خلفها ما تقوله عن مأثر زوجها .. وشهدت القاهرة يوماً عانق فيه الحزن الغضب .. وأعلن فيه المغلوب عن قهره .. !!

وقفوا فى ميدان القلعة .. حتى عاد اليهم شيخ الأزهر من مقابلة «الباشا» .. قال لهم انه وعد باجراء تحقيق مع «الكاشف» ، ومعاقبة المسئول .. وعادت المظاهرة ، وتفرق الجميع ..

وحينما كانت «فاطمة» عائدة مع النساء .. أشاروا لها فى «باب الخلق» .. على قصر «حسين الشفت» .. وملأت عينيها من قصر الكاشف الذى أمر بشنق زوجها ..

فى مواجهة الكاشف

وكانت القاهرة كلها تعرف ولع الكاشف «حسين» بالهدايا ، والرشاوى ، والذهب .. وقد أطلقوا عليه «الشفت» ومعناها اليهودى لشدة ولعه بالذهب . !

وفى نفس الاسبوع كانت «فاطمة» ترتدى أفخر الثياب ، وحملت صندوقاً من النحاس المطلى بالذهب .. المليء بالزخارف .. حملته تحت أبطها ، ومضت الى بيته .. تقدمت الى الحراس .. قالت انها تحمل هدية الى الكاشف .. أسرعوا يدخلونها .. التقى بها .. أبرزت الصندوق .. كأنها تقدم مولوداً على يديها .. فلما وضعته بين يديه .. ملأت البسمة وجهه .. سألها عن حاجتها .. قالت انها تريد انصافها من جار لها اعتدى عليها وأخذ جزءاً من بيتها .. فجاءت بهذا الصندوق ، وما فيه هدية خالصة «للكاشف البك» .. !

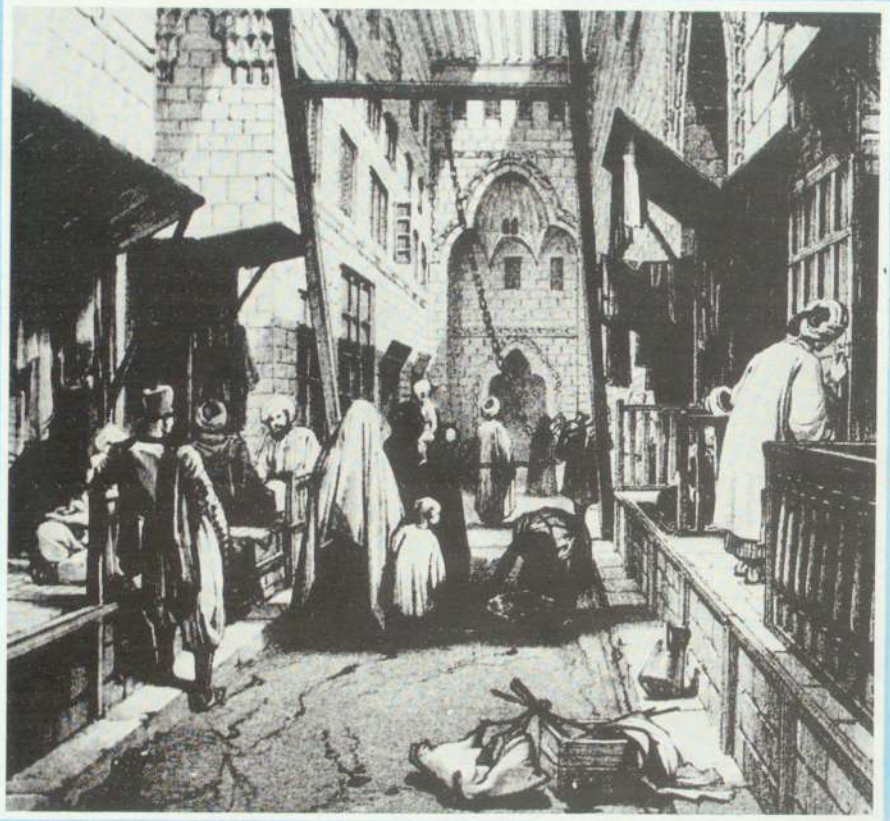
وازدادت اقتراباً منه وهى تفتح الصندوق .. ونظر الى الحراس نظرة .. فتراجعوا حتى لا يروا قدر ما فى الصندوق .. وازدادت اقتراباً منه .. وفتحته فى تان .. ثم خطفت منه خنجراً .. لمع وهجه فى عيون الجميع .. رفعت يدها به فى الهواء ، وهوت به على المملوك الجشع .. فاستدار هارباً صارخاً .. لكن الخنجر كان قد انغرس فى كتفه .. فمزق ملابسه ، وفجر الدم عليها .. وانقض عليها الحراس بالسيوف ، وفى لحظة كانت جثة هامدة !

وكتم المماليك عن الجميع قصة «فاطمة» التى انتقمت لزوجها .. وظل «حسين الشفت» يعالج من جرحه عدة أيام .. ولم تخرج جثة فاطمة من بيته .. فقد ألقوا بها فى بئر للمذنبين .. لكن القاهرة كلها عرفت الخبر .. لأن فاطمة قالت لجاراتها وهى تحمل صندوق الهدايا وتلف جسدها بالرداء الاسود :

أنا ذاهبة للأخذ بثار زوجى .. وإما أعود .. أو ألحق بزوجى بعد أن أرفع رأسه الذى سقط على حبل المشنقة أمام جلاديه وامام كل أهل الحى !

عبد المنعم الجداوى







دمشق

والعصر الذى أدمنته

جمال الغيطانى

...لدمشق عطر باق فى القلب ، دمشق لا تزال تحتفظ بزمانها العربى القديم ، بقدر ما تحوى من رقة وطل وندى ، بقدر ما يحفل ماضيها القصى ، والقريب ، والآنى بتحد عربى ، يخفق القلب منها وتتردد ضرباته فى جنبات التاريخ والعصر ، عندما يسرى الصمت ، وتتوقف قلوب أخرى الى حين ، عندئذ تمتشق الحسام ، يضوى نصله هاديا ، ومذكرا ، ومنشدا ، حتى يلحق به الأصل وينطوى الفرع ، كانت أولى المدن التى رحلت اليها خارج وطنى ، نزلتها زمن الحرب ، ودخان الحرائق ما تزال ، ومدافعها مشرعة ، وصواريخها ترسم خطوطا بيضاء تطارد كائنات الشر المحومة التى جاءت تبغى الأمان ، والصلابة ، والتاريخ ، ثم عدت اليها مرة ثم مرة ، وقاسيون شامخا كما هو ، ولاننى فى هجرة دائمة الى الزمان البعيد فقد رحلت مع دمشق الى العصر الذى أدمنته وعرفته ، وتمنيت لو عشت فيه ، العصر المملوكى ، لعلى أكتشف سر هواها الدفين!

الاسطورة الدمشقية

..لكل مدينة أساطيرها ، والأساطير لدمشقية تعود بها الى بداية الخليقة ، بعد طرد آدم وحواء من الجنة استقرا فى دمشق، لأن دمشق أقرب الأماكن فى عالمنا الأرضى شبها بالجنة ، هكذا رآها العرب الذين كانوا يعيشون فى صحراء قاحلة ، كان لآدم ولدين ، أحدهما راعى ، والآخر يعمل بالزراعة ، وعندما اقبلا على تقديم القرابين الى الرب ، قبل الله ثمار الأرض التى زرعها هابيل ، ولم يقبل قربان قابيل الراعى ، عندئذ امتلأ قلب قابيل حقدا ، أقدم على قتل شقيقه ، الى دمشق تنسب هذه الاسطورة ، حيث الغوطة تمثل الخصب والزرع ، والسهول المحيطة بها تزدحم بالمراعى الفقيرة ، أما قاسيون المرتفع ، فهو أعلى الذرى ، الذى قدمت من فوقه القرابين ، غير أن قاسيون لم يحتمل الجريمة البشعة أطلق صرخة موجعة انبعثت من مغارة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، وحتى القرن السادس الهجرى كانت دماء هابيل البرىء ترى بوضوح فى نفس المكان



واجهة قصر الحير

دمشق
والعصر الذى أدمنته

الذى شهد الجريمة ، وعندما حزن الملائكة ، نزل جبريل ليقدم التعازى الى أبونا آدم ، وكان المكان الذى تم فيه اللقاء كهف جبريل .

يشير القرآن الكريم الى أن السيد المسيح ، وأمه العذراء استقرا فى ربوة ذات قرار معين ، يقول المفسرون أنها دمشق

يؤكد الواقع ان النبى لم يدخل دمشق لكن الاسطورة تقول بغير ذلك ، اذ تذكر زيارته لدمشق .

أسماؤها عديدة ، الشام أقدمها



ويرجعه البعض الى لفظ سام ، ومنها، « عين الشرق كله» اطلقه يوليانوس الرومانى و« دمشق الشام » و « ذات العماد » و « باب الكعبة » و « فسطاط المسلمين » و « العذراء » ، ومن القابها «الفيحاء » و « الغناء » وجنة الارض و«قرية المسرة » واللقب الاخير أطلقه عليها النبى أرميا ،

يقول ياقوت فى معجمه : إن دمشق سميت باسم دماشق بن قانى بن مالك بن ارفخشـذ بن سام بن نوح » ، ويقول فى رواية أخرى « أن العازر غلام ابراهيم بنى دمشق وكان حبشياً وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار ، وكان الغلام يسمى دمشق فسماها باسمه » ، ثم يعود فيعطيها تفسيرا لغوياً « قيل سميت بذلك لانهم دمشقوا فى بنائها أى أسرعوا ، وناقة « دمشق أى سريعة » .

ستيفانوس البيزنطى : الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد يقول : ان اسمها يرجع الى أن البطل دمسكوس ابن الاله هرمس جاء من اليونان الى سوريةوبنى مدينة باسمه .

فى النقوش المصرية القديمة نجد اسمها (خيطا) وتعنى تقريبا (الفضة)

اما المؤرخ استرابون فقد ذكر مغاورها .

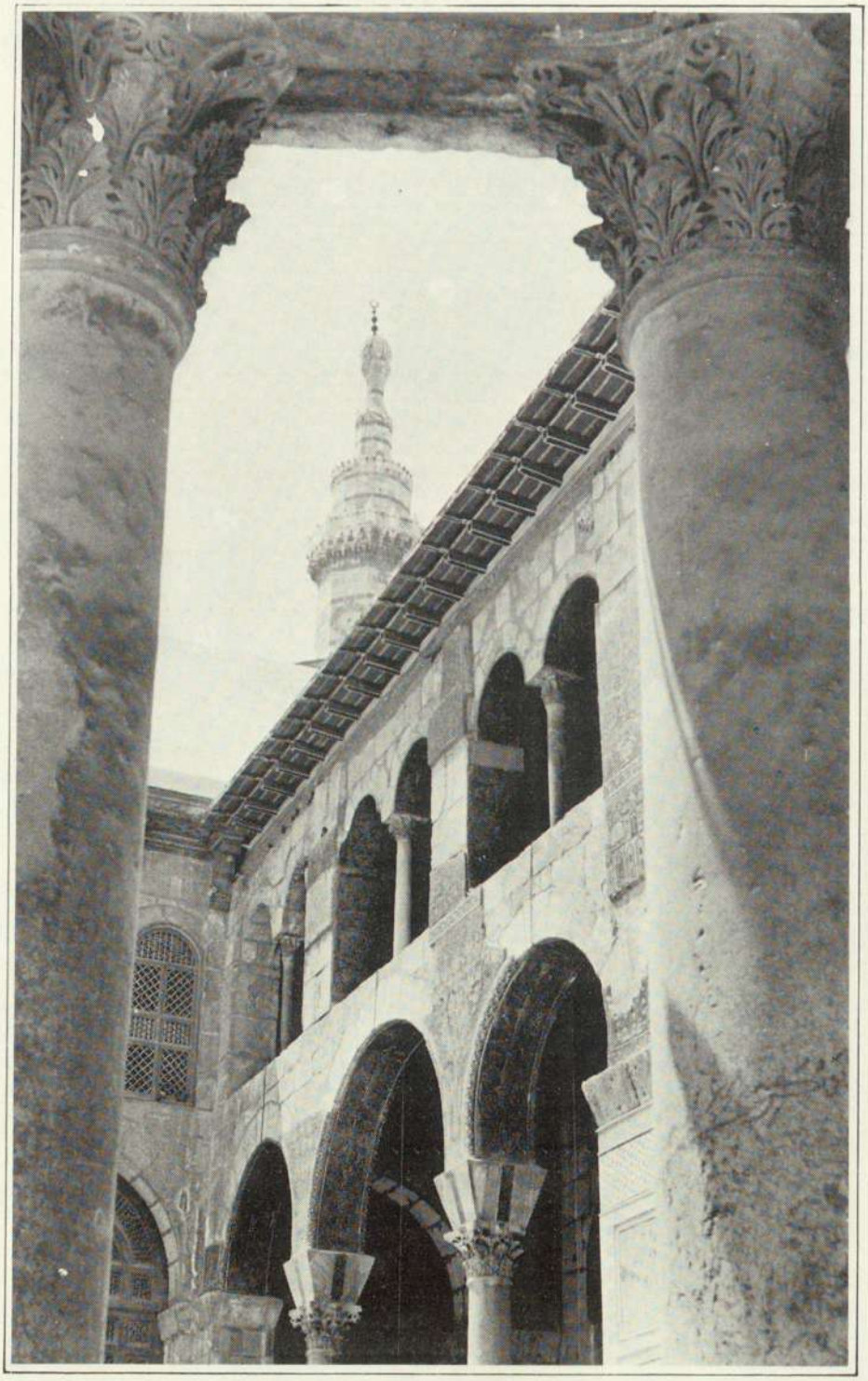
الباحثون يردون الاسم الى أصول كلدانية وسريانية ، ويقولون أن الأسم ورد فى الهيلوغريقية القديمة ، فى آثار تل العمارنة والكرنك بلفظ (تمسقو) و (تيرامسكى) و (دمشقا) ومعناها الأرض الزاهرة ، أو الحديقة الغناء .

لكن ماذا يقول التاريخ المكتوب ؟

المدينة الثانية

تلوح دمشق فى منطقة الشرق القديم كعاصمة للشعب الآرامى منذ بداية الألف الأول ق . م فى سنة ٧٣٢ ق . م تسقط فى أيدى الآشوريين ثم تنتقل الى أيدى البابليين ، ثم تخضع الى الفرس فى القرن السادس ، وفى سنة ٣٣٢ ق . م يحتلها الاسكندر الأكبر ، ومن هنا يرتبط مصيرها لمدة عشرين قرنا بالغرب ، السلوقيين أولا ، ثم الرومان ، ثم البيزنطيين ، وفى سنة ٦١٢ للميلاد سقطت فى أيدى الفرس الساسانيين ، وتمكن هرقل من اخراجهم فى عام ٦٢٧ ميلادية ، ولم تمض سنوات قلائل حتى وقع أهم حدث فى تاريخ دمشق ، أقصد الفتح العربى سنة ١٤ هجرية (٦٣٥ م) وبعد ثلاثين عاما أصبحت عاصمة للأمويين ، ثم تعود مدينة تابعة للعباسيين الذين اتخذوا بغداد قاعدة لهم ، ثم تحولت الى مصر فى عصر الطولونيين ، والاخشيديين ، ثم تتبع الفاطميين ، ثم تسقط بيد الأمير (تومس) السلجوقى وتصبح تابعة لبغداد ، فى

كانت المواكب تتجه الى المسجد الكبير فى احتفالات مهيبة .

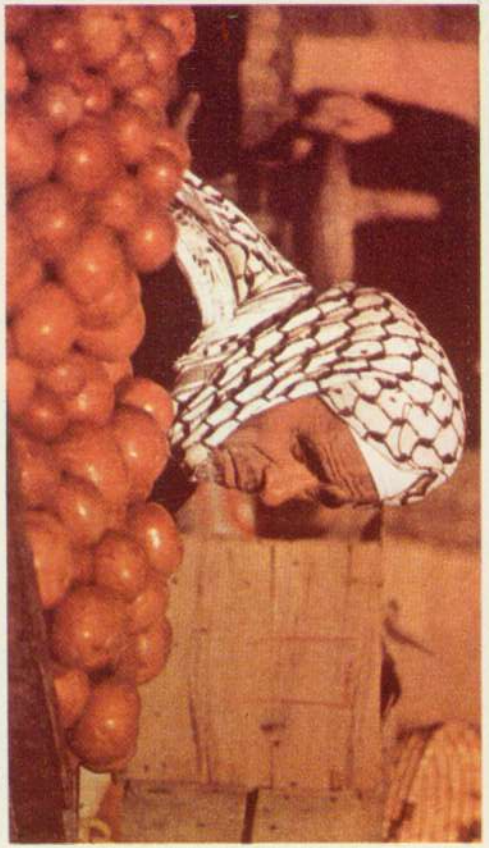


دمشق والعصر الذى أدمنته

الحياة اليومية في دمشق

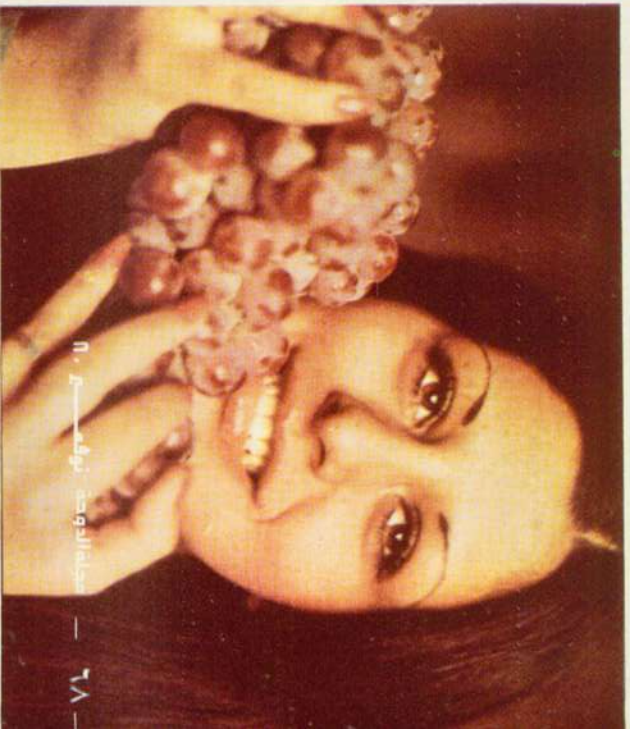


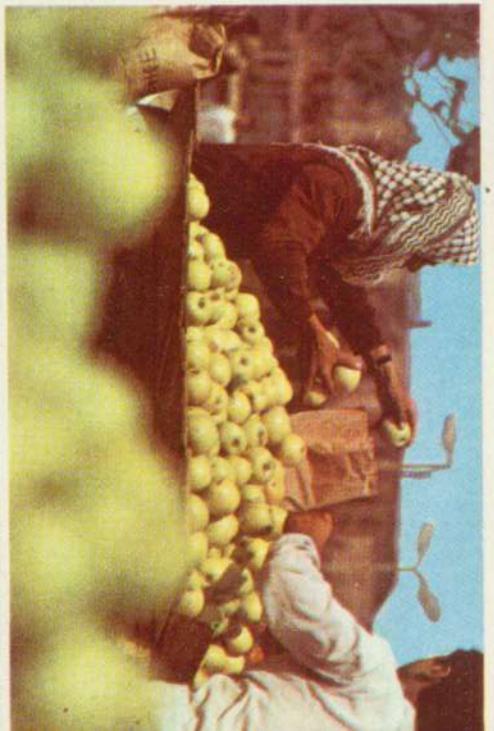




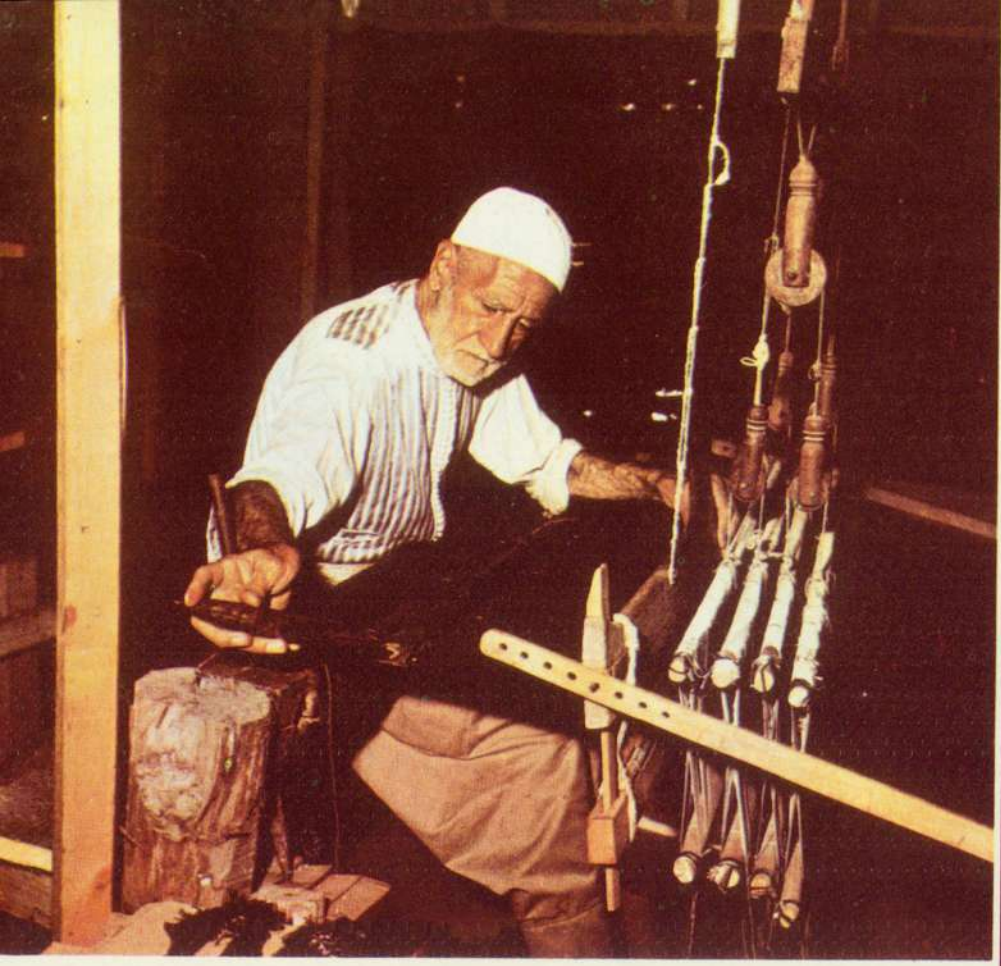










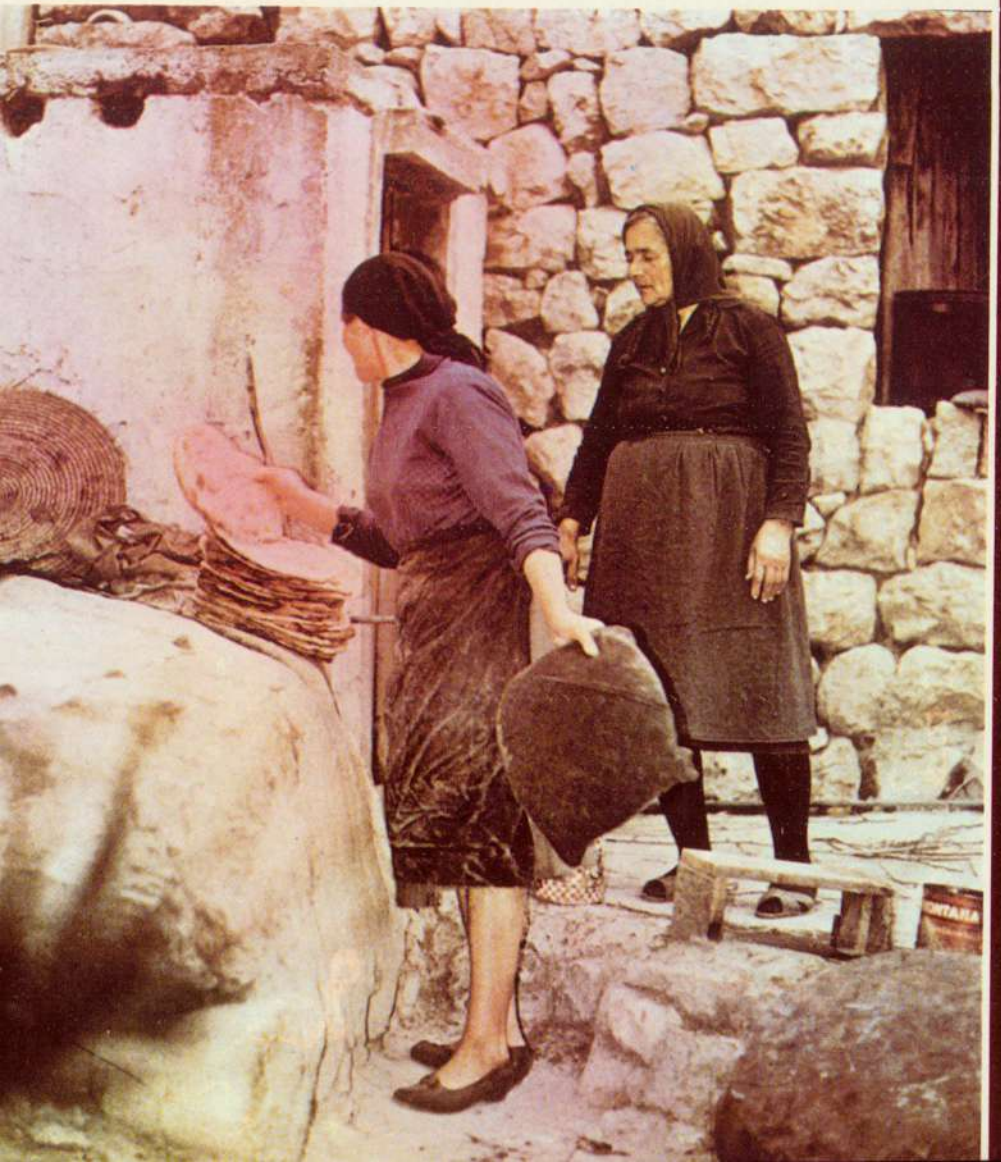


صانع السجاد

هذه المرحلة ظهر الخطر الصليبى ، وفى سنة ١١٣٢ م حاصرها ملك الالمان كونراد الثالث ، واتحدت دمشق مع ملك حلب نور الدين زنكى الذى دخلها فى ١١٥٤ م وجاء بعده صلاح الدين الايوبى ، واستعادت الامجاد الدمشقية زهاءها ورونقها ، حتى جاء هولاكو ، وتحرك المماليك من القاهرة لانقاذ الشام ، واصبحت دمشق هى المدينة الثانية بعد القاهرة طوال العصر المملوكى وحتى الغزو العثمانى سنة ١٥١٧ م .

فى مواجهة الخطر

دمشق فى عصرها المملوكى ، جنة المشرق ، عروس المدن ، ظل ظليل وماء سلسبيل ، تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، رياضها تحيى النفوس بنسيمها العليل ، المدينة ليست مفرطة الكبر ، تميل الى الطول ، معظم مبانيها من طين وقصب ، طبقات بعضها فوق بعض ، أسواقها من أحفل أسواق الدنيا وأحسنها انتظاماً وابدعها وضعاً ، وطبيعي اننى لم أر دمشق فى زمانها المملوكى ، لكن ثمة اجزاء متبقية فى المدينة حتى يومنا هذا تصون هذا الزمن النائى الأفل ، يمكننا استعادته اذا عزلنا مؤثرات عصرنا من الذهن وبعض آثاره من دائرة النظر كاجهزة المذياع ، أو أسلاك الكهرباء ، من هذه المواضع ما تبقى من سور دمشق الذى لا زال يحيط بها ، لم تختف منه الا اجزاء بسيطة ، قسم هام منه بقى على حالته يقع بين باب السلام وباب توما ، هناك بوابات درست تماما ، مثل بوابة (الصالحية) التى كانت تؤدى الى طريق بغداد ، وبوابة الله أو باب مصر ، وباب المصلى وباب الصغير ، وباب الجابية وباب البريد ، أما ما تبقى من أبواب فهى ، باب شرقى ، باب توما ، باب السلام ، باب المناخ ، يمكننا أن نرى برجين أحدهما مستدير يحمل اسم نور الدين زنكى (القرن الثاني عشر الميلادى) والثانى مربع يقع الى الشرق من باب توما يحمل اسم . . . (الصالح أيوب)، فى زمان دمشق المملوكى كان يوجد خندق عميق ملىء بالماء ، ظل موجود حتى القرن التاسع عشر ، وكان عليه جسر أمام كل باب من أبواب دمشق التسعة . ان المدينة محصنة جيدا ، لا عجب ، فهى الموقع الامامى فى امبراطورية المماليك الشاسعة ، انها موقع الصدام الأمامي ، وعندما عاد المغول بعد انكسارهم فى عين جالوت تحملت دمشق الاذى كله ، حدث ذلك خلال حملة قازان المغولى



البيوت القديمة

دمشق
والعصر الذى أدمنته

(٦٩٨ هـ - ١٢٩٩ م) استباح المدينة ، وفعل فيها الفظائع ، حتى لتذكر كتب التاريخ ان القتلى بلغوا مائة الف ، وخرج السلطان بنفسه من القاهرة لصد خطر قازان ، يقول ابن كثير :

اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة والتحرز على الأسوار فدعا الناس فى المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوما مزعجا هائلا ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسرة التتار ، وخرج الناس الى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شىء من المكاسب ، ومعهم رؤوس من رؤوس التتار ، وصارت كسرة التتار تقوى وتزداد قليلا قليلا حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة الخوف لا يصدقون

القلعة المنصورة

وفى سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، جاء تيمور لنك الى دمشق ،حاصر القلعة المنيعة ، وعندما عجز عنها أمر أن ينقب تحتها وتقطع الأشجار وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها أطلق النار فيما تحتها من الأخشاب ... ، الا أن تيمور لنك انسحب من دمشق بسبب الخطر العثمانى فى الشمال ، ثم مات فى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، وكان قد بعث الى سمرقند بخيرة أهالى دمشق من الصناع والفنانين ، والى هؤلاء يرجع ازدهار الفن الاسلامى فى آسيا .

اننا نلمح القلعة ، التى كانت العمود الفقرى لهذا الموقع الأمامى .

تقع القلعة فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، تحتل مساحة تقدر بثلاثة وثلاثين الف متر مربع ، تمتد من باب الفرج فى السور الشمالى الى باب النصر فى السور الغربى

واحتوت على مساجد وحمامات ومدارس حتى أصبحت تشكل مدينة موازية ، فى سنة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م ، هدمها الملك العادل ابو بكر وشيد قلعة أخرى أقوى ، وأكثر حداثة ، وظهرت الى الوجود القلعة المنصورة كما سماها قدامى المؤرخين ،بعد تشييدها بخمسين سنة مرت باول اختبار عندما جاء التتار من أتباع هولاكو سنة ١٢٩٥ م .

سقطت المدينة بأيديهم ، وصمدت القلعة طويلا حتى اخضعها التتار ، ويرممها الظاهر بيبرس بعد أن هزم التتار فى عين جالوت ، وبعد أربعين عاما يعود التتار وتصمد القلعة ، تصدهم ، وبعد قرن كامل يجىء تيمور لنك وتمتنع عليه القلعة ، فيضرب الحصار حولها ويضربها لمدة شهر كامل قبل أن تستسلم

قلعة دمشق لا تزال تقوم حتى الآن ، محتفظة بكثير من أبراجها ، ومساحات من أسوارها

فى هذه المنطقة أيضا يمكن استعادة الزمن المملوكى لدمشق ، الظلال القائمة والحوارى المسقوفة ، ولون الحجارة العتيقة ، وتلك الدكاكين الضيقة

سوق الخيل

كثيرا ما اضطر الدمشقيون الى الدفاع عن مدينتهم ، وأدى ذلك الى التجمع فى طوائف حرفية ، والسكن فى حوارى ، وكانت كل حارة تغلق ليلا واذا ما حوم الخطر فان هذه الطوائف كانت تنظم الأهالى فى الدفاع عن مدينتهم ، وفى السلم كانت ترعى مصالحهم وتقاليد الحرفة وأسرارها ، لكن هذا الوضع لم يكن يسود الا فى فترات الانحلال العابرة وطوال العصر المملوكى لم يتغير شكل المدينة ، اذ ظلت الحارات هى أساس الحياة ، كان المماليك يدركون أهميتها كموقع أمامى ، ومصد للخطر ، لهذا اعتبروها أهم مدينة فى سلطنتهم بعد القاهرة ، وسعوا من ضواحيها ، خاصة فى المنطقة المحيطة بالقاعة ، حيث كان يوجد سوق الخيل والسروج

المدارس والمبانى

احتوت دمشق على اربع وثمانين مدرسة دينية فى العصر المملوكى ، وكان لكل مدرسة وقف ،يزود المدرسة بحاجتها من المدرسين وما يكفل صيانتها والانفاق عليها ، وكانت مبانى المدارس جميلة رائعة ، وبناء المدرسة يتالف من صحن تتوسطه نافورة محفورة من الرخام تحيطه اربعة أروقة ، وفى الوسط يقوم قبر صاحب المدرسة وبانيها ومن أشهر مدارس دمشق ، مدرسة الريحانية ، التى كان ينفق عليها من وقف يتكون من بساتين ، وجزء من مزرعة واسطبل ، وكان بها خمسة وعشرين مدرساً ، يتقاضى كل منهم ١٣٠ درهماً شهريا ، بالاضافة الى كيل كبير من القمح وكيل من الشعير لدابة المدرس ، وخصص ٨٠٠ درهم لتنفق على الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، أما ناظر المدرسة فكان يتقاضى عشر مدخول المدرسة ، وفى الضواحى كانت المدارس فسيحة ، متسعة ، مثل مدارس الصالحية ، والضيائية ، والاتابكية وكانت مدرسة العمرية من اكثر المدارس بالصالحية ثراء ، انشاها العالم ابو عمر ابن قدامة لتدريس المذهب الحنبلي ثم اصبحت فيما بعد مدرسة للمذاهب السنية كلها ، اتسعت مبانيها ، وضمت غرفا صغيرة كى يعيش فيها الطلاب ، وكان الناظر يوزع على الطلاب الف رغيف يوميا ، بخلاف الخبز اللازم لهيئة التدريس ، وفى رمضان تفتح مطابخها للناس حيث



العمارة الاسلامية

يتناول المئات طعام الافطار المكون من اللحم والحبوب والحلوى ، وكانت مكتباتها عامرة ، واستخدامهامباحاً للجميع

عرفت دمشق نوعا اخر من المنشات الخيرية اهتم المماليك ببنائه ، وهو البيمارستانات ، وخلال الفترة الواقعة بين سنتى ٥٤٥هـ ـ ١١٥٠م ، و ٩٠٦هـ ـ١٥٠٠م ، تم بناء تسعة بيمارستانات ،ثم بنى عدد آخر فيما بعد ، كان البيمارستان يقسم الى جزئين واحد للنساء ، والثانى للرجال ، وكل جزء مقسم الى مقاصير ، للجراحة ، ولطب العيون ، والأمراض الباطنية ، والأمراض العقلية ، ويذكر الدكتور نيقولا زيادة فى كتابه « دمشق » وصفادقيقاً لاحد هذه البيمارستانات نقله عن المصادر التاريخية ، وهو البيمارستان القيمرى ، الذى انشاه الأمير سيف الدين الكردى الأصل ، كان يقع على سفح الجبل ، يشرف على دمشق ، يتكون من قاعة كبيرة ترتكز على اعمدة يحيط بهامن جهتين مقاصير للمرضى ، وثمة مقصورة اخرى تستخدم كمخزن للأدوية ، وكان للبيمارستان عيادة خارجية تفتح للجمهور يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وكانت الأدوية تصرف مجاناً للمرضى ، وكان بعض البيمارستانات يضم مدرسة للطب مثل البيمارستان النورى ، وقد الف المدرسون فى هذا البيمارستان ستة وثلاثون كتاباً فى الطب ، وكان لابد من توافر شروط معينة فى الأطباء ، منها أن يكونوا على خلق وذكاء ، وسلامة أعضاء الجسم وحسن ملبس وطيب رائحة ، وقدرة على كتمان أسرار المرضى وأن يكونواراغبين فى شفاء مرضاهم لا الحصول على ثروة منهم ، والحرص على التعليم ومنفعة الناس .

جماعة الزوايا

لازلنا فى دمشق المملوكية ، هنا منشات دينية اخرى تستحق الرؤية انهاالزوايا ، او الخانقوات ، مكان المتصوفةنجد فى دمشق ثمان وسبعين زاوية ، للرجال ، وزاويتين للنساء ،

عرفت المدينة قسوة المجاعات والأوبئة .. لكنها لم تنطفئ أبدا ..

الزوايا اماكن للعبادة ، وللتعليم ، لنر إحدى هذه الزوايا من خلال عين ابن جبير ..

«ومن أعظم ما شاهدناه لهم موضع يعرف بالقصر ، وهو صرح عظيم مستقل فى الهواء ، فى اعلاه مساكن لم ير اجمل اشراقاً منها

ولكل زاوية شيخ يرجع اليه فى امور جماعته ، وشيوخ الزوايا كلهم يتبعون شيخ الشيوخ الذى هو بدوره حلقة اتصال بينهم وبين اصحاب السلطان ، ان مشايخ الزوايا قادرون على إثارة المتاعب امام السلطنة ، ولكن لا يسجل لنا التاريخ انهم فعلوا ذلك ، ويؤكد الواقع ان هذه الزوايا كانت تحت سيطرة الدولة تماماً .

الرحالة والموقع

أثرت اهمية دمشق فى انتعاش احوالها الاقتصادية ، نجد بها العديد من الصناعات العسكرية ، كذلك كانت دمشق مركزا حيويا هاما فى الطريق الى الحج ، كانت نقطة انطلاق الى مكة المكرمة ، ومنها تزود الحجاج بالمؤن، خاصة وان الطريق طويل كانت الابل تقطعه فى ثلاثة شهور ، وفى هذه العصور كان الحجاز بلدا فقيرا لا يفى باحتياجات الحجاج الذين يترددون عليه ولأن دمشق نقطة هامة على الطريق ، فقد قصدها عدد كبير من الرحالة الأوروبيين زارها نيكولو البوغيبوصنى ، وجورجو غوتش ، وبرتراندون دولا بروكييه ، ولودفيكو دى فارتما البولونى ، وقد وصفوا المدينة ، خاصة القلعة ، وقصر بيبرس ، ودار العدل والميدان الاخضر ، وميدان الحصى ، ومواكب نائب السلطنة والاستعراضات العسكرية ، ومغادرة الحجاج لدمشق من نقطة تقع جنوب المدينة ، وأسواق دمشق ، ووصفوا تنظيم الأسواق ، والصناعات ، ولا زال سوق الحميدية يحتفظ بهذا التنظيم المدهش اذ تتوالى فيه أقسام السوق ، خصص كل قسم لسلعة معينة ، فى عصور المماليك اشتهرت دمشق بصناعة المنسوجات ولا تزال حتى الآن ، خاصة المنسوجات الحريرية ، والزجاج ، والخزف ، والفخار ، والشموع والاحذية وقد وصف الرحالة الأوربيون هذه الصناعات بدقة ، وأهم ما يلفت النظر فيها حتى اليوم النمنمة الدمشقية والدقة البالغة

الموكب المهيب

الفخامة من سمات دمشق المملوكية اذا ما جاء السلطان من القاهرة ، تزين المدينة ، وعندما يتجه الى المسجد الأموى درة المساجد فانه يمشى فى موكب حافل ، يتفقد المقصورة بنفسه ويتاكد من زينتها ، فوق رأسهترفع المظلة الصفراء ،بينما ترفع أمامه العلامات والبيارق ، بينما تدق الطبول والكوسات ، نائب السلطنة فى الشام يحذو أيضاً حذو سلطانه ، إن مواكبه فخمة ، اذا خرج للنزهة أو اللعب بالصوالجة يحف به الأمراء يرتدون معاطفهم الحمراء ، يجلس فوق كرس مغطى بالحرير ، يتوسط رجال الدولة ، وكثيرا ما كان يمد اسمطة حافلة ، فى سنة ٧٠٨هـ ـ ١٣٠٨ م ، احتفل المظفر بعيد المولد النبوى ، ذبح خمسة آلاف خروف ، وعشرة آلاف من الطيور المحمرة ومئة الف زبدية من الخضار المطبوخة ، وثلاثون الف صحن من الحلوى .

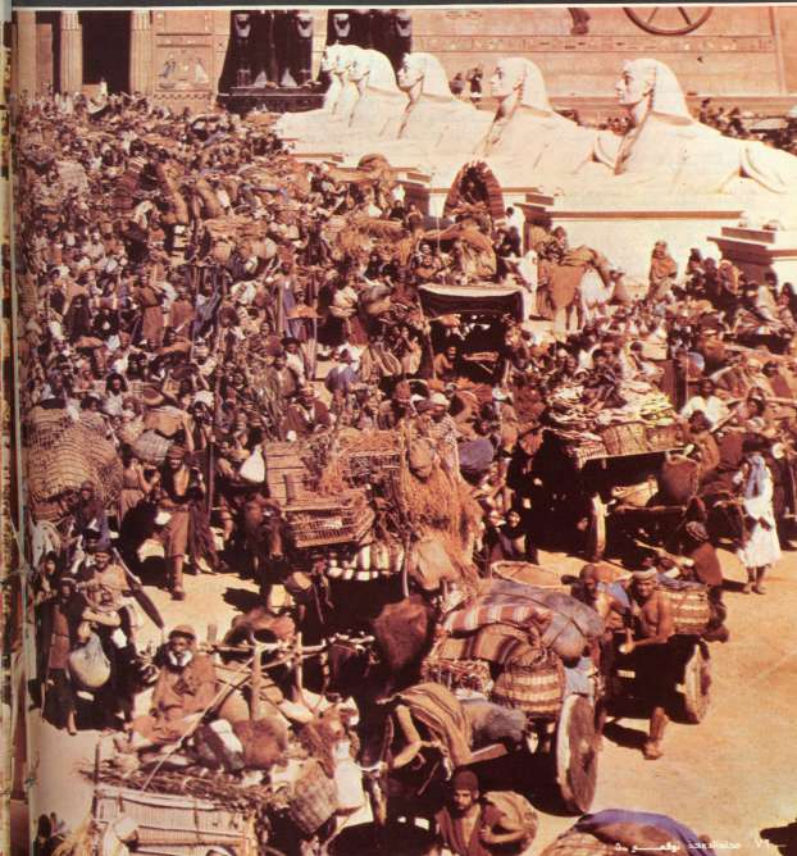
ولا يعنى هذا السماط الحافل ان أيام دمشق المملوكية كانت تمضى على وتيرة واحدة ، فقد عرفت المدينة قسوة المجاعات والأوبئة ، ونوبات ارتفاع الأسعار ، ايام قاسية عديدة مرت بدمشق لكنها لم تنطفىء أبدا ، كانت تعود أكثر حيوية ، حتى لا يبدو لنا الآن من زمانها المملوكى الا التالق والنمنمة ، والصفاء الدمشقى الجميل ! .

جمال الغيطانى

الأسطورة

معجزة الفن التاسع

خيرية البشلاوى

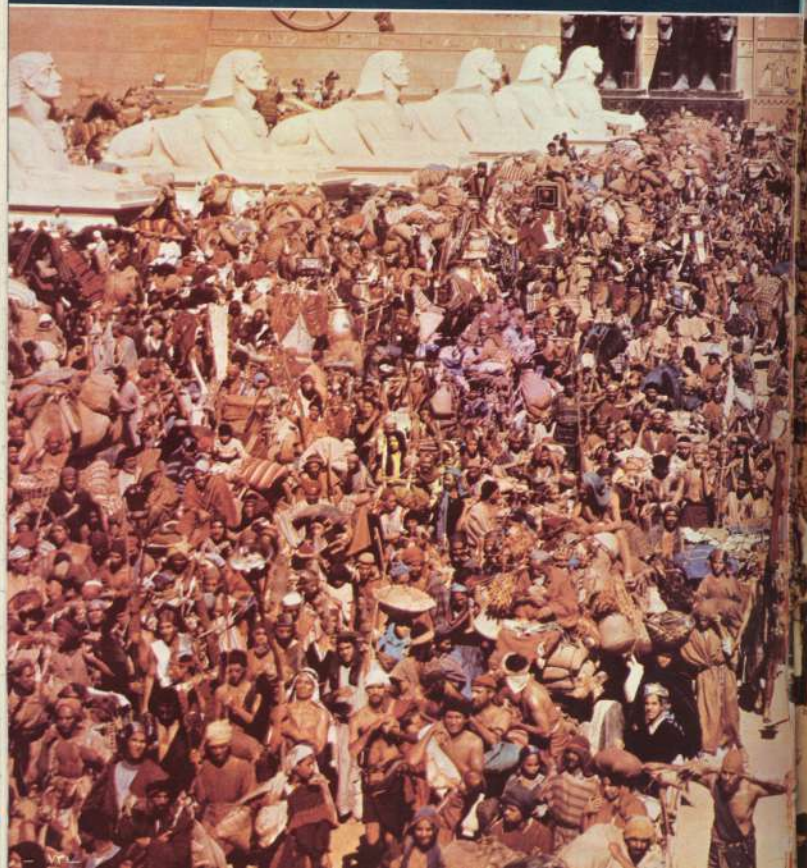


ربما كان «الزواج» الذى تم بين واحد من أقدم أشكال الأدب فى التاريخ الثقافى للعالم ـ الملحمة ـ وبين آخر فن من الفنون التى ابتكرها الانسان ـ السينما ـ هو أكثر الزيجات توفيقا ..

واذا كان الفن السابع هو الفن الذى جمع فى اطاره كل أشكال الفنون الأخرى (التمثيل والرسم والنحت والرقص والموسيقى والمعمار) إلا انه مثله مثل الدراما المسرحية ومثل الأدب الروائى لم يصبح مفعما بشاعرية الصراعات الأساسية ـ الروحية والجسدية والسياسية ـ من تاريخ البشر، إلا حينما التفت الى الموضوعات الملحمية الكبرى التى تقوم على مضمون تجربة سعى الانسان الى فهم معنى لوجوده فى الكون والى اكتساب القيمة الجديرة به فى الأرض.

ومن الممكن ايضا ان نقول ان اقتحام السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية الخاصة بها، لغة الصورة المتحركة التى تضم كل الفنون الأخرى.

وهكذا أضاف اكتشاف تلك



الأسطورة

اقتحام السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية

الموضوعات الى اللغة السينمائية بلاغة واتساعا وعمقا لم تكن لتعرفه لولا أساطير وآثار التاريخ القديم ، وتلك المناظر الضخمة والحشود الهائلة من الممثلين والممثلات والأحداث المثيرة والبطولات الانسانية وجهاد الانبياء وقصص المرسلين وفتوحات أبطال التاريخ وغيرهم ..

المعجزات والخوارق

وقد اكتشف الرواد من صناع الفيلم الامكانيات البصرية والمنظرية التى تتيحها الملحمة ، واتجه لويس لوميير وجورج ملييه الى الموضوعات القومية والى إعادة بناء التاريخ القديم كانوا ببساطة يستعيرون الكثير من أساليب ووسائل فنون الأوبرا والسيرك واحتفالات الطقوس والشعائر الدينية القديمة ومسرحيات الخوارق والمعجزات السلاجة التى كانت غذاء روحيا وفنيا هاما لجماهير الناس فى القرون الوسطى

ولقد نالت الملحمة بما تحمله من امكانيات قوية ومؤثرة ومائلة تعانى من تجاهل «الصور المتحركة» لمدة ١٥ عاما بعد ظهور هذا الفن وخروجه الى الناس عام ١٨٩٥ .

إلا انه بعد عرض الفيلم الملحمى (سقوط روما) عام ١٩٠٨ ، وهو عمل ايطالى بدائى للغاية ، كتب ناقد يقول : إن الظلال تسير الآن حيث يخطو التاريخ

ورغم ذلك فان الملحمة لم تبدأ تأثيرها الا حينما قرر الايطاليون أن يتولوا بانفسهم اخراج تاريخهم وموضوعاتهم القومية على الشاشة ، وقد شجعهم على ذلك تلك الآثار التاريخية العظيمة التى مازالت قائمة ومنتشرة فى بلادهم .

وكانت المحاولات الاولى فى هذا المجال محاولات بسيطة تعتمد على الحكايات السطحية التى تضعها الكتب المدرسية ، ومع ذلك استطاعت هذه الحكايات ان تبهر الناس على بساطتها ،



ظلت الملحمة مهملة لمدة ١٥ عاما بعد ظهور فن السينما

إنها نافذة تعطى الحياة من الماضى إحساسا مليئا بالمغزى والهدف

ذلك لأن المتفرجين وجدوا انفسهم قادرين على أن يعيشوا بانفسهم تجارب اسلافهم العظيمة القديمة ، حيث يروا «اجدادهم» وهم يحاربون البرابرة ويواجهون الضواري في حلبات السيرك الرومانى دفاعا عن دينهم الجديد ، ويخوضون البحار المجهولة ويكتشفون العوالم التى لم تكن قد وقعت عليها عيون بشر من قبل .

وكانت هذه النافذة السحرية نفسها تتيح للمتفرج العادى ان يعيش ولو لساعات قليلة تجارب الملوك والابطال والشهداء العظام التى تعطى للحياة من الماضى طعما قويا واحساسا عظيما بالمغزى والهدف .

قمة الابهار

ولقد قادت عملية البحث عن الابهار البصرى ، وعن المناظر الكبيرة ، والمشاهد الثرية بما تحمله من ايحاءات .. قادت هذه العملية صناع الفيلم الاوائل الى «تحريك» كاميراتهم بحثا عن اكبر مساحة ممكنة يمكن ان يضمها الاطار المحدد للصورة . أى ان البحث عن «روح الملحمة» هو الذى اكسب الكاميرا قدرا كبيرا من مرونتها وحيويتها ، واكسب الفيلم ثقافيته وحركته الديناميكية .

إن الملحمة فى اعظم وانبل صورها هى فى الحقيقة معركة من اجل «المساحة» فوق الشاشة وخارجها ، وفى عمقها وارتفاعها ، ومن اجل الحصول على اكثر الامكانيات التى تتيح اكبر قدر ممكن من الاتساع والعمق ... ولهذا لجأ «جريفيث» الى تغيير شكل الشاشة من ما يشبه المربع الى المستطيل حتى تبدو جدران معبد بابل فى فيلمه التعصب (١٩١٦) اكثر ارتفاعا امام المتفرج .. وكذلك لجأ «ابيل جانس» الى تحقيق طموحه بان لحم ثلاث شاشات إحداها الى جوار الاخرى ، حتى يسمح لجيوش






IX

الأفلام الملحمية تستمد خلودها من مقدرة الفنان الملاحم التى أتاحت للمشاهد رؤية الزلازل والبراكين

نابليون فى فيلمه الذى اخرجه تحت نفس الاسم عام ١٩٢٧ بالحركة وحتى يتيح لعين المتفرج رؤية فاتنة لصور زاهية شديدة الكثافة تمتلىء بالعناصر المرئية الحية .

فن الملاحم

لقد اثرت الملحمة العمل السينمائى السردى ورفعته من مستوى الحدوتة الضحلة إلى شىء اعظم واكثر بهاء واعلى صوتا من الحياة اليومية العادية وقصصها الهادئة ، لكن علينا ان نميز بين الفيلم الملحمى وبين الفيلم المنظرى رغم ان التعريفين لايمكن فصل احدهما عن الاخر ، فالفيلم الملحمى هو فيلم «منظرى» بالضرورة ، اى انه يعتمد على المناظر الضخمة ، وعلى الثراء البصرى للصورة ، وعلى تجميع العناصر المرئية وحشدها داخل اطار الصورة ، ولكن ليس فى إمكان الفيلم «المنظرى» ان يكون بالضرورة فيلما ملحميا ...

والملحمة هى الموضوع الكبير الذى يتجاوز عنصر السرد القصصى الى اشياء اخرى ارقى واعظم وتمتلىء بالايحاءات وبالمعانى والدلالات التى تتجاوز الحدوتة او العملية السردية .. اما العمل «المنظرى» او المشهدى فهو يعتمد على شكل المشهد اكثر من مضمونه .. وحينما يفشل هذا الشكل يتحول الفيلم الى عمل مصطنع ملىء بالادعاء والافتعال .

وفى السينما تستمد الافلام الملحمية خلودها وندرتها من مقدرة الفنان التعبيرية وقدرته على تحويل المضمون الى شىء مرئى كاسح وجامح التاثير . ومن هنا يكون الفنان السينمائى نفسه





الأسطورة

الأستيلاء على انتباه الجمهور بالديكورات الفخمة عندما تحول الفيلم الملحمى إلى شيء ضخم مفتعل

هو المبدع الحقيقى للفيلم الملحمى وليس المصدر الذى استخرج منه موضوع ملحمته .

وقد كان من الممكن ان تصبح رواية «كلانزمان» وتعنى احد الراد العشيرة الى عمل مجهول اذا لم تتحول على ايدى «جريفيث» الى فيلم «مولد أمة» وبالمثل لم تكن حادثة «المدرعة بوتمكين» اكثر من خبر فى جريدة مصورة او واقعة تاريخية لولا فيلم «ايزنشتين» الشهير الذى يحمل هذا العنوان والذى اخرجه عام ١٩٢٥ ..

أبطال التاريخ

ومن ناحية اخرى .. اوحت شخصيات مثل «نابليون» بالكثير من المعانى التى مهدت لصنع روائع سينمائية عظيمة ، لكن تظل الشخصية فوق الشاشة هى المصدر الرئيسى لجلال الفيلم الملحمى الذى يقوم عليها وليس الشخصية كما كتب عنها فى المصدر الذى استلهم منه الفنان مادة فيلمه .

فالفيلم الملحمى هو أساسا لغة سينمائية وليس مجرد نزوع دينى أو قومى أو ثقافى ..

لقد ابتكر فنانون مثل جريفيث وايزنشتين وجانس وانتونى مان لغتهم الخاصة والشكل الفنى الاصيل الذى يتجاوز النزعة العنصرية (فى مولد أمة) والنزعة السياسية (المدرعة بوتمكين) والنزعة القومية فى فيلم «السيد» .

بداية الاكتساح

وقد نال فيلم «كوفاديس» هو النموذج السائد للفيلم «المنظرى» لاكثر من



خمسين عاما . وقد تم اخراجه فى ثوب متعددة ومتنوعة .

ولم يكن «كوفاديس» هو اكثر الملاحم نجاحا أو خلودا ، لكنه كان فى عصره حدثا فنيا ضخما ، فقد امتلأ الشاشة بأشياء حقيقية .. بالأسود من لسيرك ، وبالجياد التى استعارها المخرج من الجيش والجلادين وبالممثلين المحترفين لاداء الأدوار الكبيرة .. ليظل كوفاديس هو النموذج الاكثر شيوعا للفيلم الملحمى حيث تعتمد الملحمة بشكل عام على شخصية او حدث تاريخى له جلاله ومكانته العظيمة . فى الفيلم تجمعت كل عناصر الفيلم الملحمى ، المعارك وعمليات التطبيل بالبشر ، والدمار والموت ، وقدرة البطل الفرد على الانتصار وتخطى العقبات الرهيبة التى يتسحق امامها الناس العاديون - وهناك الانتصار على الشهوة وعبادة اللذات والذهب والشياطين والوحوش والعبادات الوثنية وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية ..

وعندما رأى لأول مرة الجمهور فى امريكا النسخة الاولى من الفيلم للمخرج الايطالى «اتريكو جوازدنى» عام ١٩١٢ ، انفعل على طول امتداد ساعتين بالمناظر وبمشاهد الولائم وحشود الجماهير واللقطات المذهلة لعملية حرق روما ، وقد روعتهم مشاهد القسوة التى يشيعها الأسلوب الذى تم به تنفيذ هذه المشاهد وبالذات عملية القاء المسيحيين فى مواجهة الأسود الجائعة التى تنقض عليهم وتفترسهم بلا رحمة !

وقد أوحى هذا الفيلم الايطالى الى المخرج الامريكى «جريفيث» بعمل فيلم على غرار كوفاديس ، وكانت نتيجة هذا عمل فيلم «جوديث بتوليا» (١٩١٣) وبعده خرج فيلمه الشهير «مولد أمة» عام ١٩١٥ الذى يعتبر أول ملحمة امريكية فى تاريخ السينما .

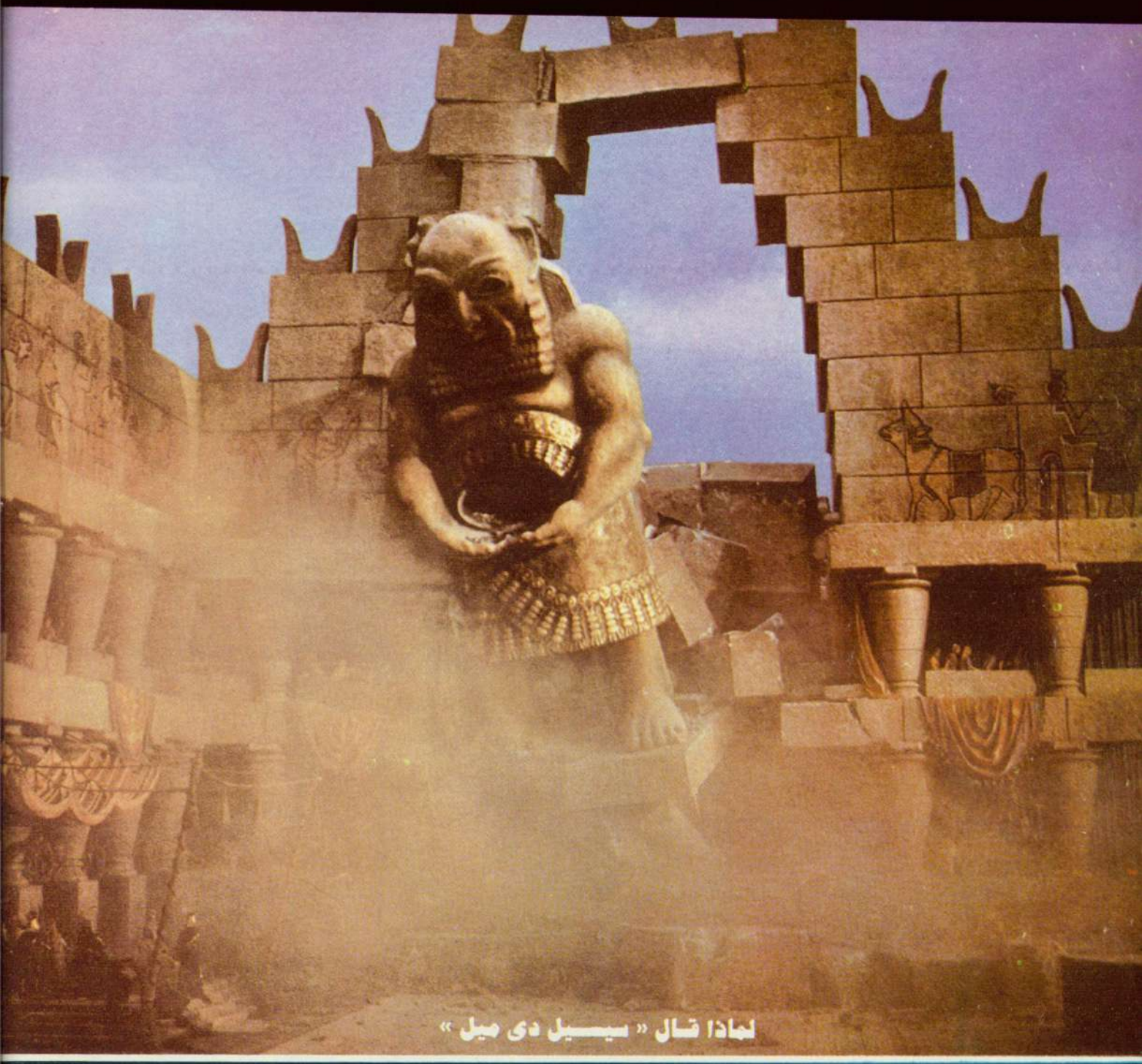
وفى عام ١٩١٥ ايضا اخرج جريفيث فيلم «التعصب» الذى يعتبر حتى الان احد اهم الأعمال السينمائية الطموحة التى انتجتها .

ويعتبر هذان الفيلمان الامريكيان من اكثر الأعمال تأثيراً على وسيلة الفيلم وعلى مدى قدرتها التعبيرية ، فقد ساهما على دفع عجلة تطورها ، ورفعها من مجرد وسيلة ترفيهية رخيصة الى وسيلة تعبيرية وفنية باهرة .

الميزانيات الضخمة

ورغم الفشل التجارى الفظيع الذى منى به فيلم التعصب ، تحمس





لماذا قال « سيسيل دى ميل »

المخرجون للاعمال السينمائية الضخمة التى تعتمد على المشاهد الكبيرة والميزانيات الباهظة . وكان تفسيرهم للفشل التجارى الذى منى به «جريفيث» يعود الى كونه فنانا يعرف كيف يسيطر على وسيلته الفنية ، لكنه لا يعرف كيفية السيطرة على ميزانية الفيلم .

وبدأ بحث المنتجين عن ملاحم غنية بالامكانيات التى تتيح الفرصة للمشاهد أن يعيش الزلازل الأرضية ، ويرقب امواج المد والجزر ، ويروع بالبراكين والانفجارات الأرضية ويشهد الانهيارات الجليدية ويتعلق بصره بالسنة اللهب والحرائق المدمرة ، وعلى ذلك زادت ميزانية الافلام واجتهد اصحاب الصناعة السينمائية فى بناء دور

سوف يعثر المشاهد على تطعة من « جريفث » فى كل فيلم ملحمى ؟

العرض الضخمة وارتفعت اسعار تذاكر الدخول .

واثناء البحث عن هذه الموضوعات المناسبة اكتشف كتاب السينما الامكانيات الهائلة التى يوفرها «الانجيل» فخرجت افلام مثل ملكة سبا (١٩٢١) للمخرج الامريكي جوردون ادواردز وحقق نجاحاً تجارياً كبيراً .. ثم فيلم «سادوم وجومارا» (١٩٢٢) و«شمشون ودليلة» (١٩٢٣) وانتج موريس تورينر فيلما بعنوان «المسيحى» عام ١٩٢٣ وروى المخرج راؤول والش قصة الابن الضال فى فيلم «المتجولون» عام ١٩٢٥ .

افلام للتجارة

وظهر المخرج الأمريكى سيسيل دى ميل (١٨٨١ ـ ١٩٥٩) ابن رجل الدين المسيحى كاحد اكبر المنافسين لجريفيث، وبدأ بافلامه «العذراء جان» (١٩١٧) «والمراة التى نسيها الله» الى سلسلة الأعمال السينمائية التى تعتمد على موضوعات دينية وتضم فى الوقت نفسه عناصر الابهار الى جانب عنصر الدراما الذى كان يضمن تاثيره بفضل حساسية الموضوعات التى يعالجها .

ومع ذلك بدا واضحاً مدى تاثر



سيسيل دى ميل بزميله الامريكى جريفيث وقد اعترف بقوله «سوف يعثر المشاهد على قطعة من جريفيث فى كل فيلم ملحمى تنتجه امريكا» .

وبعد نجاح فيلم «مذبحة الرجال» ١٩٢٢ كلفت شركة بارامونت المخرج سيسيل دى ميل بعمل فيلم «الوصايا العشر» (١٩٢٣) الذى بلغت تكاليفه وقتها ١ر٦ مليون دولار .

وبعد النجاح الكاسح لدى ميل اتخذ هذا الفنان من الانجيل واجهة يخفى وراءها كل عناصر الجذب التجارية التى يشحن بها اعماله ، فتحت شعار الدين وقصص الانجيل امتلأت اعماله بمشاهد الجنس والمجون والخطيئة والعنف وجو التآمر والرعب والنزعات السادية ..

واستولى على انتباه الجمهور بالديكورات الفخمة والمشاهد المذهلة وبالمؤثرات الخاصة .

وتمادى فى هذا الاتجاه عندما اخرج فيلم «ملك الملوك» (١٩٢٧) الذى حقق نجاحاً طيباً .

وقد تاكد لدى المتفرج أن صناع الفيلم يتمسحون فى رداء المسيح من اجل الكسب المادى ، ومن خلال افلام تجارية تاتى لهم بالربح رغم تكاليف الانتاج المرتفعة التى وصلت الى ٢ر٥ مليون دولار (اى ما يوازى نحو ٣٥ مليون الآن)

وسادت النزعة المنظرية على النزعة الملحمية فى هذا النوع من الافلام . واصبح الفيلم الملحمى برغم التصوير الجيد والمؤثرات الخاصة المثيرة والصنعة الفنية الجيدة فيلما ضحلا ومفتعلا لا يخلو من البذاءة .

الملاحم الأدبية

لكن الفيلم الملحمى لم يتوقف عند الموضوعات المستمدة من الانجيل والتوراة ، وانما اتجه من ناحية الى الملاحم الادبية القديمة ، ومن ناحية اخرى اتجه الى التاريخ ، والى التراث المسرحى والتراجيدى الضخم لكى يحول المسرحية الى عمل ملحمى سينمائى .. وفى جميع هذه المجالات حققت السينما انجازات كبيرة ارجو ان نتمكن من التعرض لها فى موضوعات لاحقة ..



م . كجـــــراى

بطـــاقة حب لأسمـــرا

وحين يدق على باب دارى ساعى البريد
أرى الجرح ينزف ،
أرشف فى غربة الليل قطرة همى الجديد
فانك يا أسمرا شهقة الفجر فى وطن الأغنيات ،
واجنحة للعصافير تخفق فوق سماء المطار البعيد
سئمت مراوغة الزمن المتحجر أقبع فى باحة الانتظار
فجئت إليك أدك مع الغاضبين الجدار
وأكتب تذكار حبى على كل عطفة درب ودار
وأحكم حول الظلام الحصار
ليختنق الليل فى غرف الانتحار
أودع كل حدود الأمارات ،
أعبر بين خطوط المطارات ،
أفتح باباً على ساحة الانفجارات ،
لى لغتى فهى قصف ونار

وملحمة سوف تبدأ من حيث يبدأ خيط النهار
كتبت مقاطعها فى اغترابى بكل الحواس
ومزقت أقنعة اللامبالاة ،
حين تدفق مثل السديم دخان النعاس
وهانذا فى اخضرار المسافات أعشق كل تراب الوطن
وأقسم أنى سأغسل عن وجهك العار ،
احرق فى ساحة النور كل جذور المحن
أطلى فانك يا غادة الفجر ترنيمة الغاضبين
وانشودة فى فم الغائبين
ومقبرة للظلام الرهيب على برزخ الذل والانكسار
وتوقاً يقود الخطى لذرى المجد والانتصار
فمدى يديك فهذا السكوت نذير بقرب سقوط الجدار .

م . كجراى

اشراف خديجة الصدر

الذاكرة

أو القدرة على تذكر الأشياء

كيف يستطيع البعض أن يكونوا أقوياء ذاكرة فى بعض الأمور ؟

طاقة العقل التخزينية هى ألف جزء من المعلومات الجديدة فى كل ثانية من حياتنا

الذاكرة ، أو القدرة على تذكر الأحداث والتجارب التى مرت بنا ، هى جزء حيوى للغاية فى حياتنا . فهى التى، بوعى منا أو دون وعى ، تهدينا فى العودة الى ديارنا ، وتأخذنا الى مكان عملنا صباحاً ، وتمكننا من قضاء وانجاز أعمالنا ، وعلى إقامة علاقات مع أصدقائنا وأسرتنا وزملائنا فى العمل . وحتى المهارات العادية كالمشى والكلام هى نتيجة لقدرتنا على تذكر الأشياء التى تعلمنا فى سن مبكرة .

كيف تعمل الذاكرة

ولكن كيف نتذكر الأشياء ؟ وما مدى حجم ما يمكننا أن نتذكره ؟ ولماذا ننسى ؟

بالرغم من أن الذاكرة قد ظلت موضوعاً للبحث المكثف سنوات طويلة ، فان ما نعرفه عنها قليل جداً بالنسبة لما بذل من جهود لمعرفتها . وقليل هو ما نعرفه عن كيفية قيام الذهن بتذكر الأمور ، وأسباب النسيان الذى نظن أنه يمارسه . ولكن الثابت هو أنه ما من لحظة تمر بنا دون أن نكون قد استخدمنا الذاكرة لأمر أو آخر . وغالباً ما نقوم بفرز المخزون الهائل من الأمور فى الذهن بسرعة مذهلة ، ونخرج بالحقيقة أو الفكرة أو العلاقة التى نريد .

أنواع الذاكرة

إن الأنواع المختلفة للذاكرة كافية لأن تجعل الأمور تختلط علينا . هناك الذاكرة التى تسترجع الأحداث ، كأن يتذكر أحدنا مثلا حادثة ماضية جرت يوم زواجه ، وهناك الذاكرة اللغوية التى نستعيد بها نظاماً معقداً من المعلومات .. كاللغة ..وهناك الذاكرة التى تحشد الحقائق التى لا تتصل مباشرة بحياة الفرد ، كالحقائق التاريخية .. أما الذاكرة الحسية التى تتداول الصور فهى الأقوى فى كل الناس .. وهى قائمة على المشاهدات والأصوات والتذوق واللمس والشم . وهناك الذاكرة الغريزية التى تمكننا من القيام بأفعال غريزية كالتنفس والنوم والهضم .

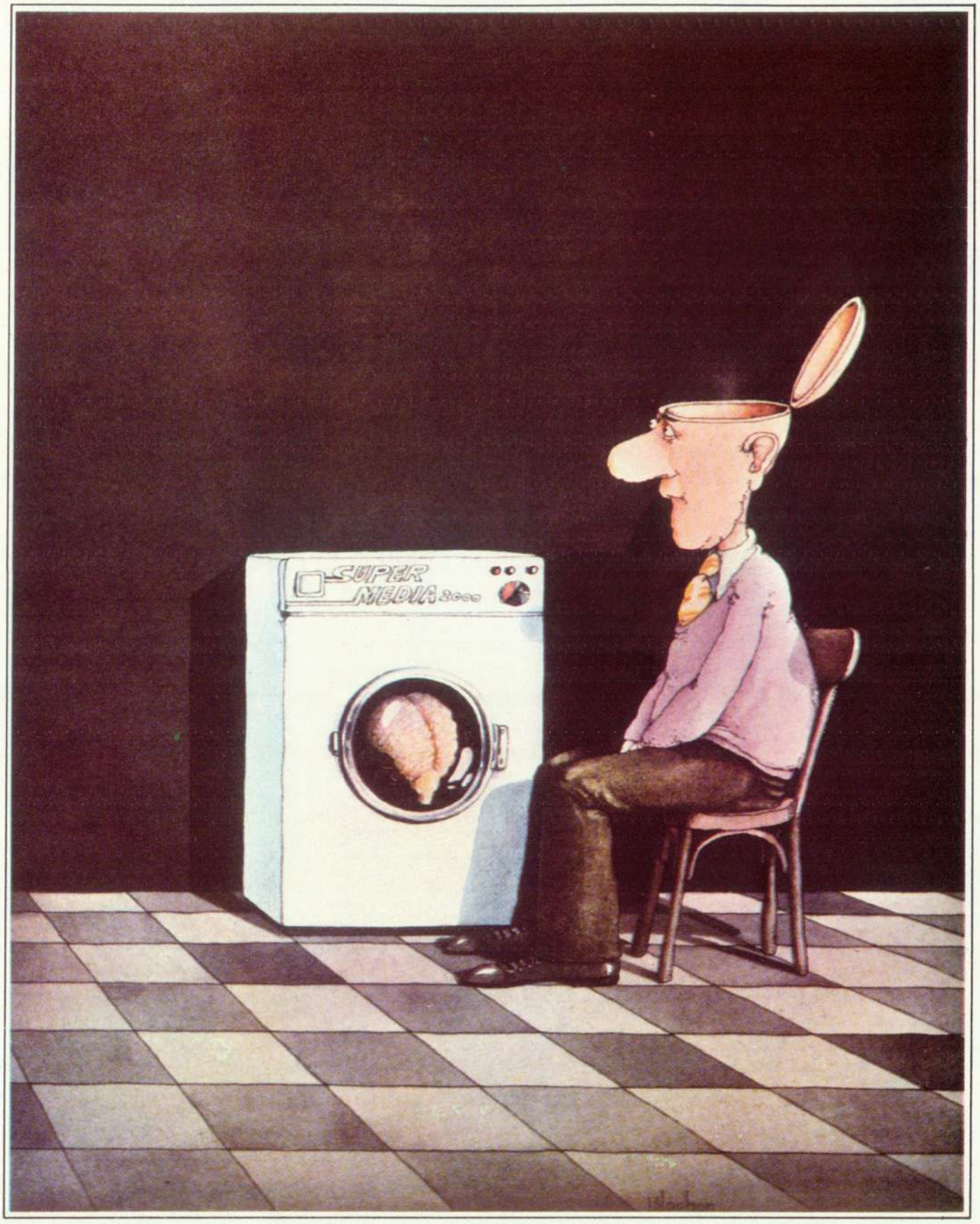
ولكن السر الذى لايزال مغلقاً هو كيف يستطيع البعض أن يكونوا أقوياء ذاكرة فى بعض الأمور – بعض أجزاء الذاكرة – ولكنهم يفشلون تماماً فى تذكر أشياء أخرى .

طاقات عاطلة

لقد ثبت لنا أن الذهن وقدراته فى تخزين المعلومات يفوقان كل ما يمكننا تصوره . إننا عادة لا نستخدم إلا ١٠٪ من قدراتنا الذهنية . وحتى هذه النسبة مبالغ فيها كما يرى بعض الباحثين ، إذ عندهم أننا لا نستخدم أكثر من واحد بالمائة من طاقاتنا الذهنية ، وترى تقديرات طاقة العقل التخزينية أن بالدماغ محال لحفظ ألف جزء من المعلومات الجديدة فى كل ثانية من حياتنا من الميلاد الى الشيخوخة . وعلى ضوء التجارب التى أجريت حديثاً ، يعتقد بعض الباحثين أننا نستطيع فى الواقع أن نتذكر كل شىء وقع لنا . وقد يحتج أحدنا بأنه يعجز عن تذكر أى شىء لأن ذاكرته مثل الغربال . ولكن فى الواقع أن ذلك ليس صحيحاً .. وليس على ذاكرة مثل ذلك الشخص أى غبار . كل ما هناك هو أنه تعود أن يقلل من قدرتها .

خدمة متواصلة

«إن الناس يستهينون بذاكرتهم للغاية» كما يقول بيتر راسل ، مؤلف كتاب


SUPER MEDIA 2000

«الذهن» وهو عالم نفسانى أمريكى «فالذاكرة مستخدمة طيلة الوقت تقريباً ، ومع ذلك نظن أن الأمور اليومية المعتادة التى نتذكرها لا أهمية لها أو لا تتمتع بأى شىء خاص .. ونحن بذلك إنما نميل الى تناسى أن هذه الأشياء هى فى واقع الأمر ذكريات .»

سوء الاستخدام

إن معظم الناس يظهرون أعراض سوء الذاكرة ، فاذا قدم لنا عشرون شخصاً فى حفل عام فاننا لا نتوقع أن نتذكر منهم أكثر من خمسة أشخاص ، وذلك ما يحدث فعلا ، لأننا لا نحاول أن نتذكر أكثر . فالمسألة مسألة موقف . فاذا آمن الواحد منا بأنه يستطيع أن يقوم بشىء ما فانه سيفعله . إننا فى هذه الحالة نحيا وفقاً لتوقعاتنا أو انعدام التوقعات لدينا . أما اذا فهم المرء المبادىء الأساسية للذاكرة ، وآمن بأنه يستطيع أن يتذكر أكثر ، فالراجح أنه سيجد ذاكرته وقد أخذت تتحسن .

لا مكان للنسيان

وهناك أدلة وافرة تثبت أننا فى الواقع لا ننسى أى شىء . فالذهن يتذكر ويستعيد كل شىء حدث لنا .. وهذا ما يظهره التنويم المغناطيسى وإثارة المخ . فاذا كنا لا نستطيع استعادة معلومة ما على الفور ، فذلك لا يعنى أنها قد فقدت ، ولكنها فقط لا سبيل الى استعادتها فى الوقت ذاك ، ويمكن أن تستثار فى وقت لاحق بالسمع أو البصر أو الرائحة أو أى مثير آخر .

لماذا – إذن – لا نستطيع الوصول بشكل دائم الى المعلومات التى يختزنها بالنا ؟

نظرية راسل

هناك عدد من النظريات لتفسير ما يبدو علينا من نسيان . أننا فى بعض الأحيان نكبت دون أن نعى تلك الذكرى غير السعيدة أو المؤلمة ، أو تلك التى تثير الكدر أو القلق ، فنقوم باحتجازها لكيلا تعكر صفونا مرة أخرى . وقد نفقد الاتصال ببعض المعلومات لأننا لا ندعمها. وقد تقوم الذكريات الأكثر حداثة باغراق ذكريات قديمة ، كما أننا نقصى بعض المسائل التى لا تبدو لنا ذات فائدة أو قيمة . وبعض الذكريات يتلاشى بمرور الزمن .

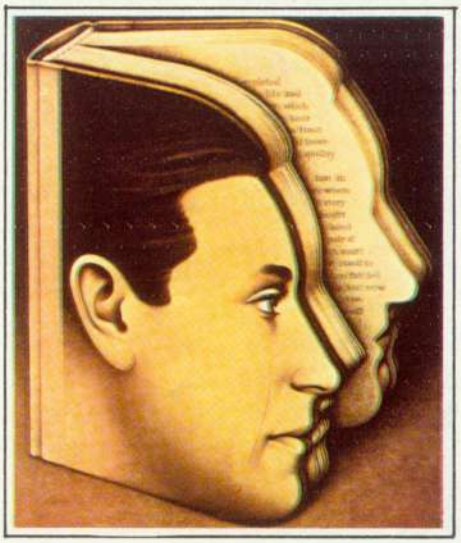
وهناك بالطبع مسألة الموقف الذى يهيئه الذهن ، والذى يفسر كثيراً من تلك الأمور التى يتبدى لنا أننا قد نسيناها .. لأن النسيان هنا هو نتيجة لتغير الاستعداد الذهنى .

وفى أغلب الأحيان نجد أننا إن وضعنا شخصاً مافى موقف كان فيه ذات يوم ، فان ذلك يثير فيه ذكريات كثيرة منسية بالنسبة له . وهذا ما يفيد به بيتر راسل .

إثارة التعلم

أما الدكتور جيمس ماكقوه ، عالم الأحياء النفسانى ، والمدير التنفيذى لجامعة كليفورنيا ، فانه يطرح نظرية أخرى . وكان أثناء عمله مع الدكتور بول قولد من جامعة فرجينيا ، قد قام بتجارب عديدة فى العقاقير المنشطة للذاكرة كالاسترکنين والميترازول والامفيتامين والكافيين .

وفى تلك التجارب تم تعليم حيوانات المختبر على كيفية الجرى السريع فى ممر ، وأعطيت جرعات من العقاقير فيما بعد ، ثم تم قياس ما احتفظت به هذه الحيوانات مما تعلمته ، وذلك على فترات



يوم وأسبوع وشهر . فوجد العلماء ان تجربة التعليم قد أظهرت تحسناً كبيراً وملحوظاً فى القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات (التذكر) إذ أن تلك الحيوانات قد استطاعت تذكر أمور ما كان هناك سبب لتذكرها .

وكانت تلك التجارب لتحسين الخبرات وتقوية الذكريات المتزامنة .. ووضح معملياً أن الهرمونات فى الجسم تقوم بنفس ما تقوم به مثيرات الجهاز العصبى التى استخدمها العلماء فى تجاربهم على الحيوان .

دور الهرمونات

ويقول الدكتور ماكقوه : «ان التجربة المثيرة أو المخيفة تطلق الهرمونات فى الجسم ، كهرمون الادرالين ، ولها نفس الأثر كالعقاقير فى اثارة ما ينتج عنه تحسين للذاكرة فيما يخص تلك التجربة فاذا سألنا عابر سبيل عن الوقت فاننا لا نعير تلك التجربة أى انتباه . أما اذا شهر فى وجهنا سلاحاً وسألنا عن الوقت فان الأمر يختلف تماماً : اننا حين نمر بتجربة مثيرة ، تنطلق الهرمونات فى أجسامنا وتقوم مباشرة أو بطريقة غير مباشرة بتقوية تلك التجربة فى أذهاننا»

وهكذا نجد أن تصعيد الدرجة العاطفية لتجربة ما يمكن أن يفجر ما يبعث من هرمونات معينة تقوى أو تحسن الذكرى الناتجة عن تلك التجربة

لماذا نرى فى بعض الأحداث أهمية ، ونهمل أخرى ؟ ذاك راجع فيما يقول الدكتور ماكقوه الى أنها تترك فينا أثراً طيباً أو انطباعاً قوياً . وفى العادة .. اذا وجد الواحد منا مايحفزه جيداً فى اتجاه معين ، فان ذلك الحافز يساعد فى عملية التعلم فى ذلك المجال . فالحافز الدافع يؤدى الى افراز طبيعى للكميات الصحيحة من الهرمونات التى تسرى فى الجسم وتزيد القدر الذى نتعلمه ، وتدعم الذاكرة .

ويرى الدكتور ماكقوه أنه يمكن بالمثل عكس اتجاه عملية التذكر : فالعقاقير المذكورة آنفاً يمكن أن تستخدم فى اضعاف الذاكرة ،ويعتمد ذلك على مقدار الجرعة المتناولة منه . وبالمثل يمكن للضغوط أو التوتر الشديد فى موقف

معين أن يؤديا الى كبت الذاكرة بالنسبة لتلك التجربة .

الذاكرة وتقدم العمر

أما أثر السن وتقدم العمر على الذاكرة فهو مجال آخر شغل الباحثين طويلا . وقد ظل الدكتور بيرنارد اجرانوف من جامعة متشجان يعمل منذ عام ١٩٦٥ فى مسألة التركيب البروتينى فى المخ . وقد علم السمك الذهبى عبور بوابة حوضه عند إضاءة النور ، وبذلك يتجنب السمك الصدمة الكهربائية . بعد ذلك مباشرة يقوم بحقن السمك بمضادات حيوية توقف تكوين البروتين الجديد فى أدمغتها .. ونتج عن ذلك أن السمك ينسى ما كان قد تعلمه . وهكذا قرن الدكتور اجرانوف بين تكوين البروتين فى الدماغ وبين الذاكرة ـ على الأقل فى حالة السمك الذهبى .

دور التركيب البروتينى

ويعترف معظم العلماء بنوعين من الذاكرة : الذاكرة القصيرة المدى ، كأن نتذكر رقم هاتف حتى نجرى المكالمة ، والذاكرة لمدى طويل ، التى ترتكز الى حد كبير على تغيرات كيمائية دقيقة داخل المخ .

ونحن لا نحتاج الى تركيب بروتينى لنتعلم أو من أجل الذاكرة قصيرة المدى ، كما يقول الدكتور اجرانوف .. ولكننا ، فيما يبدو ، نحتاج الى التركيب البروتينى فى عملية تحويل التعليم الى ذاكرة طويلة المدى ، وفى تخزين المعلومات .

وبعد أن أجريت التجارب على السمك الذهبى والفئران ، يتوقع أن يتم اجراؤها على دماغ الانسان ، وبواسطة استخدام ٨ أساليب لا تضر بالانسان . ويأمل الدكتور اجرانوف فى الأعوام القادمة أن يدرس التكوين البروتينى فى الأجزاء المختلفة من المخ ، وأن يكتشف ان كان ثمة جزء من أجزاء الدماغ لا يقوم بوظائفه فى الناس الذين يعانون من ضعف الذاكرة :

«إننا سننظر فى الطرق التى يمكن بها منع تباطؤ أو توقف التركيب البروتينى فى المخ .. ولكن ، وكما فى مجالات أخرى من الطب ، فان مسألة اصلاح أنسجة سبق أن أصابها التلف هى الأكثر صعوبة ، وتكاد أن تكون مستحيلة .»

خطر شحذ الذاكرة

ويحذر الدكتور اجرانوف أيضاً من التشبث بأمل شحذ الذاكرة بشكل حاد فى الشباب ، لأن تحسين الذاكرة فى الناس العاديين يمكن أن يبعث مشاكل عقلية حادة .. فنحن نقوم فى الواقع بكبح وكبت أمور كثيرة ، ونظن أننا نسيناها . ويمكن أن نقول ان الكبت هذا هو نوع آخر من أنواع التعلم ، ويمكن أن يكون مساعداً لنا على مواكبة الحياة ومجاراتها .

أثر الانقباض النفسى

أما الدكتور مارشال فولشتاين ، وهو طبيب نفسانى واخصائى فى الأمراض العصبية ، فقد ظل يدرس آثار فقدان الذاكرة والتقدم فى العمر ردحاً من الزمن وهو مدير المستشفى العام للخدمات النفسانية وعيادة طب الأعصاب بجون هوبكنز بالولايات المتحدة . وقد ظل يستكشف الرابطة بين الانقباض النفسى وفقدان الذاكرة عند المسنين . وهو يرى أنه :

«عندما يكون هؤلاء الناس فى حالات انقباض شديد ، فانهم يفقدون ذاكرتهم وقد وجدنا أنه بمعالجة الانقباض النفسى تعود الذاكرة أيضاً .»

ويرى د. فولشتاين أن المرضى يتراوحون بين أولئك الذين رغم صغر سنهم يدعون أنهم يعانون اذا حاولوا التفكير ، ومع ذلك يؤدون الاختبارات بنجاح ، والمسنين الذين يشكون من فقدان الذاكرة ، ويظهرون عند الاختبار خللا موضعياً .

مثل هؤلاء الناس يعانون من بعض أوجه الانقباض النفسى ، أو من حالات مزاجية ينعدم فيها التجاوب مع الأحداث الجارية ، كما يعانون من تغير فى المواقف وتقدير الذات والأرق وفقدان الشهية للأكل ونقصان فى الوزن .. بالاضافة الى فقدان الذاكرة .

«وهؤلاء المرضى عادة ما يكون الواحد منهم قد مر بنوبات من المس (المانيا) ، وحدثت بداية الخلل فى ذاكرته بسرعة فى مدى أسابيع فقط .. وليس فى مدى شهور أو سنين كما فى حالة الأمراض الأخرى ..»

«وعندما يعالج هؤلاء المرضى



بالعقاقير المضادة للانقباض النفسى ، أو بالصدمة الكهربية ، فان ذاكرتهم تتحسن مع تحسن حالتهم العقلية .»

الشيخوخة وفقدان الذاكرة

إن زحف الشيخوخة وتدهور الذاكرة الذى يصحبه يشكل مخاوف تسيطر على البابنا جميعاً ، ولكن الادلة تتواتر لتثبت أن العلاقة بين فقدان الذاكرة والشيخوخة أضعف كثيراً مما كنا نتصور . وفى الواقع فان عدداً كبيراً من الابحاث قد اثبتت أن طاقاتنا الذهنية تواصل ازديادها بشكل منتظم حتى سن الستين .

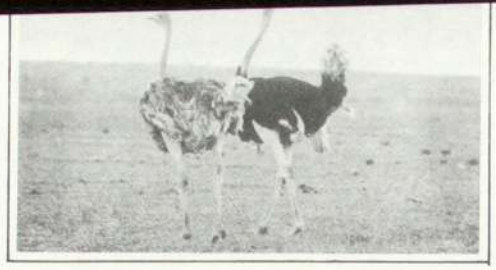
كيف ، اذن ، يمكننا أن نفسر ظاهرة خيانة الذاكرة لصاحبها كلما تقدم فى العمر ؟

إن بيتر راسل يعتقد أن كل هذه المشاكل ذات اتصال مباشر بموقفنا الذهنى ، إننا نتوقع من ذاكرتنا أن تخوننا ، ولذا فهى تلبى لنا هذا التوقع . فاذا نظرنا الى غلام فقد شيئاً ما لوجدنا انه لا يعطى ذلك اية اهمية خاصة ، بل يصرف الامر كله كشىء حدث وكفى . اما الكبار منا فانهم يربطون الحادثة ببداية افلاس الذاكرة ، والخرف . اننا جميعاً ننسى بعض الاشياء ، ولكن كلما تقدم بنا العمر ربطنا بين هذا السهو وبين تقدمنا فى العمر ، ونستمر فى تقوية هذا الظن عند كل مناسبة .

اهمية استخدام الذهن

إننا يجب أن نستخدم اذهاننا ، ونقوم بتمرينات عقلية مثلما نقوم بتمرين عضلاتنا . فالذاكرة تتحسن بالاثارة ، ومن يحيا حياة فكرية نشطة لا يظهر اية علامات للشيخوخة . والامثلة على ذلك كثيرة .. بيكاسو .. بيرنارد شو ، الساسة والقادة فى الشرق والغرب .. كلهم قد تجاوزوا السبعين وبلغ بعضهم التسعين بذاكرة طيبة .

إننا نعانى من مشاكل الذاكرة حين نكف عن استخدامها ، ولذا فان مران الذاكرة له نفس اهمية مران الجسم .. فكلاهما لابد له أن يكون فى افضل هيئة لكى يؤدى وظائفه .



هل يدفن النعام رأسه فى الرمال ؟!

من الاقوال التى يستشهد بها عامة الناس لوصف من يتهرب من مواجهة الواقع أن فلاناً مثل النعامة التى تدفن رأسها فى الرمل تاركة بقية جسمها فى العراء .

ولكن هذا الطائر الضخم لا يدفن رأسه فى الرمل فى واقع الامر ، وانما يدس رأسه وسط الحشائش اثناء تناول طعامه . وحتى لدفن رأسه وسط الحشائش قصة :

فالنعام يخشى الاسد ، لانه من المعروف فى عالم الحيوان أن الذ واشهى وجبة يفضلها ملك الحيوان هى طائر النعام ، ولأن النعام يحاول جهد استطاعته أن يتفادى السباع الجائعة فهو يظل يقظاً ومتنبهاً لها اثناء تناوله الطعام ، وذلك برفع رأسه وتدقيق النظر طولا وعرضاً فى الأرض التى تقع فى مدى بصره ، ويتوقف حتى عن المضغ كما يراقب تحركات الأسود .

طائر غير اجتماعى

ان عملية رفع وخفض الرأس من وقت لآخر تشكل مشكلة رئيسية لهذا الطائر ، خاصة وهو لا يستطيع أن يشعر بوجود اسد قريب منه إلا اذا رفع رأسه ، واذا رفع رأسه توقف عن الأكل .

ولحل هذه المشكلة قرر النعام ، فيما يبدو ، أن يعمل على التوفيق فى الوقت بين الخفض والرفع واليقظة والحذر . وقد وجد علماء سلوك الحيوان منذ حين ان هذا الطائر قد اهتدى بذكائه الى ضرورة أن يتناول غذاءه وهو فى قطيع . وليس منفرداً كما كان الحال من قبل .

الرقابة الجماعية

وقد لوحظ بعد اجراء تجارب وزيارات للحظائر الحيوانية أن النعامة الواحدة تكون اقل حذراً واكثر شعوراً بالأمان اثناء وجودها فى قطيع ، وخاصة لأنها لا ترفع رأسها كثيراً للمراقبة .

فالرقابة هنا اصبحت من كل افراد القطيع وهى مستمرة ، وضد عدو مشترك ويعنى ذلك ان هناك تطبيقاً لنظرية تقسيم العمل .

وقد ظهر عند البحث أن ذكر النعام (الظليم) هو الذى يقوم بالقدر الاكبر من المراقبة . اى أن الظليم يرفع رأسه ويخفضه اكثر من انثى النعام (القلوص)

جدير بالذكر ان بعض علماء سلوك الحيوان قد اوضحوا ان رفع الراس للمراقبة تقوم به مجموعة من النعام فى وقت واحد وبحركة لا شعورية ، فاذا كان القطيع مكوناً من خمسين طائراً ، فان الملاحظ هو أن عشرة او اثنى عشر طائراً يكونون فى حالة مراقبة ، ترفع رؤوسها معاً ثم تعود تخفضها وتدسها وسط الحشائش ، لتتناوب الحراسة مجموعة اخرى .

لا فرصة للأسد

وقد حاول احد علماء سلوك الحيوان ان يقف على امكانية قيام الأسد بمتابعة احدى هذه القطعان من النعام لكى يحدد وقت انقضاضه على واحد منها .. اى لكى يحدد متى ينزل ويخفض النعام كله الراس وسط الحشائش . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وقد باءت كل محاولات السباع بالفشل نظراً لدقة المراقبة وتنبيه بقية القطيع الى الخطر المحدق بهم ، والهرب فى الوقت المناسب . كما لوحظ ايضاً أن النعام لكى يتحاشى مراقبة الاسود اصبح يختار اوقاتاً غير منتظمة للذهاب لأماكن الكلأ . وكل ذلك لكى يقلل من فرص مراقبة الأسود له .

خطـر الزبـدة والدهـون المشبعة على صحة القلـب

انخفض استهلاك الناس للزبدة فى أمريكا الشمالية بمعدل الثلث ، وذلك ضمن موجة من انخفاض استهلاك مستخرجات الألبان . فما السبب ؟

لقد أظهر كل مسح أجري أن نمط الغذاء فى تلك البلاد لم يتغير كثيراً فى الفترة من عام ١٩٠٠م الى عام ١٩٦٥ م . وكانت لجنة الغذاء التابعة للجنة الأميركية لأمراض القلب قد لاحظت فى عام ١٩٦٤ وجود دليل يشير الى أن الأغذية الغنية بالدهون المركزة والكلوستيرول ذات علاقة بتزايد اخطار نوبات القلب ، فأعلنت عن ضرورة تخفيض الكميات المستهلكة يومياً من الأطعمة الغنية بهذه المواد .

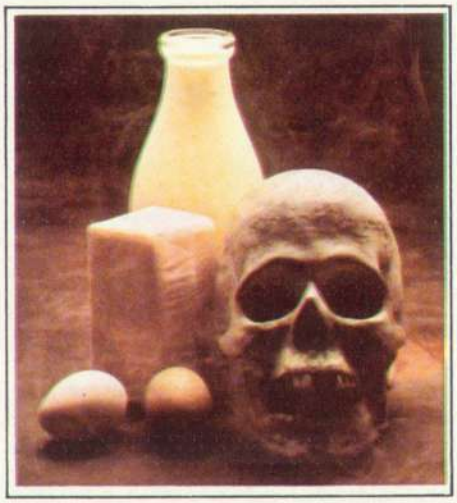
وبعد أن تم الاعتراف الطبى بالموت الذى يحدث بسبب انسداد أو تصلب الشرايين التى تحمل الدم الى المخ والقلب ، زاد احجام الناس عن هذه المواد . وكانت النتيجة أن انخفض استهلاك البيض بنسبة ١٠٪ ، واللبن والقشدة بنسبة ٢٠٪ ، وبات استهلاك الدهون الحيوانية والزيت بشكل عام نصف ما كان عليه قبل خمسة عشر عاماً ، وارتفع استهلاك السمن النباتى وزيت الطعام المستخرج من الخضروات .

فهل هذه المواد الجديدة أكثر فائدة للصحة ؟

الدهن المشبع

لابد من تقديم بعض التعريفات قبل أن نخوض فى هذه المناقشة .

التشبع هو العملية التى تتم بها اضافة ذرات الهيدروجين الى الدهون . وهذه العملية ، تجعل الدهون المستخرجة من الخضروات تجمد ، وهى التى تكون سائلة فى درجة حرارة الغرفة العادية .



فان كانت الزبدة مشبعة بالدهون ، فان بعض أنواع السمن المستخرج من الخضروات هى أيضاً مشبعة . ولقد اتضح أن الاكثار من أكل الدهون المشبعة يزيد من مستوى الكلوستيرول فى الدم بنسبة ٢٠٪ ، ويصاحب هذه الزيادة ارتفاع فى تصلب الشرايين أو انسدادها

ولكن التجارب التى أجريت على الحيوان أظهرت أن هذه العملية يمكن عكسها اذا تمت العودة الى نظام غذائى أفضل . غير أن تراكم الدهن فى جدران الشرايين يؤدى الى ضيقها بمرور الزمن . فاذا كانت تلك الشرايين هى حاملة الدم الى المخ أو القلب فان الخطر يبدو واضحاً .

الاعتدال ضرورى

واذا كنا نعرف ان الدهون المشبعة تشكل خطراً على الصحة ، فهل تلك غير المشبعة أفضل حالا ؟ والاجابة هى نعم .. اذا أخذت بكميات محدودة . وهى فى واقع الأمر يمكن أن تساعد فى خفض نسبة الكلوستيرول فى الدم . وكما فى كل شىء اخر ، ينبغى تجنب الافراط فيها .

فاذا كان الاكثار من تناول الزيت والسمن الحيوانى ينذر بخطر الموت بالسكتة فان خطر الاكثار من السمن النباتى والزيوت المستخرجة من الخضروات يتمثل فى زيادة الحصوات فى الصفراء ، وفى الاصابة ببعض أنواع السرطان .

ماذا نأكل ؟

ان القاعدة الأساسية هى ألا نأكل كثيراً . ان مجرد زيادة الوزن بنسبة ٢٠٪ أكثر من الوزن المثالى تزيد من احتمالات السكتة القلبية . وينصح بشكل خاص من أكل اللحم ، ولحم الضأن خاصة ، لأنه أكثرها تشبعاً بالدهن . ولكن ذلك لا يعنى أن لحم البقر أفضل حالا . ان أقل أنواع اللحم تشبعاً بالدهن هو لحم السمك .

إزالة الشحم

إن محاولة بعضنا إزالة الشحم من اللحم لا تغنى شيئاً ، لأن شريحة الاستيك التى تبدو خالية من الشحم تماماً ، يشكل الدهن ٥٠٪ منها . وتنصح بعض الجهات بأن أكل اللحم مرة واحدة فى اليوم هو أكثر مما ينبغى .

وتجدر الاشارة إلى أن النباتيين ـ اذا كانوا لا يدخنون ـ تخلو شرايينهم من مسببات الضيق والتصلب أكثر من الذين يأكلون المقادير العادية من اللحم .

الزيوت النباتية

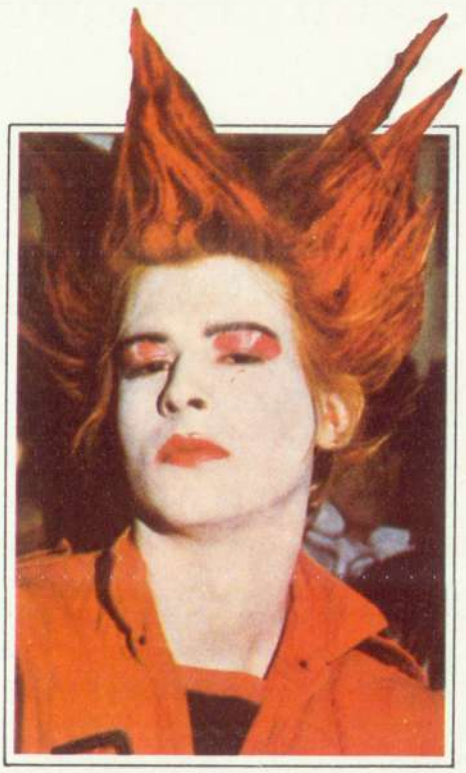
واذا كان من الضرورى أن نقلل من استهلاكنا لمستخرجات الألبان بما فى ذلك الزبدة ، فان ذلك لا يعنى أن نستبدل الزبدة بأى نوع من السمن النباتى أو الزيت . فالأفضل أن نستخدم الزيوت النباتية غير المشبعة ، أو قليلة التشبع .

أما فى حالة الطبخ فيجب أن نتجنب السمن الحيوانى . وأفضل زيت للطبخ هو ذاك المستخرج من زهرة عباد الشمس أو العصفر ، ويليهما زيت البذرة ثم زيت الصويا والذرة الشامية . ومع أن زيت الزيتون أعلى تشبعاً من كل ما ذكرنا من الزيوت النباتية ، الا انه أفضل من السمن المستخرج من الحيوان .

جراحة السعادة

هيلين فى الواحدة والأربعين من عمرها ، وأم لأربعة أطفال . ولكنها اليوم حين خلت الى نفسها أمام المرآة فى غرفة نومها ، أبصرت شابة بسامة جذابة ذات محاسن آسرة ، وقوام رشيق . وقد ذهلت بما لم تتعود رؤيته منذ أعوام .. فتذكرت أنها لعامين مضيا كانت مترهلة وكأنها حبلى فى شهرها السادس وكانت معاناتها النفسية قاسية بشكل لا يوصف . أما اليوم كما تقول فهى تتوق الى الخروج أمام الجميع لولا الحشمة وبقية من حياء .

وهى تتحدث فى حماس عن جراحة التجميل ، ذلك الشيء المدهش ، وتحس أن وجهها سيحتفظ برونقه الجديد لعشر سنوات مقبلة .



كلهن يردن الجمال

وهيلين فيشر ليست وحدها التى تستشعر نعمة هذا السحر الجديد . فهناك نساء كثيرات من بين المتزوجات وغير المتزوجات من ربات البيوت أو العاملات قد أجريت لهن جراحة تجميلية ولسن جميعاً من نوات الثراء الخيالى .. وبهن جميعاً استعداد للتحدث طويلا عن تجاربهن .

وليست العمليات الأربع التى خضعت لها هيلين فيشر بالشيء الكثير . ففى ريودى جانيرو التى تعتبر كعبة جراحة التجميل يقوم الجراح الساحر الدكتور ايفو بيتانجاى بتجميل ممثلات السينما المسنات ، ونساء الأسر المالكة فى أوروبا .

وعادة ما تقنع النساء بما هو أقل من ذلك .. بتجميل الوجه أو رفع الأنف أو تضخيم الثدى أو ازالة الترهل الذى يصيب الذراع .. أو تقوية بعض العضلات وشدها كما حدث بالنسبة لاحدى ضحايا شلل الأطفال وقد كانت مقعدة منذ طفولتها ، فأصبحت الآن قادرة على المشى بفضل هذه الجراحة ...



ليست للجميع

ولكن جراحة التجميل ليست صالحة من ناحية جسدية ونفسانية لكل من يطلبها ، ولا يتحمس لها كل من تجرى لها . فقد قامت سيدة أمريكية من نيويورك برفع دعوى للحصول على تعويض بعد أن أجريت لها عملية لوضع سرة البطن ، فجاءت السرة بمقدار بوصتين بعيداً عن منتصف البطن . واقتنع القاضى بأنها عانت صدمة عاطفية وآلاماً نفسية ، فحكم لها بتعويض زاد عن ٨٥ الف دولار .

مضاعفات محتملة

ومثل كل العمليات الجراحية الأخرى لا تخلو جراحة التجميل من التعقيدات والآثار الجانبية المحتملة . وحتى اذا لم تحدث أية مضاعفات فان بعض الناس يشعرون بخيبة أمل بعد أن يروا أنفسهم بعد التجميل .. خاصة ، وقد كانوا يتوقعون أكثر دفقاً من الشباب وينبوعه بعد أن صرفوا كل تلك المبالغ . ومع ذلك فان كل امرأة حادثتها فى هذا الموضوع كانت راضية عن النتائج ، ومتشوقة لبث المزيد من الترويج لهذه الجراحة .

تجارة رابحة

وقد أخذ عدد جراحى التجميل يزداد بشكل كبير فى كندا والولايات المتحدة وبعض بلدان أمريكا الجنوبية . وهم يشيرون الى أنفسهم بجراحى السعادة .. لأن أسعد مرضاهم هم الذين تجرى لهم الجراحة التجميلية ، اذ أنهم يشعرون بتحسن ايجابى ويبدون فى شكل أفضل ، ويعرفون كيف يقدرون ما يفعله لهم الطبيب الجراح .

ويشار أيضاً الى هذه الجراحة بالجراحة التجميلية أو الذوقية . فالذين يقومون بها يمكن اعتبارهم بمثابة فنانى

جراحة السعادة

نحت فى جسم الانسان ، وأفضلهم من له معرفة تامة بنفس وروح الانسان وجراح التجميل الأمثل هو ذاك الذى يتمتع بالمعرفة العلمية والعملية فى هذا المجال تماماً مثلما يتمتع بروح الفنان الموهوب .

دعاية بالمجان

ويؤكد جراحو التجميل ان خمسة عشر بالمائة فقط من زوار عياداتهم هم الذين يجيئون بتوصية من اطباء الأسرة ، اما البقية فياتون لانهم سمعوا من اصدقاء لهم او معارف اجريت لهم جراحة تجميلية ، وخرجوا منها بنفوس راضية .. كما ان البعض ياتى بعد ان عثر على أسماء الجراحين فى دليل الأطباء فى دليل الهاتف .

انعدام الضوابط

وبما انه ليس هناك من يقوم بالرقابة على مهنة الطب سوى الأطباء انفسهم ، فانه لمن الممكن نظرياً ان يدعى اى طبيب له رخصة بمزاولة المهنة انه جراح تجميل ويستمر فى ذلك دون خوف حتى تفشل عملية ما فيقاضيه المريض . ولهذا السبب فان جراحى التجميل المسئولين ينصحون المريض الذى يفكر فى اجراء هذه العمليات أن يتقصى بدقة عن المؤهلات التى تثبت هوية جراح التجميل .. فالأمر فى النهاية يتعلق بجسم الانسان الذى يريد هذه الجراحة.

المرأة أقدر

وقد اتضح ان الناس تفضل النساء الجراحات أكثر من الرجال .. لأن المرأة فى العموم لا تود الخوض فى أمور بعينهامع الطبيب الرجل وخاصة تلك التى تخص الجسم والوجه ، كما أن الطبيبات قد أثبتن انهن يختلفن بشكل ايجابى عن الرجل فى هذا المجال .. وخاصة فى الموقف الذى يتخذنه من المريض الذى يبغى تجميل نفسه .

ضرورة العافية

ويؤكد كل اطباء التجميل على ضرورة أن يكون المتقدم لهذه الجراحة متمتعا بصحة جيدة ويحرصون على الحصول على كشف طبى حديث التاريخ كما انهم ينصحون مرضاهم بتخفيف الوزن وتخفيض ضغط الدم ، وان يتحاشوا تناول فيتامين (اي) والأسبيرين أو أى دواء به اسبرين ، وذلك لمدة اسبوعين قبل اجراء العملية .. فى محاولة لتفادى احتمال أى نزيف ، كما يطالبون بعض مرضاهم بالكف عن تناول أى كحول لمدة عشرة أيام قبل العملية .

نعمة مكلفة

وعمليات التجميل ليست زهيدة التكلفة ولا يقبل فيها الدفع المؤجل . فهى ليست مرضاً وانما هى اختيار شخصى . ومع ذلك فهى رائجة .

وقد يضطر ذوو الدخل المحدود من الرجال والنساء أن يقترضوا المال لها ، أو أن يحرموا أنفسهم من أشياء أخرى كانوا يريدونها .

وكانت هذه الجراحة وقفاً على قلة من النساء الموسرات ممن هن فوق الخامسة والخمسين من العمر ، وبعض الممثلين والحلاقين وعارضى الأزياء من الرجال . أما اليوم فان النساء ممن لم يتجاوزن الأربعين أو حتى الثلاثين يخضعن أنفسهن لهذه الجراحة او يرغبن فيها على أقل تقدير ..

عصر صناعة المظهر

فما الذى حدث ؟

يقول علماء الاجتماع فى محاولة لتقليل هذه الظاهرة باننا نعيش فى عصر (صناع الصورة) الذين يؤكدون فى كل مناسبة ودون مناسبة أن الشباب خير من التقدم فى العمر ، وأن الجمال خير من الدمامة ، وانه خير للمرء أن يبدو ذا حيوية جنسية .. ورسالتهم الاعلامية دائمة الترويج هى : «انظر الى نفسك فى المرآة . فاذا لم يعجبك ما ترى ، ابحث عن من يجرى لك بعض التغييرات ..»

فاى النساء يعجبها ما تعكسه المرآة كلما تقدم بها العمر ؟ وهل يجب أن تقوم بعملية تجميل ؟ إن جراحى التجميل لا يحاولون تقديم إجابة لهذا السؤال . كل ما يقولونه هو انه إذا لم يكن هناك ما يضايقنا ، فان داعى الجراحة يسقط .

فمن منا لا يجد ثمة ما يضايقه ؟ انفعل شيئاً أم نصرف المسالة كلها كفكرة لا طائل تحتها .. سخيفة .. ومشبعة بالغرور ؟







الانقباض النفسى عند المرأة

فى عصر مهووس بتحرير المرأة والمساواة بين الجنسين ، ما من شىء يمكن أن يثير الداعين الى تلك المساواة ويغيظهم من أن تبرز حجة قوية ومدعمة ببحث جاد وعلمى تصر على أن الاختلاف النفسى بين المرأة والرجل هو شىء اساسى مثل الاختلاف الجسمانى بينهما . ولقد طرحت الكاتبة العلمية ماغى سكارف هذه المسألة باعتبارها الشىء الوحيد الذى يفسر بعض الاحصائيات التى عثرت فيها على أن هناك مقابل كل رجل يشكو من الانقباض النفسى امرأتان الى ست نساء بعانين من هذا المرض .

المرأة أكثر تعرضا للانقباض

وكانت السيدة سكارف قد قامت بدراسة تاريخ المرض . وراقبت النساء فى العيادات النفسية وهن تحت العلاج ، واجرت مقابلات مع عدد كبير من النساء بغية الوصول الى اجابة ، فخرجت من كل ذلك بكتاب صدر مؤخرا اعلنت فيه ما يغضب عددا من المنتصفين لمساواة المرأة بالرجل والداعين الى تحررها انطلاقا من تلك المساواة . ويتوقع أن يصدم كثيرا من النساء ليعترفن بما جاء فيه .

والمسألة المثيرة التى توصلت اليها السيدة سكارف هى أن النساء عرضة للانقباض النفسى لأن الارتباطات العاطفية بالنسبة للمرأة هى أكثر اهمية مما هى عليه بالنسبة للرجل . وفى حالات كثيرة تعرف المرأة نفسها وتتمرد وبشكل تام على ضوء علاقاتها بالاخرين . وعندما تنفصم عرى تلك الروابط بالموت أو الطلاق أو عندما يكبر الاطفال وينفصلون مستقلين بحياتهم ، فان المرأة فى الغالب تصبح نهبا للانقباض

النفسى .. وتقول بعض النساء انهن يفضلن الانتحار على العيش بمفردهن .

حاجة المرأة الى الارتباط

وترجع السيدة سكارف حاجة المرأة الى الارتباط الى تاريخنا البدائى ، وبذلك فهى تتفق مع المنظرين الذين يعتقدون أن أنماط السلوك البدائى قد مرت بعملية التطور والارتقاء مثل تركيب أجسامنا وعقولنا تماما .

وهى تعتمد على نظرية الارتباط التى طورها المحلل النفسانى البريطانى جون باولى لتقول ان الرابطة العاطفية هى طبيعة آلية سلوكية طورها ولدان الحيوانات العليا لابقاء الامهات قريبا منهم ، وأن هذه الخاصية قد تطورت بشكل أقوى لدى الاناث أكثر مما هى عليه فى الذكور ، ومن ثم اندرجت فى شفرة الوراثة لدى المرأة . وهذه بالذات هى النقطة التى تثير الغيظ والجدل كله من جانب المنادين بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

ولكن الابحاث الجديدة فى مسألة الاستجابة لدى الاطفال تنحو الى توكيد هذا الزعم . فهى تظهر أن الاناث بين الاطفال يستجيبون باستعداد أكبر من الذكور للصور الفوتغرافية لوجوه الناس وأن الذكور لا يستطيعون التمييز بين الصور الفوتغرافية والخطوط المرسومة والاناث يفضلن الصور الفوتغرافية .

إمكانية مقلقة

وهذه الاختلافات الظاهرية تفتح مجالا لامكانية مقلقة ، وهى أن الرابطة العاطفية التى كانت مفتاحا للبقاء واستمرار النوع البشرى فيما مضى قد جعلت حياة المرأة فى عصر المناداة بالمساواة بينها وبين الرجل أكثر صعوبة ومشقة .

بين دوافع الوراثة والمجتمع

ان ما تقوله الكاتبة سكارف هو ان المرأة قد وقعت بين مطالب عوامل الوراثة فيها (الجينات) التى تحفزها على الزواج وتكوين الأسرة ، ومطالب المجتمعات العصرية التى تحثها بشدة على أن تستقل بنفسها .

ولايعنى ذلك أن الكاتبة تعفى الرجال من الانقباض النفسى ، ولكنها ترد الى احساسهم بالفشل فى المهنة لافى العلاقات الشخصية . ولايعنى هذا أن النساء اللائى يدخلن سوق العمالة أقل تعرضا للانقباض النفسى . فالنساء العاملات اللائى أجرت عليهن دراستها كن يعانين من الانقباض النفسى مثل اخواتهن غير العاملات . وهذه الحقيقة تدعم اعتقادها المثير بأن حالة الانقباض النفسى لدى المرأة هى حالة بيولوجية .

نقد شديد

وقد ووجه الكاتب بنقد شديد يتهم الكاتبة بأنها تنطلق من وجهة نظر نسوية شوفينية ترى فى الانقباض النفسى مزية فى المرأة لأنه نتيجة لالتزام المرأة وتفانيها فى العلاقات ، ولطاقتها فى التربية والرعاية ، ولانها أكثر حساسية من الرجل .

وتدافع المؤلفة عن عملها ، وهى الصحافية المحترمة ، بأنها وبكل بساطة قطفت النتائج التى اسفر عنها بحثها .



وكانت قد بدأت عملها بأنها ارتبطت بعيادة نفسية بمركز دارتموت هيتشكوك للصحة النفسية ، حيث قضت أربع سنوات تقابل أكثر من ١٥٠ أمرأة بينهن مرضى من عيادة الاحوال النفسية بجامعة بنسلفانيا ، وفى مركز ابحاث الانقباض النفسى بجامعة (بيل) الامريكية .

«أننى لم أضطر الى البحث عن الناس : لقد كانوا هناك دائماً» .

وتقول المؤلفة أن جذور الانقباض النفسى فى النساء فى كل حالة درستها كانت بسبب انقطاع علاقة وطيدة وحيوية . وهى ترى أن الانقباض عند المرأة يتصل بمراحل محددة فى حياتها ، وفى نقاط اساسية ، تجد المرأة أنها تقيم وتبنى وتحطم سلسلة من الارتباطات العاطفية . فاذا فشلت فى ذلك ، فان هذا العمل المبتور يقود حتما الى الانقباض النفسى .

بين المراهقة ومنتصف العمر

وقد كانت الفتيات فى طور المراهقة اللائى أجرت معهن المؤلفة مقابلاتها يشغلهن موضوع الانفصال عن الاسرة . أما النساء فى العشرين من العمر فقد تركز اهتمامهن فى مسألة بناء التوازن بين الرغبة فى تكوين أسرة خاصة بكل واحدة منهن ، وبين مطالب العمر فان نقطة المواجهة هى احتمال فقدان دارها كزوجة وأم .

وقد اكتشفت السيدة سكارف أن انقطاع الحيض عند المرأة يشكل قضية عاطفية أكثر مما يشكل انقباضا نفسيا .

إن كتاب السيدة سكارف وبحثها يشكلان دعوة للنساء من كل الأعمار للاقبال على العلاج النفسى من الانقباض .. خاصة فى زمن أصبحت المرأة مضطرة أكثر فأكثر الى العيش وحيدة نسبة لعدم دوام الحياة الزوجية بسبب ارتفاع حالات الطلاق ، وانخفاض حالات الزواج ، وحيث الأزواج يموتون قبل الزوجات بعشر سنوات أو أكثر

جريمة المستقبل

قامت احدى شركات النفط الأمريكية الكبرى باعداد مسح جيوفزيائى فى سرية وكتمان شديدين وبثت تعليماتها الى وكلائها باستئجار الأرض المعنية فى السابعة من صباح اثنين محدد . ولكن الوكلاء اكتشفوا أن شخصاً ما قد سبقهم الى الحصول على الجزء الأكبر من تلك الأرض فى يوم الجمعة السابق للموعد الذى ضربته لهم الشركة .

وكانت الشركة قد استوفت كل الاستعدادات المعهودة للمحافظة على سرية المعلومات الخاصة بالمسح ، ولكنها فشلت فى منع الوصول الى تلك المعلومات فى العقل الالكترونى للشركة .

وبذا صارت ضحية لما يطلق عليه (جريمة المستقبل) ، أى سرقة المعلومات من الكمبيوتر . ويبدو أن السارق لم يطأ أرض الشركة ، نسبة لدقة الاجراءات الأمنية ، وربما تم كل شىء بواسطة مكالمة هاتفية مع أحد العاملين البارزين بالشركة .

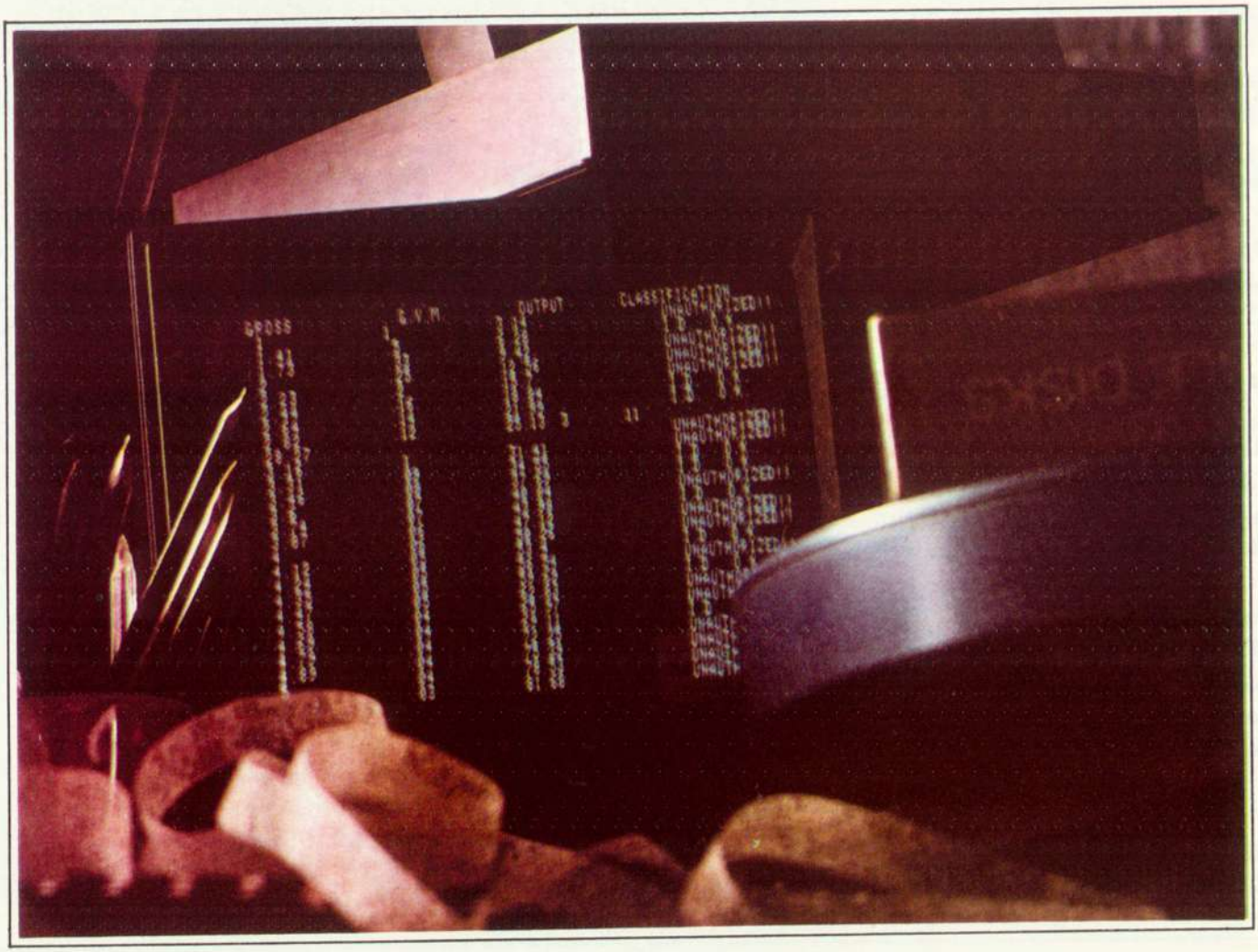
سرقة مستورة

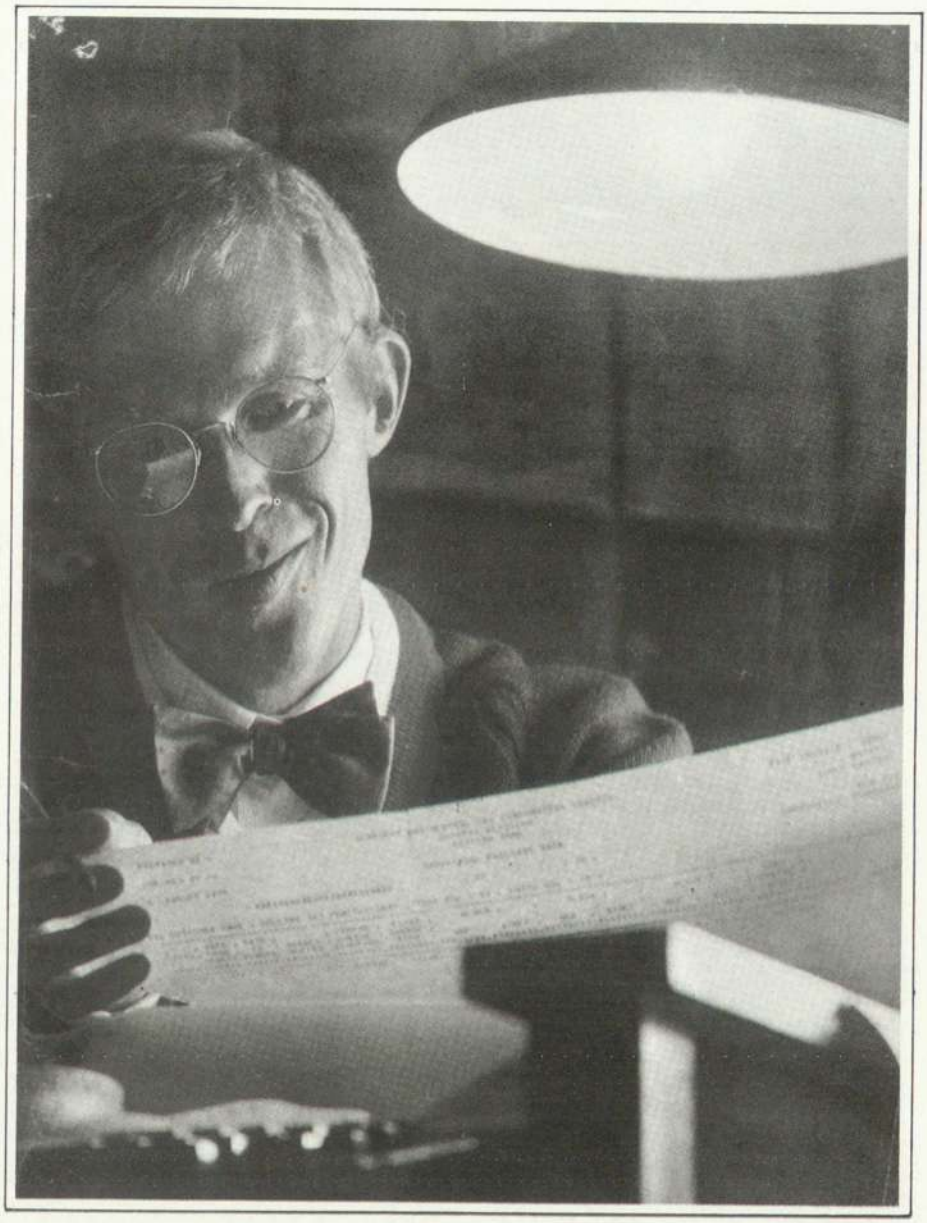
والاعلان عن سرقة المعلومات أقل بشكل لا يقبل المقارنة مع الاعلان عن الجرائم الأخرى . ولذا قامت صناعة جديدة هى تصنيع أنواع معقدة من الشيفرة أعدت خصيصاً لحماية المعلومات فى الكمبيوتر .

ولكن ذلك لم يوقف هذه الجريمة .. فاذا تخيلنا رجلا مثل العميل جيمس بوند وقد وهب ذكاء رياضياً خارقاً ، يمكننا أن نكون فكرة عن الألاعيب التى تحدث فى الغرف الضخمة المكيفة التى تحفظ فيها العقول الالكترونية .

الخوف من العلنية

ان قلة الاعلان عن عمليات التجسس





في العالم التجاري والصناعي هي نتيجة لتردد الشركات والمؤسسات عن اقحام الشرطة او الصحافة وحرصها على كتمان ما عندها من معلومات . ولم تخرج هذه الجريمة الى دائرة العلنية وفي اضيق نطاق إلا في السنوات العشر الاخيرة .

وربما وجد المرء تفسيراً لاحجام وتحفظ الشركات والمؤسسات عن التبليغ والاعلان عن سرقة المعلومات من الكمبيوتر إذا قام بزيارة للقسم الخاص بالجرائم المتصلة بالمجال التجاري والصناعي في دولة كبرى كالولايات المتحدة .

صعوبة الاثبات

فهناك اولا صعوبة بالغة في اثبات ان المعلومات قد نسخت ، كما انه يصعب اثبات سرقة شيء هو مازال في يد صاحبه وحتى اذا تم اثبات ذلك ، فان صاحب المعلومات لا يرغب في التشهير بنفسه واتهام نظامه في حفظ المعلومات بانه غير مؤمن ، وعرضة للسرقة والعبث به .. بسهولة .

والواقع أن كثيراً من المنظمات الكبرى التي تستخدم تكنولوجية العقل الالكتروني بشكل واسع تحجم عن مجرد الخوض في النقاش حول امكانية سرقة المعلومات ، وكأنما تخشى من أن يكون مجرد الاعلان عن كون هذه السرقات قد تمت في الحقيقة ، هو في حد ذاته تشجيع لآخرين لمحاولة القيام بها .

الاغراء والمنافسة

وتتعرض العقول الالكترونية لسرقة المعلومات منها بواحدة من سبيلين : إما بالوصول مباشرة الى الكمبيوتر نفسه ، كما في حادثة شركة النفط التي ذكرت في صدر هذا المقال ، وإما باعتراض المعلومات وهي تبث من محطة لاخرى عبر الكيبلات والخطوط .

اما الوصول مباشرة الى الكمبيوتر فيمكن حصره وتضييق فرصه بواسطة اجهزة امن واجراءات امنية ، وجوازات مرور الكترونية وشفرات ، وان لم تكن هذه كلها ضمانات نهائية ضد السرقة . ولكن الامر الاكثر صعوبة هو حماية رسائل المعلومات المبثوثة .

فمثلا .. يمكن لشركة للادوية أن تنفق ملايين الدولارات في ابحاث لتطوير عقار جديد ، ثم تقوم بتخزين طريقة تحضيره واستراتيجية تسويقه في بنك للعقول الالكترونية ، بينما تجري خطوات تسجيل براءة الاختراع . وقد يتم ارسال الاختراع من فرع للشركة الى فرع آخر . وهنا فرصة مغرية لاى منافس !

وقد يرسل احد البنوك الى وكلائه في بلد آخر اشارة للقيام بعملية نقدية كبيرة للحد الذي قد يؤثر على قيمة عملة ذاك البلد . وهذه ايضا معلومات لا تقدر بثمن بالنسبة لاى مضارب قد يرتب الأمور ليسترق الانصات لهذه المعلومات المرسلة .

وقد يحتفظ المضاربون في الأرصدة بسجلات عن عمليات المضاربة في الكمبيوتر . فاذا قام شخص ما بتتبع النمط والنسق اليوميين في البيع والشراء عند نفر من زبائن احد المضاربين ، فانه يستطيع بذلك أن يتحكم بسوق الأرصدة كله .

وبالطبع تظل كل هذه الجرائم التي ذكرنا مجرد جرائم افتراضية ، ولكن

أسلوب سرقة المعلومات فيها ليس افتراضاً . وفى احدى القضايا القليلة التى وصلت الى المحكمة فى الولايات المتحدة اتهمت شركة الكمبيوتر بأنها حصلت على برنامج بالغ السرية من كمبيوتر احدى الشركات المنافسة لها ، وذلك بقصد مزاحمتهم فى التقديم لمناقصة كانت ستعلن بعد حين .

الخطر الماثل

وهناك أيضاً قضية الطلبة الذين استطاعوا وهم يقومون بتجربة علمية صرفة وفى سبيل العلم وحده أن يصلوا الى معلومات مصنفة وعلى درجة عالية من السرية تخص القيادة الاستراتيجية الجوية فى الولايات المتحدة . كما أن مجموعة من خبراء البنتاغون قد تمكنت من اجتياز سلسلة معقدة من كلمات السر والشفرات والأقفال الالكترونية فى مدة ساعتين ، ودلفت الى حرم يمثل قمة القدسية فى عالم صناعة العقول الالكترونية . وهو العقل الالكترونى المركزى للآى أم بى .

وهناك أيضاً حادثة فريق البحرية الامريكية الذى تسلل الى شبكة (نوراد) الدفاعية . الأمر الذى جعل البعض يقولون انه من الممكن أن تشتعل الحرب العالمية الثالثة بكل شرورها وفظاعة دمارها بواسطة مكالمة هاتفية على البعد .

صناعة جديدة

وحتى وقت قريب كان المديرون التنفيذيون فى عالم الصناعة يهتمون فقط بالمظهر الأمنى المادى واجراءاته .. من خفراء واقفال ومفاتيح وخزائن .. وذلك لحماية المعلومات فى العقول الالكترونية . ولكنهم الآن أخذوا يتجهون الى البحث عن حماية ودفاع ضد جرائم سرقة المعلومات هذه فى الكتابة بالشيفرة .. وهى فن قديم جداً فى ارسال المعلومات فى الحرب والسلم ، وقد اخترعه قدماء المصريين . وكانت مسألة اخفاء المعلومات هذه ذات قدسية دينية عندهم .. يضفون عليها قيمة سحرية وقوة ضارة ان كان استخدامها فى غير ما قصدت به ، ولذا فان الشيفرة مرتبطة فى أذهان البعض بالسحر الأسود .

وكان أول استخدام للشيفرة فى الحرب على يد أهل اسبارتا ، ثم دخلت عالم السياسة فى أوروبا الغربية فى القرون الوسطى . أما أول من استخدمها فى عالم التجارة فهو الكنيسة الكاثوليكية التى حفظت المعاملات التجارية فى شيفرة بالحروف الأغريقية. وعندما اخترع التلغراف فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتم أول اتصال بعيد عبر اللاسلكى ، دخلت الشيفرة عصرها الحديث .

الشيفرة والشفرة

والشيفرة ليست مماثلة لنظام الكتابة بالشفرة ، حيث يتوفر لكل من الراسل والمستقبل للرسالة بالشفرة نفس كتاب النظام الشفرى ، الذى يحوى قوائم من المعانى المتفق عليها لكل كلمة ، حيث يمكن أن تعنى كلمة (أسود) (الحرب) وكلمة (فاكهة) (على وشك الوقوع) .. وهكذا ...

فالشيفرة تقوم على نوع من اللوغريتمات أو الحساب العشرى ـ معد بطريقة تحال بها الرسالة المبعوثة الى شفرة ولها مفتاح لفكها فى الطرف المستقبل لها .

نظام معقد

وهناك طريقتان بسيطتان .. احداهما تعتمد على اعادة ترتيب الكلمات أفقياً أو رأسياً أو بأى شكل يتفق عليه ، والأخرى عن طريق الاستبدال . ومهما عقدت سبل الترتيب أو الاستبدال ، فان امكانية فك الشيفرة متاحة فى نهاية الأمر . وكل ما يمكن الاستفادة منه فى حال ترداد الأحرف أو الكلمات هو إطالة الزمن الذى يستغرقه فك الشيفرة بالنسبة للمتطفل أو الذى يحاول سرقة معلوماتها .

ومع تقدم التكنولوجية أصبحت الشيفرة أكثر تعقيداً وذلك باختراع أجهزة لوضع جداولها العشوائية ، وقد تعقدت سبل فكها أيضاً . وقد اتضح مؤخراً أن الفضل فى هزيمة ألمانيا فى معركة بريطانيا ومعركة فرنسا ومعركة العلمين يعود الى العقل الالكترونى الانجليزى «كلوساس» الذى صنع بفك شيفرة آلة (انيجما) النازية الضخمة ، التى كانت بها المعلومات العسكرية ، فقبل العلمين لم تنتصر بريطانيا فى أى معركة ضد النازية ، أما بعدها فهى لم تخسر أية معركة .

لا مجال للتسلية

وقد غيرت تكنولوجية الكمبيوتر الحديثة كل أصول لعبة الشيفرة . ولم يعد هناك مجال لفك الشيفرة لرجال موهوبين كالشاعر أدجار آلان بو والرئيس الامريكى توماس جيفرسون اللذين كانا بارعين فى حل الشيفرة كافضل ما يكون خبراؤها . وأصبحت الشيفرة وقفاً على علماء الكمبيوتر وخبراء علم الرياضيات . ولأن الكمبيوتر يستطيع أن يقدم آلاف الاختيارات فى سرعة لا يمكن لسرعة الذهن البشرى أن تجاريها أو أن للقلم أن يسطرها بيد الانسان على الورق ، فانه يمكن للعقل الالكترونى وحده أن ينتج شيفرة يستغرق حلها زمناً وجهداً من عقل الكترونى لآخر . وبذا أصبح استخدام الشيفرة المبرمجة بالكمبيوتر يتزايد فى ارسال المعلومات من مكان لآخر .. وبين الكمبيوترات وحدها .

مفارقة مؤلمة

فهل يعنى كل ذلك النهاية لسرقة المعلومات ؟

إن علماء الشيفرة يستطيعون باستخدام العقل الالكترونى أن يطوروا شيفرة غير قابلة للحل . ولكن سيل المعلومات وضرورة توفرها بالنسبة لمن يدير بها أعماله لا يحتمل ذلك كله لعنصر الوقت الذى يطول حتى تفك الشيفرة ، وللتكلفة العالية لأى كمبيوتر أكثر قدرة وكفاءة .. وبذا فان المشكلة ستظل قائمة ، لأن حلها الجذرى يعنى دفن المعلومات مرة والى الأبد .

وتلك هى المفارقة المؤلمة فى عصر التكنولوجية الحديثة .


Fossil Fuel
STOP MOTOR
NO SMOKING
REGULAR
UNLEADED
SUPER

مجلة « الأمة »

عدد ممتاز بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري

اقرأ في هذا العدد

- وجهة العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري
  د. عماد الدين خليل
- هذه الأمة لن تموت
  د. يوسف القرضاوي
- القرن الخامس عشر.. بشائر وبصائر
  الأستاذ عمر عبيد حسنه
- العلمانية.. وتطبيقاتها في الإسلام
  د. محمد البهي
- على طريق الله في مطالع القرن
  الأستاذ أنور الجندي
- الخمر.. والإدمان الكحولي
  د. نبيل الطويل

مع العديد من الأبواب والتحقيقات المصوّرة

الأمة مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر من قطر

أضغاث أحلام



عندما يسخر القاضى

قال صديقى الفيزيائى (الماليزى) ، بعد أن صلينا المغرب ، فى جماعة ، خلف إمام فاضل يجيد القراءة : إننى ـ حيثما كنت ـ فى بلادى أو حيث اتعلم فى بلاد الانجليز ، لا اطرب لنغم بقدر طربى لسماع قارىء قرآن مجود ، أو مؤذن يحسن الأداء ... ولقد تعلمت من قراآتى فى تراث الاسلام ، وخاصة عن (المعلم الثانى) الفيلسوف أبى نصر الفارابى ، انه يمكن أن نقسم الألحان الموسيقية الى فئات ثلاث : ـ

● موسيقى تخاطب الروح والعقل معاً ، فهى موجهة نحو الرأس ، قمة جسم الانسان ، ومنها تجويد القرآن والأذان بلسان عربى مبين .

● وموسيقى تتجه نحو القسم الأوسط من جسم الانسان مابين السرة والعنق ، فهى تطرق أبواب القلب ، وتتردد اصداؤها فى داخل الصدر ، فتهز الوجدان ، وتمنح المرء نشوة توقظ مشاعره ، ومن ذلك موشحات وأنغام المتصوفة فى وجدانياتهم الالهية الراقية ، وكل جزل ، عميق ، نظيف ، من السيمفونيات والأوبرات والسيريناادات ، والفالسات ، والمقامات ، وما إليها ...

● وموسيقى تتعامل مع جسم الانسان ، وهى احط انواع الموسيقى ، حيثما عمت وانتشرت كانت (علامة مسجلة) على الانحدار الأخلاقى ، وفساد الذوق ، وفقدان التقييم الجمالى الحقيقى للحياة ، وذلك من مثل الموسيقى الصاخبة ، وما يشبهها من موسيقات الادغال ، كتلك المنعوتة باسم (الروك ـ اند ـ رول(وكذلك صنجات وصيحات (الكودية) فى حفلات (الزار) وما الى ذلك من الألحان التى يابى صانعوها (بدافع التهافت على الرزق) ، إلا ان يجعلوا من الانسان حيواناً منحطاً .. ومن تصنيف الموسيقى ، انتقل الحديث الى شعاب علم (الصوت) وأوديته بمعطياتها الهائلة ، التى توصل بها علماء (الفيزياء) منذ عهد قريب جداً ، الى إستخدام (الترددات الصوتية العالية) ـ التى لا تسمعها اذن الانسان ـ فى صناعة (مجهر) نرى به من تفاصيل الأشياء ، ودقائق صنع الله فيها ، ما لا تبينه لنا (الميكروسكوبات) الضوئية أو الالكترونية .. وكان العلماء قد عرفوا خلال قرون من الجهاد الشاق ، والاجتهاد المضنى أن الصوت ما هو إلا (ترددات) أو اهتزازات ، تنتقل عبر اى وسط (مادى) من غاز ، أو سائل ، أو جماد ، بسرعة تتوقف على (طبيعة ذلك الوسط الناقل ، وحالته ، من حرارة ، أو ضغط أو كثافة ، على هيئة (موجات) لها أطوالها ، وحساباتها ، لدى الفيزيائيين ، ومهندسى الصوت ، الذين يتمكنون من تسجيل الأصوات ، إما بطريقة (ميكانيكية) مباشرة كما فعل (اديسون) حين اخترع الحاكى أو (الجرامافون) أو بعد تحويلها الى طاقة ضوئية كما فى (أفلام السينما) الناطقة ، أو الى (قوى) مغناطيسية تختلف شدة وضعفاً ، حسب (طبيعة الصوت) كما فى شرائط (الكاسيت) وما اليها ... كما تمكنوا طبقاً لما عرفوا من أسرار (الصوت) أن يصنعوا للسيارات (أبواقا) مختلفة النغم والرنين ، وأن يبتدعوا أجهزة (السونار) التى تعتمد على موجات الصوت ،وصداها الراجع ، لمعرفة ما تحت سطح الماء من تجمعات الأسماك ، أو الصواصات ، أو الألغام ... ووصل بنا الحديث عن فيزياء علم الصوت الى موضوع (الشخير) الذى يصدر عن بعض (النوام) من بنى البشر ،ويستهجن إحداثه (عمداً) من المتيقظين ... وتبين أن هنالك ضرباً من الشخير (صامتا) لا يسمع ، وذلك لأن تذبذبات أو اهتزازات أو ترددات الحواجز الأنفية واللهاة تبلغ فيه (عدداً فى الثانية) لا تستطيع الأذن أو أعصاب السمع أن تدركه ، فهو غير مزعج كالشخير العادى المسموع الذى اشتهر به ـ ربما منذ عهد دولة البطالمة ـ كل من سكان (غزة) و (الاسكندرية) ـ الذين هم ابناء شاطىء بحر واحد منذ مئات القرون ، والذين يستهجنون (بالشخير) اى فعل يستنكرونه فى الحياة العادية كذلك القاضى الذى تروى الأساطير انه كان يعمل فى مدينة باعالى الصعيد فى مصر ، وكان يشخر علناً بلا حياء للمتقاضين ، عندما يعرضون عليه بعض قضاياهم الغريبة ... فلما بلغ أمر هذا القاضى الى وزارة العدل ، التى كانت تدعى فى سالف العصر والأوان (وزارة الحقانية) ، كلفت احد (المستشارين) للقيام بالتحقق من هذا الأمر ... وكان صاحبنا القاضى رجلا ذكياً ، فادرك الغرض من زيارة المستشار ، واصر على أن يحضر بنفسه الى قاعة المحكمة ... فكانت أول قضية تعرض ، موضوع نزاع بين رجلين احدهما دائن (صاحب حق) والثانى مدين مماطل ... واعترف المدين بما عليه ولكن قال للقاضى : يا سيدى حيث اننى كلما رزقنى الله بمال وبحثت عن دائنى هذا فلا اجده ، فارجوك ان تامر (أطال الله عمرك وجعلك موئل الباحثين عن العدل) بوضعه فى السجن ، ريثما يرزقنى الله ، فابادر بالسداد (إن شاء الله) لأنى ساكون عارفاً بمقر صاحبى .. فنظر (القاضى) الى (المستشار) نظرة ذات مغزى .. وقال له فى هدوء : هل تسمح لى يا سعادة المستشار ان (أشخر) ام اترك هذه النغمة اليك لتتفضل باحداثها على رؤوس الاشهاد ؟؟ واننى أداوم تذكر هذه القصة عندما يقول القائل : إن (ما يحدث اليوم) من أقصى (مغربها) الى أقصى (مشرقها) ما هو إلا مجرد وسيلة (علمية عالمية) لاستخدام (اصوات) الصواريخ والقنابل الفاتكة ، بقواعد علم الصوت ، لتحقيق مقدار المسافات ـ بصرف النظر عن الخراب ، والدمار وانات الثكالى والأيتام والمشوهين ـ بين مختلف بلداننا وحسابها بدقة ، باعتبار أن (سرعة الصوت) فى الهواء (الشرقاوسطى) معروفة تماماً ....

درويش مصطفى الفار

مواقف ثقافية



نحو استراتيجية فكرية

فى زحمة الاتصال والتبادل الثقافى بيننا والآخرين ، والعالم الغربى بوجه خاص ، يجدر بنا أن نتمسك باستراتيجية فى النظر الى الأعمال الفكرية والأدبية تنطلق من ذات النقطة التى تحرك نشاطنا الثقافى وتوجهنا الفكرى بغية ترفيع مشاركتنا فى صنع الحضارة ومستقبل العالم .

ولا جدال فى أن الوقوف على تجارب الآخرين يفتحنا على عالم من الامكانيات التى تسهم فى تفجير طاقات الابداع فينا ، ويغذى قدراتنا على استكمال اللوحة التى نأمل فى الافصاح عبرها عن انسانيتنا الاكثر نبلا وفعالية .

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية نشاطاً واسعاً وكبيراً فى مجال الترجمة والنقل الى اللغة العربية ، لعل ذروته كانت فى الستينات ، قدمت فيه اعمال فكرية وأدبية أثرت فى الحساسية الفكرية والفنية ، وربما الى حد لا نود الاعتراف به فى تدبير واقعنا السياسى وقتئذ .

واتسمت حركة الترجمة تلك بانها صبت اهتمامها على نقل الانظمة الكاملة ولم تحفل كثيراً بترجمة الأعمال الممهدة لسبيل وقيام تلك الأنظمة الفكرية والعلمية ، وهى فى ذلك لا تختلف كثيراً عن حركة الترجمة فى عصورها الزاهية التى وجهت اهتمامها بعد الفلسفة الى العلوم المفيدة عملياً ، واهملت العلوم التاريخية ... ولكن الاختلاف الجوهرى كان فى مسالتين : فالترجمة المعاصرة نقلت الينا انتاجاً ادبياً اوروبياً احتج به النقاد فى نظرتهم الى الأدب العربى قديمه وحديثه ، بينما اسقطت ترجمة الأولين أدب الاغريق ، وفسر ذلك بغزارة انتاج الأدب العربى ، وخاصة الشعر ، آنذاك . والمسالة الاخرى هى اختلاف فى النظرة . فالمترجمون الأوائل كانوا محكومين بتقديس السلطة العلمية ومفهوم أن مولفات الأقدمين تتضمن كل ما يمكن نيله من المعرفة . اما الترجمة فى عصرنا فقد احتجت بالحداثة وبالعقلانية والخروج على الموروث .

إن الخطر فى هذا الاختلاف الجوهرى هو مدلوله : فالمترجم القديم كان ينطلق من استدعاء فكرى لاستكشاف جوانب مجملة فى العقيدة الاسلامية . وهذا الدافع اهله ليكون ذا تبصر ذاتى حريص ـ فالمباح بين والحرام بين ـ والثقاة كثر اذا اشتبهت المسائل . وكان ما ينقله يخضع لعملية نقد حصيفة على ضوء الفكر الاسلامى الفاعل ، ولحوار فكرى شاق ومكلف لاهله إن ارتبك بعيداً عن جادة العقيدة والايمان ، ولتحكيم فى نهاية الأمر لآيات محكمة وسنة رشيدة واجماع عارف .

اما حركة الترجمة المعاصرة فقد تمت فى ظروف وقوع العالم العربى الاسلامى فى اسر المستعمر واغراضه ومصالحه ، وقام بها فى البداية اهل كتاب ليس هو كتاب العرب المقدس ، وشابها دس مؤسسات همها الأساسى استلاب العرب المسلمين مادياً وثقافياً ، وتعطيل دورهم الحضارى الفاعل . ومهما رفعنا من شأن مدرسة الألسن وجامعات الشرق ، فان المحصلة النهائية لما نقل وترجم ـ ولم يعرب إلا أقله ـ لا يمكن وصفها بانها رافد بناء فى كيان فكرى عربى اسلامى .

لقد توقف نشاط الترجمة والنقل الذى كان منتظماً ومنظماً من قبل المؤسسات الثقافية الخاصة .. ولكن سيل المعلومات الذى تنقله الصحافة العربية وبعض دور النشر التجارية عن وكالات بث المعلومات والرسائل الثقافية لم يتوقف . ولم يتوقف احتفاؤنا بكل جديد فى عصر التكنولوجيا دون تبصر ذاتى حريص على النظر فى التجربة العربية الاسلامية وفى امور حيوية تتصل بالدوافع التاريخية لتطورنا وتقدم الوطن وتنميته وتنمية اهله البسطاء ..لخيرهم ومستقبلهم .

وربما اتفقت كل الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالاعلام ووسائط بث الدعاية والدعاية المناهضة والتى عقدت على الصعيدين العربى والاسلامى وبالاشتراك مع دول العالم الثالث على ضرورة ايجاد مراصد للاحداث والمعلومات والتوجيه تنطق باهتمامات ومشاغل وقضايا هذا المثلث المتحد فى نوع من التباين الطفيف فى بعض المظاهر الثقافية.

جزء من العالم نحن ، ودورنا التاريخى فى صنع الحضارة مشهود له من قبل العدو قبل الصديق الغافل والمواطن المستلب . ولكن الذى يغيب عنا كثيراً هو أن هذا الدور متصل.

إن البصمات والتاثيرات الاسلامية الشرقية على الآداب والفكر وحركة الثقافة العالمية وفيرة ، غرس معظمها وبشكل قوى فى العصر الوسيط لتلك الآداب وتلك الحركة الفكرية والثقافية . واصبحت جزءاً من فكرها بعد أن تم تقليدها وتمثلها تمثلا كاملا حتى لا يكاد المرء يتنبه اليها اليوم . وواجبنا اليوم فى حوارنا وصراعنا مع العالم الحديث الذى تغلب عليه السمة الاوروبية هو أن ننتبه الى آثارنا وتاثيرنا فى مضامين الأعمال الفكرية والأدبية الأوروبية عند المبدعين فى الغرب ، وان نفتح اعين واذان الشعوب الأوروبية على وجودنا الضمنى فى اعمال مبدعيهم وفى القلب النابض من عملية الابداع والكشف الفكرى والعلمى عندهم .

إن إظهار مثل تلك الوشائج والحرص على التدقيق فى جذورها يخدم همنا مرتين : مرة ونحن نبلغ ارضية مشتركة ثقافياً وفى التبادل الثقافى والحضارى ، ومرة ونحن ننظر فى مسالة اخذنا فى العصر الحديث من فنون وافكار الغرب وثقافته .

واذا تساندت توجهاتنا الفكرية المعاصرة ورسمت استراتيجية لسعينا الثقافى والفكرى فان ذلك منقذنا من تهلكة التكالب الغرير على ثمار نتاج الفكر العالمى بحجة المعاصرة او التراجع والتصلب فى وجه ذلك الفكر بحجة الاصالة والحفاظ على الموروث .





قضية فلسطين في سيرة بطل

د. حسن عيسى عبد الظاهر

صدر مؤخراً للزميل الأديب نبيل خالد الآغا كتابه الجديد عن الشهيد الحى عبد القادر الحسينى .

وفى الصفحة الأولى كانت براعة الاستهلال للكتاب بالآية القرانية الكريمة (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) !!

ثم يصحبك المؤلف معه وعلى مدى مائتى صفحة ضمنها احد عشر بابا فى رحلة مركزة عبر مرحلة من مراحل تاريخ امتنا الحديث فى اخطر قضية شغلت العالم الاسلامى ـ ومازالت ـ فى هذا القرن بعد سقوط الخلافة الاسلامية ، الا وهى قضية فلسطين .

ويطل بك الكتاب خلال هذه المرحلة من نافذتين :

إحداهما تطل على مرحلة حاسمة ، ودامية ، ومليئة بالجهاد والبطولات من جانب ، وبالمؤامرات والمخططات الاستعمارية العاتية لاغتصاب هذا الجزء الهام من الوطن الاسلامى الكبير ، وتوطين عصابات يهودية فيه تقوم رأس حربة فى قلب العالم الاسلامى تدميه من جانب اخر ..

وثانيتهما تطل بك على صفحات مشرقة من جهاد ابناء هذه الأمة ممثلين فى صورة مجاهد هو الشهيد عبد القادر الحسينى الذى عاش ومات فى سبيل الدفاع عن حقها والذود عن حياضها جهاد الأبطال الذين يعيدون الى الأذهان صورة سلفنا الصالح الذين اغبرت اقدامهم بتراب هذه الأرض فى اكرم واشرف ساحات الجهاد حتى خلصوها من براثن الاستعمار القديم واذنابه ..

وبلا مقدمات يبدأ مؤلف الكتاب نبيل خالد الآغا الباب الأول بالتعريف بالمترجم له بادئا ـ كالمعتاد ـ ببيان مولده ونشاته ، وباسلوب ادبى وفى عبارة رقيقة يقول : امسية الثامن من ابريل ١٩٠٨ امسية هادئة فى اسطنبول ، وامسية الثامن من ابريل ١٩٤٨ امسية ملتهبة فى القدس ، الامسية الأولى شهدت ميلاد عبد القادر موسى الحسينى ، واذنت بميلاد قائد فذ وهب حياته فى سبيل وطنه ، والامسية الثانية شهدت مصرع هذا القائد ، فاذن مصرعه بالشؤم على الوطن ومواطنيه ، ولد فى صمت ، وعاش فى صخب ، واستشهد فى اجلال ، اربعون ربيعاً اهداها وطنه ...

ولكن هل صحيح أن مصرعه اذن بالشؤم على الوطن ومواطنيه كما يقول المؤلف ؟ أم أن تلك نظرة خاصة للمؤلف من واقع اليم يعيشه جيله ؟؟ ..

إن دم الشهداء لا يضيع هدراً ، ولا تؤذن مصارعهم بالشؤم ، ولكنها جذوة من نور تضيء الطريق الطويل .

● ● ●

ينتقل بنا الكتاب فى الباب الثانى الى الحديث عن النشاة العلمية للمجاهد عبد القادر ويقف عند حادثة لها مغزاها فى حياة هذا البطل وذلك يوم وقف فى حفل التخرج من كلية العلوم فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٣٣ يمزق الحجاب عن الغزو الثقافى فى امتنا بقوله حق لم يخش فيها لومة لائم وكشفت عن شخصية البطل

وكانت اولى المعارك الهامة التى شارك فيها هى معركة (قرية الخضر) ودارت رحاها ضد قوات الاحتلال والانتداب البريطانى آنذاك .. وكذلك اشتراكه الفعال فى معركة «بني نعيم الكبرى» .

وفى الباب الثالث نصحب المجاهد الى العراق حيث قضى مرحلة جهاد وصبر وابلى هناك فى قتال الانجليز عام ١٩٤١ فى معارك (صدر ابى غريب) التى ذكرت عنها فى حينها مجلة الحرب البريطانية لأنها اخرت احتلال بغداد من قبل قواتهم لمدة اسبوعين .

ونمضى مع المجاهد عبد القادر الحسينى بعد هذه المرحلة فى رحلته الى مصر ، وفيها جعل من بيته الصغير المتواضع مختبراً لصنع المتفجرات التى كان يتقن فنها اتقانا كبيراً ، وقام بتدريب العديد من الشبان على هذه الصناعة الدقيقة ، ومن ناحية اخرى تعاون مع حزب مصر الفتاة الذى كان يرأسه الأستاذ احمد حسين وتعاون مع جماعة الاخوان المسلمين ايام مرشدها الامام الشهيد حسن البنا ، وتعاون كذلك مع كافة الاحرار من انصار القضية الفلسطينية

● ● ●

ثم ينتقل بنا ـ فى الباب الخامس ـ مع المجاهد عبد القادر الى ساحات الجهاد على أرض فلسطين (ولقد كان عبد القادر اول من دخل فلسطين ليقود ابناءها فى نضالهم ضد الأعداء ، وقد خاض كل المعارك التى وقعت قبل دخول الجيوش العربية تقريباً ، والتى انتهت جميعها بالنصر والفوز ، إلى أن كانت معركة القسطل) ..

وفى الصفحات الخالدة لهذه المرحلة نقرأ كيف أدار المعارك حول القدس ، ونتعرف على ملاحم الجهاد والامجاد فى معركة : بيت سوريك ، ونسف دار الصحافة اليهودية ، وتدمير شارع هاسوليل ، ونسف شارع ابن يهوذا ، ونسف مقر الوكالة اليهودية ، حتى صارت المنطقة جحيما

● ● ●

ويقف بنا طويلا فى الباب السابع مع المجاهد ومع أحداث خطيرة عاد بعدها من دمشق فى أوائل ابريل ١٩٤٨ وفى نفسه مرارة وهو يقول : (سنرجع الى فلسطيننا لنحقق املنا فى الفوز باحدى الحسنيين النصر او الشهادة ولنذكر قول الله تعالى (فليقاتل فى سبيل الله الذى يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيما) ، وقد كان ، وفاز عبد القادر الحسينى بالشهادة فى معركة من اروع معارك الشرف هى معركة القسطل فى الثامن من ابريل ١٩٤٨ ولقى ربه مجاهداً ولم يلق السلاح من يده ، وكان لاستشهاده صدى كبيراً على المستوى العربى والاسلامى والعالمى ومازال ، وتحس بهذا الصدى فى الصفحات الاخيرة من الكتاب ..

وهكذا كان عبد القادر الحسينى وهكذا صار او كما يقول عنه القائد عبد الله التل : كان ظاهرة وطنية عظيمة لابد أن تكون خاتمتها الاستشهاد فى سبيل الله ، ولقد كان يتحلى بمزايا نبيلة جعلته رمزاً لشباب العرب ، فكان صادقا فى زمن استشرى فيه داء الكذب ، وكريماً فى زمن اشتد فيه البخل ، وشجاعاً فى زمن عم فيه الجبن ،

● ● ●

والكتاب صفحات جادة تحس فيها بالجهد والدأب فى جمع مادتها من مراجع ومصادر مدونة ومتناثرة فى الكتب والصحف والتقارير ، وشفاها من افواه الذين شاركوا فى هذه الأحداث وعلى مدى سنين دأب فيها المؤلف فى صبر واناة على جمعها وتركيزها ثم عرضها فى صورة حية مشوقة واسلوب جيد يشد القارىء معه من أول الكتاب الى اخره ، ولا غرو فالمؤلف من بقية السيف ـ وبقية السيف اغزر ـ وابن الأحداث يحس بالقضية بكل مشاعره ويعيش فيها ..

ويأتى الكتاب ليملأ بموضوعه فراغاً نحس به فى المكتبة العربية نحو شهدائنا وابطالنا على دروب طويلة من العناء والجهد والجهاد . إن عبد القادر الحسينى وغيره من المجاهدين والشهداء الذين ابلوا فى سبيل الله فى جهاد دائم وما سطروه على أرض فلسطين من بطولات فى الثلاثينات والأربعينات لجدير بالتسجيل للاجيال والتاريخ ، وحياتهم وشهادتهم صفحات مضيئة يجب أن تظل منشورة ولا تطوى .

د. حسن عيسى عبد الظاهر

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

النور عثمان أبكر

اختلاف في التقدير

ما قدمت جائزتا نوبل للسلام والأدب إلا وأثارتا جدلا فكرياً وعقائدياً واقليمياً ، واتهامات للجهات القائمة بأمر ترشيح واختيار الفائزين ، واحتجاجاً من الانسانية المغلوبة على أمرها فى العالم الثالث ، وانخفاضاً فى درجة البرودة فى علاقات الشرق والغرب .

إن مجال النشاط الأدبى هو الانسان فى المجتمع والعالم ، ومجال النضال فى سبيل السلام هو الانسان وقضايا المجتمع والعالم . وما أكثر ما يفرقنا فى النظرة الى الحق الانسانى واساس المجتمع ومصلحة العالم . ولذلك فان تقويمنا للابداع والنضال لابد أن يعكس قناعاتنا وأفكارنا المختلفة والمصطرعة دينياً وحضارياً ولغوياً وفي سبيل فرض كل ذلك على التوجه الانسانى عالمياً .

التعاون العلمي والصناعة

لقد فرضت التكنولوجية والصناعة على العلم أن يكون فى متناول الجميع ، وعلى بحوثه أن تدور فى فلك ما يمكن فى نهاية المطاف تسويقه . وصارت الجامعات ومراكز البحث العلمى التى تعتمد فى ميزانياتها على ما تدفع به الصناعة من أموال حريصة على اكتشاف ما يغذى نهم الانتاج الكبير من المعارف والأفكار . وبذا انتهت عهود البحث العلمى المجرد ، والنبوغ العلمى المتوحد . وقد عكست جوائز هذا العام وسابقه اتجاه العلماء الى التعاون وتقسيم البحث الى أجزاء وقيام علماء من جنسيات مختلفة ـ فى الغرب غالباً ـ باجراء الدراسات والبحوث والتجارب فى جوانبه .

ويلاحظ فى الجوائز الممنوحة هذا العام فى مجال الطب والكيمياء ، والفيزياء اشتراك أكثر من عالم فى الفوز بها ، فقد تقاسم جائزة الطب أمريكيان وفرنسى ، وجائزة الكيمياء بريطانى وأمريكيان ، وجائزة الفيزياء امريكيان . وبحسبان ما جرى فى العام الماضى يتوقع أن يتقاسم جائزة الاقتصاد والعلوم السياسية أكثر من عالم .. ربما كان أحدهم من العالم الثالث .

غلبة الامريكيين

وتشير غلبة الامريكيين فى هذه الجوائز الى الامكانيات الضخمة التى توفرها مراكز البحث العلمى فى أمريكا الشمالية ، خاصة وأن معظم التجارب والأبحاث الراهنة فى المجال العلمى تدور فى عالم ما تحت المجهريات ، وعوامل الوراثة (الجينات) ودقائق النظام الشمسى ، وكلها تعتمد على أجهزة للرصد والتجريب غالية التكلفة وغاية فى التعقيد والتطور .. مما يعكس تفوق الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا على الدول الغربية الأخرى وعلى دول المعسكر الشرقى مجتمعة .. ومما يبرر ما انفق من وقت ومال فى أبحاث الفضاء التى يمكن اعتبارها الدافع الى تطوير التكنولوجية التى استدعت بناء أجهزة رصد دقيقة ولتجارب معقدة .

أسئلة مفتوحة

ولكن ما هو المرشد الذى هدى لجنتى جائزة السلام والأدب الى مغمورين كالشاعر الروائى البولندى المولد ، الأمريكى الجنسية تشسلاف ليموش ، والنحات والمعمارى الأرجنتينى ادولفو بيريز اسكويفل رئيس جمعية قوامها عدد قليل من المتطوعين لخدمة السلام والعدل مقرها مكتب من حجرتين فى موقع متواضع فى بوينس آيريس ؟

أهو الغرض السياسى والدينى ، أم أن ما قدمه الرجلان يرفعهما فعلا لنيل جائزتى الأدب والسلام ؟

ادولفو بيريز اسكويفل الحائز على جائزة السلام

ضرب عدد المرشحين لهذه الجائزة لعام ١٩٨٠ رقماً قياسيا ، إذ بلغ ٧١ مرشحاً . وباختيارها للنحات والمهندس المعمارى الارجنتينى البالغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً لنيل جائزة نوبل للسلام فان اللجنة قد صرفت النظر عن مرشحين مرموقين كالرئيس الأمريكى جيمى كارتر ، والبابا جون بول الثانى ، واللورد كارينغتون ، وزير خارجية بريطانيا ، وروبرت موجابى ، رئيس وزراء زمبابوى حديثة الاستقلال ، وحرصت على هذا الارجنتينى الذى سلط ضوءاً على ظلام الحكم العسكرى فى الأرجنتين .

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

● فوز النحات المفمور يفضح الحكم العسكرى فى الأرجنتين ويدعم حركة الدفاع عن حقوق الانسان

حقوق الأنسان

وقد قام بترشيحه للجائزة فائزان لها سابقان هما قائدتا حركة السلام الشعبية فى ايرلندا الشمالية ، بتى وليامز ومارید كوريغان ، وقالتا عنه انه «أبرز المناضلين السلميين الأحياء» .. وقالت لجنة الجائزة ان غرض حركة خدمة السلام والعدل التى ظل بيريز اسكويفل يتزعمها منذ عام ١٩٧٤ هو العمل لترقية الحقوق الأساسية للانسان ، وبالطرق السلمية .. وانها ضمن شبكة تغطى كل أمريكا الجنوبية .

وقد شبهت اللجنة آراء وأهداف بيريز اسكويفل بتلك التى ناضل فى سبيلها المنشق السوفييتى زاخاروف الذى نفي الى مدينة سوفييتية مغمورة .

فهل يعنى كل ذلك ان اختيار بيريز اسكويفل يجيء ضمن الاتجاه الذى ظهر مؤخراً والذى ينحو الى منح جائزة نوبل للسلام للمدافعين عن حقوق الانسان ؟ .

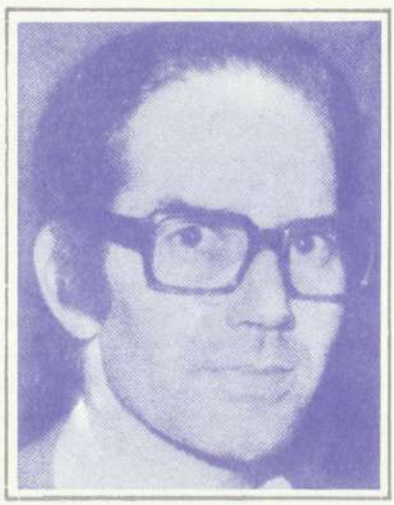
رجل وديع متواضع

لم يكن بيريز اسكويفل قائد حركة شعبية ذات أتباع كثر ونشاط متصل كبير . وهو ليس مارتن لوثر كنج ، ولم يسطع له نجم فى بلاده . وقد كان يركز همه على ايقاظ الضمير الفردى فى الأرجنتين . وما حركته سوى نقطة صغيرة فى خضم الحركات العاملة فى أمريكا اللاتينية ، وخاصة تلك التى ترتبط بالمنظمات الكنيسية وتعرف بحركات التحرر عبر الدين ، والتى تقوم على أن المسيحية يجب أن يعاد النظر فيها على ضوء رسالة السيد المسيح الى الفقراء .. وليس اسكويفل بالاسم الكبير فى هذه الحركة ، بل أن دعوته الى عدم استخدام العنف قائمة على أفكار المهاتما غاندى ، والذى تملأ آثاره الكاملة حجرتى مكتب المنظمة التى يقودها اسكويفل . فاذا كانت الحركة الدينية فى امريكا اللاتينية تقوم بما يوازى حركة الاصلاح الدينى فى أوروبا فى العصر الوسيط فان رجلا مثل دوم هلدر كامارارا فى الارجنتين هو الذى كان يمكن أن يكون المقدم فيها والمرشح لجائزة السلام.

حرج دبلوماسى

إن الحرج الذى سببه فوز اسكويفل بجائزة السلام لحكومة الارجنتين يمكن أن يكون بحد ذاته مبرراً كافياً لمنحه الجائزة . لقد ظلت السلطة العسكرية التى استولت على الحكم فى عام ١٩٧٦ تستخدم أبشع أساليب القمع والارهاب لاجتثاث كل أشكال المعارضة السياسية .. فاختفى آلاف الناس دون أثر ، وفى حالات كثيرة كان المعتقلون دون تهمة يواجهون بصنوف مريعة من عمليات التعذيب ثم يقتلون . وظلت الحكومة الارجنتينية تنكر أية اتهامات ضدها أو تصفها بالمبالغة .

وفى الوقت الذى كان العمل السلمى يكاد ان يكون مستحيلا ، قرر اسكويفل ان ينذر حياته له . فطرد من منصبه كاستاذ للمعمار بمدرسة الفنون الأولى فى بلاده .. ثم اعتقل . وقضى أربعة عشر شهراً دون محاكمة ودون أن توجه اليه أية تهمة ، أو حتى أن يخطر بسبب استبقائه فى السجن . ويرى أصدقاؤه أنه كان محظوظاً نوعاً ما ، إذ أن اعتقاله تم عندما ذهب بنفسه الى مركز الشرطة الرئيسى فى بوينس آيريس لتجديد جواز سفره .. وجاء هذا الاعتقال فى زمن كان آلاف الناس يختفون ولا يعرف لأكثرهم أثر .



ادولفو بيريز اسكويفل

وقد مرض فى السجن .. وحجز مرة فى الحبس الانفرادى لأنه تبادل نادرة وضحكة مع مسجون آخر . وكان الحرس يطلقون عليهم نعت (اولئك الذين سجنوا لأنهم أغبياء) وقد تم الضغط من الخارج لاطلاق سراحه ، وخاصة من قبل منظمة امنستى العالمية .

ولم تذكر كبريات الصحف فى الارجنتين خبره ، كما أن الاذاعة والتلفزيون أهملا ذكره . أما الآن ، فسيذكر اسمه لأول مرة ضمن الاعلان عن جوائز نوبل . ولا يدرى أحد كيف تعالج وسائل الاعلام الارجنتينية هذا الموقف المحرج .

بشرى للمناضلين

إن اختياره للفوز بالجائزة سيثلج صدور حركات كثيرة تعمل من أجل حقوق الانسان .. وخاصة تلك التى مازالت نشطة رغم الارهاب فى الارجنتين .. وخاصة النسوة اللائى اختفى أقاربهن وذويهن وابناؤهن واللائى درجن على الخروج فى تظاهرة صباح كل ثلاثاء أمام رئاسة الحكومة فى العاصمة الارجنتينية وقد اختفى عدد كبير منهن دون أن يعرف لهن مصير .

وكانت مجموعتهن مرشحة لنيل الجائزة .

إن الآراء التى يمثلها بيريز اسكويفل ، والموقف الذى صمم عليه فى مقاومة السلطة الغاشمة ليحملان رسالة ذات أهمية بالغة لدول أخرى كثيرة وليس فقط فى امريكا اللاتينية حيث المشاكل الاجتماعية التى ظلت دون حلول قد تمخضت عن تصعيد لاستخدام العنف .

جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٠

يبدو أن بولندا لن تكف عن اثارة الدهشة والجدل فى الربع الأخير من عام ١٩٨٠ ، إذ ما كادت أجهزة الاعلام تحول انتباهها الشديد عن حركة التمرد النقابى الذى تمخض عن تنازل أول نظام شيوعى عن فرض سيطرته التامة على النقابات العمالية ، وتسليمه بمبدأ تكوين نقابات حرة ، والرضوخ لمطالب العمال الأخرى ، حتى فاجأتها لجنة جائزة نوبل للأدب باعلان الشاعر الروائى البولندى تشسلاف ليموش فائزاً بجائزة الأدب لعام ١٩٨٠ .. وذلك فى الوقت الذى كانت الدوائر الأدبية الغربية تتوقع فوز الروائى العالمى ف . س . نيابول أو البريطانى جراهام جرين أو الألمانى جونتر جراس ..

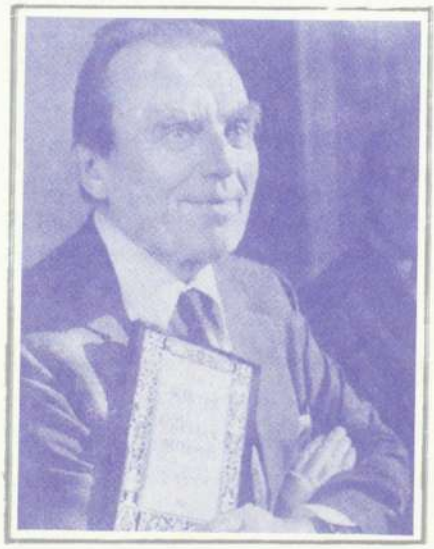
كاتب غير معروف

وقد اعترف ليموش نفسه بأنه استغرب أن تكون الجائزة من نصيبه .. فهو بعد أن اختار المنفى لنفسه منذ عام ١٩٥١ ، وأصبح مواطناً امريكياً منذ أواخر الستينات لا يعرفه خارج بولندا كما أجمعت الصحافة الغربية سوى قلة من المهتمين بدراسة الشعر ، ومن لهم صلة بشعبة اللغة السلافية بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى .

وأعماله – كما وصفها هو نفسه – تفتقر الى الشعبية والى ما يشد الناس اليها ، لأنه يكتب بلغة غير مألوفة ، ويواصل ترجمة أعمال من الاغريقية واللغة اليهودية البولندية والعبرية ، وهى بالطبع ليست بالأعمال التى يمكن أن تحظى باقبال شديد من جمهرة القراء

.. وغير سياسى

وهو ليس بالكاتب السياسى ، وان كان يصعب استبعاد السياسة تماماً من



تشسلاف ليموش

مؤلفات منشق بولندى كان قد أدان الستالينية وفارق موطنه انقاذاً لضميره كما يقول ، وروجت لكتاباته داخل بولندا حركة نشر المنشقين البولنديين ولأشعاره ممثلة بولندية موقوفة .. وكان أول رد فعل لحركة المنشقين البولنديين بعد اعلان فوزه بالجائزة أن هذا الفوز نفسه سيزيد من دفع حركة المطالبة بحرية التعبير فى بولندا ، ويحفز المثقفين البولنديين على المطالبة برفع أو تخفيف الرقابة على المطبوعات .

وكان التلفزيون البولندى قد عرض فيلماً عن المؤتمر الصحفى الذى عقده ليموش بعد اعلان فوزه فى استوكهولم ، ثم قدم برنامجاً خاصاً فى وقت لاحق من نفس الأمسية قال فيه رئيس مجلة أدبية محترمة انه لا يستطيع أن يفهم عدم نشر أعمال ميلوش فى بولندا ، وأن الخلاف الوحيد بينهم وبين ميلوش يتعلق بأمور لا صلة لها بالأدب .

اتهام قائم

وإن كان يحلو لميلوش أن يضع نفسه مع الشعراء ، فانه فى واقع الأمر كاتب مقالات وروائى وناقد ومترجم ولن ينفض الغبار الذى أثاره فوزه بالجائزة التى تكافىء الابداع المؤثر أدبياً وانسانياً وعلى أوسع مدى غير أن يتجه النقاد الى التعريف بأعماله – هذا بعد نشرها بالطبع – وحتى يتم ذلك فان جهات عديدة ستظل رافعة الاتهام للجنة نوبل بانها أثرت ان تضفى الشرعية العالمية على حركة المنشقين البولنديين ، وتنتصف للقومية البولندية فى وجه الأممية الاشتراكية ، وتناصر اللوبى البولندى فى أوروبا الغربية وأمريكا – – وهو وثيق صلة باللوبى اليهودى – فى محاولاته خلخلة النظام البولندى ، وبالتالى تعميم التمرد فى المعسكر الاشتراكى .

طرف من حياته

وقد ولد تشسلاف ميلوش فى ليثوانيا وقضى جزءاً من طفولته فى روسيا قبل وبعد الثورة .. والتى وصفها فى احدى رواياته (١٩٥٦) وفى سيرته الذاتية (١٩٥٨) بانها وطن له .

وقد درس الحقوق فى جامعة (فيلنا) ، حيث أسس جريدة فصلية عام ١٩٣١ ، وصف الشباب القائمين عليها بانهم ماركسيون غير متقيدين بالعقيدة الصارمة . وكان أول عمل شعرى له بمثابة عمل تجريبى متأثر بالسريالية (١٩٣٢) .. وقد فاز بجائزة المؤلفين فى مدينة (فيلنا) .

ثم قضى الفترة من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٥ م بمدينة باريس للدراسة .. وتأثر كثيراً بعمه الدبلوماسى والعلامة والفيلسوف الذى عاش بباريس وكتب بالفرنسية .

وكان فى وارسو أثناء الغزو النازى (١٩٤٥) .. ثم عين ملحقاً ثقافياً فى واشنطون ثم باريس . وحين استدعى للعودة الى بولندا عام ١٩٥١ اتخذ قراره بالبقاء فى العالم الحر ، وقطع ارتباطه بالحكومة البولندية ، مضحياً بذلك بوظيفة ومرتبة كانت يمكن أن تكون عالية فى قمة هرم الحزب الشيوعى البولندى وفى «العقل الأسير» ، أفضل مؤلفاته ، يقدم نوعاً من الاعتذار عن الفرار من مجتمع ممزق بين الضرورة السياسية وسلطة عقيدتين متعارضتين هما الماركسية والكاثوليكية الرومانية .. ويمكن اعتبار ذلك المؤلف بمثابة نقد صارم للستالينية وللمفكرين فى شرق أوروبا .

جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

وفى عام ١٩٥٥ صدرت روايته «غاصبو السلطة» التى تقوم على تجاربه فى وارسو فى الفترة ما بين انتفاضة وارسو فى وجه النازية والاحتلال السوفيتى . وقد فازت بالجائزة الأولى للأدب الأوروبى .. لنثرها الهادىء المدروس الذى يضفي على احداث موسم الخداع والخيانة عالمية وغرابة لا منطقية لذلك الكابوس .

وعاش فى فرنسا حتى عام ١٩٦٠ ، مع زوجته وابنيه ، ثم هجرها الى الولايات المتحدة للعمل استاذاً للغة والأدب السلافيين بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى وفى عام ١٩٧٧ أصدرت له دار نشر جامعة كلفورنيا مجلداً من الأعمال النقدية والمقالات تحت عنوان «امبراطور الأرض .. وأنواع من الرؤى الشاذة» . وقد وصفت هذه المقالات بأنها تندرج تحت نوع من الكتابة شبه منقرض ، حيث يجمع الكاتب فيها بين المفكر والناقد الأدبى والايدولوجى والمعلق السياسى .. وذلك فى تداخل وغير ما اعتماد على أى موقف فكرى ميتافيزيقى .

أعماله

وقد قام بترجمة أعمال ت . س . أليوت و والت ويتمان وكارل ساندبيرج الشعرية الى اللغة البولندية .. وربما ترجم لشكسبير أيضاً .

وتشمل أعماله النثرية المتوفرة لقراء الانجليزية بجانب «العقل الأسير» رواية «الاستيلاء على السلطة» وهى عن الشباب الراديكالى البولندى فى زمن الحرب ، و «الوطن» وهى نوع من السيرة الذاتية ، و «تاريخ الأدب البولندى» ومجموعة المقالات التى يضمها مجلد «امبراطور الأرض وأنواع من الرؤى الشاذة» .

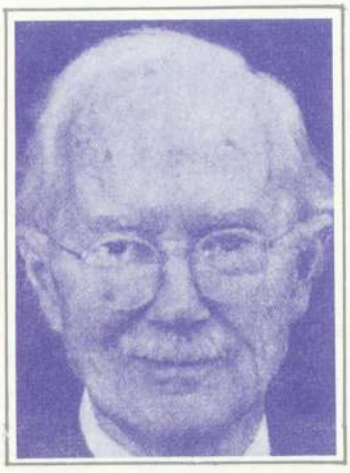
هل يستحق .. ؟

لقد حاولت الصحافة الغربية ، بعد أن وصفت ميلوش بالتوحد والعزلة ، أن ترسم عنه صورة المناضل الذى شارك فى شبابه فى المقاومة البولندية ضد النازية والفاشية ، ووقف فى وجه الواقعية الاشتراكية كمذهب فنى مفروض على الكتاب بعد احتلال بولندا وتحويلها الى الشيوعية .. وانه كان جم النشاط الأدبى والفكرى فى دار نشر المنشقين البولنديين فى باريس . ولكن لجنة جائزة نوبل للأدب قد اختارته لأنه شاعر ذو رؤية واضحة لا تقبل المساومة فى عالم يعج بالنزاع والصراع الفكرى والأخلاقى .

ولا يفيدنا ما قاله عنه النقاد فى الغرب بعد أن فوجئوا بفوزه .. من أنه شاعر ذو تأثير على الشبيبة فى بولندا ، وانه رغم استفادته من النظرة البراغماتية الغربية مازال فى أشعاره سلافى النظرة والعاطفة ، صعب اللغة والصورة ، ورومانتيكى فى اختياره لمواضيع لا تستسيغها الحساسية الشعرية الأوروبية مثل تساؤله عن معنى الحياة ، وجدوى وجودنا فيها ، ودورنا ... وانه يدعو الى نوع من التجرد الذى لا يغفل حقائق الواقع رغم قسوة منفاه السياسى والروحى .

فهل تفى بعض أبيات له مترجمة عن ترجمة انجليزية بغرض التعريف به : أشك ، وأرجو :

كنا نعبر حقولا متجمدة فى عربة
فى الفجـــــر
فارتفع جناح أحمر فى الظلماء
وفجأة قفزت أرنبة برية عبر الطريق
وأشار واحد منا إليها باصبعه .
لقد مضى زمن طويل منذئذ
ولم يبق أي منهم على قيد الحياة
لا الأرنبة البريـــــة
ولا ذاك الذي اليها أشار .
فيا حبى .. أين همو ؟ أين يمضون
ومضة اليد .. جذوة الحركة
وحفيف الحصى
اننى لا أتساءل فى حزن
ولكن فى استغراب .



جورج سنل

فى الطب

فى فترة لا تتعدى العقد من الزمان طور العلماء ميداناً جديداً فى الطب مداره ما توصلوا إليه من تفهم لنظام المناعة فى جسم الانسان وللطريقة التى يرفض بها ويهاجم الأنسجة الغريبة وبذلك يحمى الجسم من غزو الأجسام الغريبة ، وإن كان بذلك يعرقل ويقلل من فرص نقل وزراعة أجهزة حيوية مثل الكلى وغيرها .

وقد توصل الباحثون الى أسلوب تصنيف الأنسجة لأغراض نقلها وزراعتها ، مثلما كانوا من قبل قد توصلوا الى تصنيف أنواع الدم وفصائله . وبذا زادت فرص نجاح عمليات نقل الأعضاء والأجهزة من جسم لآخر .

تصنيف أنسجة الجسم

وقد منحت جائزة نوبل فى الطب لعام ١٩٨٠ لعالمين امريكيين وثالث فرنسى لعملهم الذى جعل مسألة تصنيف الأنسجة ممكناً ، وألقى ضوءاً جديداً على نظام المناعة بجسم الانسان ، كما ساعد على جعل عمليات نقل الأعضاء والأجهزة وزراعتها أكثر نجاحاً وسلامة ، وعمق الفهم لسلوك خلايا السرطان .

وقال معهد كارولينسكا الذى منحهم الجائزة البالغة ٢١٥ ألف دولار أنهم بعملهم باستقلال تام عن بعضهم البعض – وان كانوا قد تعاونوا فى توزيع أجزاء البحث – قد ساعدوا فى توضيح العوامل الجينية التى تحدد تركيب خلايا الجسم ، وبذا سلطوا ضوءاً

● معظم الجوائز العلمية من نصيب أمريكا بفضل إمكانيات البحث الهائلة فيها

جديداً لتفسير قدرة بعض الناس على مكافحة العدوى اكثر من غيرهم .. كما فسر عملهم السبب في أن بعض الخلايا السرطانية فى الجسم يتم ابعادها فى بعض الحالات ، ولكنها تتطور الى أورام سرطانية خبيثة فى حالات أخرى .

الجينات والمناعة

وكانت أبحاث العلماء الثلاثة تدور حول قيام الجينات بتنظيم ردود فعل المناعة فى جسم الانسان ، فتوصلوا الى أن الانتيجينات التى يشار اليها بحرف (هـ) هى التى تتحكم فى التفاعل بين عدد كبير من الخلايا المختلفة المسئولة عن ردود فعل المناعة فى الجسم ، بما فى ذلك مكافحة العدوى ورفض الأجسام الغريبة

والانتيجين انزيم أو توكسين أو مادة أخرى ، يستجيب له الجسم بان يفرز مضادات للاجسام هى بروتينات تحيد الانتيجينات وتعطيها مناعة .

الانتيجينات (هـ)

إن معرفة الأنتيجينات من فصيلة (هـ) ذات اهمية بالغة فى نقل وزراعة الأنسجة ، ولمعرفة وفهم العلاقة بين التركيب الجينى والمرض ـ فقد اتضح أن نوعاً معيناً من الانتيجينات (هـ) يمنح اناساً بعينهم استعداداً لأنواع معينة من الأمراض ، كما جاء فى حيثيات معهد كارولينسكا الملكى الذى منح الجائزة لباروج بناكراف ـ ٦٠ سنة ـ الفنزويلى الأصل ، أمريكى الجنسية ، وأستاذ الباثولوجى بجامعة هارفارد منذ عام ١٩٧٠ ، ومواطنه الأمريكى جورج سنل ـ ٧٧ عاماً ـ من معمل مختبر جاكسون فى بار هاربر بماين ، وجان دوسيه ـ ٦٤ عاماً ـ الفرنسى الجنسية ، من مختبر المناعة بمستشفى سنت لويس بجامعة باريس .

كل جسم فريد

إن سطح خلايا الجسم فى كل منا فريد وتحدد هذا التفرد الجينات المنظمة لتكوين مركبات معينة من الكاربوهايدرات البروتينية الموجودة فى غلاف الخلية ـ أى فى الانتيجينات (هـ) فى اقامة اتصال حميم مع أنسجة أخرى والجينات المهمة فى هذه الرابطة موجودة فى كل الفقريات ، وان كانت الدراسات والأبحاث على الفئران والانسان هى التى أظهرتها فى الأساس .



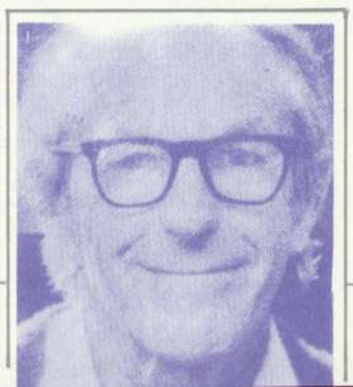
باروج بناكراف



جان دوسيه



والتر جيلبرت



د. فريدريك سانجر

مساهمة كل من الفائزين

وقد اكتشف المستر سنل العوامل الجينية التى تحدد امكانيات نقل الأنسجة من فرد لآخر . وهو الذى قدم فكرة الانتيجينات (هـ) كما وضح المعهد المانح للجائزة ...

إلا أن جان دوسيه هو الذى دلل على وجود الانتيجينات (هـ) فى الانسان، وشرح العوامل الجينية المنظمة لتكوينها

أما باروج بناكراف فقد بين أن العوامل الجينية ذات صلة حميمة بالجينات التى تحدد البناء المتفرد للانتيجينات (هـ) فى الفرد ، والتى تقوم بالفعل بتنظيم التداخل والتفاعل بين الخلايا المختلفة الخاصة بنظام المناعة . وهذا ما يجعلها خالصة الأهمية بالنسبة لقوة رد الفعل بالنسبة للمناعة ، كما جاء فى حيثيات اللجنة .. التى قضت عاماً كاملا فى غربلة ما وصلها من اكثر من مائة مرشح للجائزة .

فى الكيمياء

فاز العالم البريطانى د. فريدريك سانجر بجائزة نوبل للمرة الثانية ، واصبح بذلك أول عالم بريطانى يفوز بالجائزة مرتين . وكانت مدام كورى قد فازت بجائزتى نوبل للكيمياء والفيزياء ، كما أن البروفسور جون باردين ، من جامعة الينوى الأمريكية قد فاز بجائزة نوبل للفيزياء مرتين .

التركيب الكيميائى للجينات

والدكتور سانجر عالم كيمياء الأحياء من جامعة كمبردج بانجلترا ، وعضو فى مجلس الأبحاث الطبية . وكان قد فاز بنفس الجائزة قبل ٢٢ عاماً .. لبحوثه فى تركيب الأنسولين .. وقد تركز اهتمامه بعد ذلك فى دراسة التركيب الكيميائى للجينات ، وكيفية فك شفرة ال دى ان أى ـ الحامض النووى ـ الذى يعتبر بمثابة المرشد لبناء المادة الحية ، والذى ان تم فهمه يمكن العلماء من فهم ما يحدث من خلل عند المرض .. ويامل الدكتور سانجر أن يساهم عملهم فى البحوث الطبية خاصة .. لأن هناك امراضاً كثيرة ربما كانت بسبب أخطاء فى الجينات .

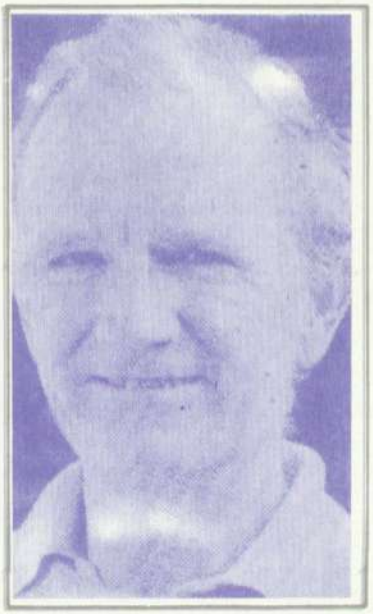
جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

أما العالمان الامريكيان اللذان شاركاه الجائزة فهما الأستاذ بول بيرج من جامعة استانفور والأستاذ والتر جيلبرت من جامعة هارفارد . وقد منحوا الجائزة البالغة ٨٨ الف جنيه استرلينى لمساهمتهم فى تحديد «المتتابعات الأساسية للاحماض النووية» ، وهى مواد البناء للاجهزة الحية ، وتوجد فى نواة كل خلية .

أب هندسة الجينات

اما الأستاذ بيرج ـ ٥٤ عاما ـ الذى منح نصف الجائزة ، فيما تقاسم الأستاذ جيلبرت والدكتور سانجر النصف الآخر فهو الأب لفرع جديد فى كيمياء الأحياء يعرف بهندسة الجينات . وكان أول انسان ينتج هرمونا بشريا من فيروس ركبه مع جينات كروموزومات البكتريا .

وقد تمخضت تجربته الرائدة عن تطوير تكنولوجية جديدة تعرف فى الغالب باسم هندسة الجينات .. كما جاء فى حيثيات اكاديمية العلوم ..



نال فيتش

رائد انتاج الانترفيرون

وكان الفائز الثالث الأستاذ جيلبرت ، عضو الجمعية الامريكية لأمراض السرطان واستاذ الأحياء النووية بجامعة هارفارد ، قد برز قبل عامين عندما قاد فريقا للبحث قام بصناعة الانسولين من البكتريا . وقد فتح ذلك الانجاز الذى كان الأول من نوعه المجال لاعمال اخرى لهندسة ما تحت المجهريات لاستخدام البكتريا فى صناعة هرمونات مهمة .

وفى يناير الماضى اعلن الاستاذ جيلبرت ـ ٤٨ ـ عاما ان هندسة الوراثة قد استخدمت مرة اخرى لانتاج الانترفيرون ، وهو عقار مضاد للفيروسات يبشر بامكانيات واسعة فى علاج السرطان وامراض خبيثة اخرى .

فى الفيزياء

اما جائزة نوبل فى الفيزيـــاء لعام ١٩٨٠ فقد كانت من نصيب الاستاذ فال فيتش من جامعة برنستون ، والاستاذ جيمس كرونين من جامعة شيكاغو .. لبحثهما فى الفيزياء النووية فى نظرية «الانفجار الكبير» الخاصة ببداية النظام الشمسى ... والذى وصفته اكاديمية العلوم بانه «ذو اهمية كبرى فى فهم المادة الأولية والحياة على الأرض» ..



جيمس كرونين

وقد اكتشفا خرقا للمبادىء السيمترية الاساسية فى تاكل وفناء الميسونات (ك) .. وهى جزئيات غير مستقرة لوحظت اول ما لوحظت فى الاشعة الكونية . وقد تم لهما ذلك الاكتشاف عن خرق القوانين الاساسية للسيمترية فى الطبيعة بواسطة دراسات لنوع جديد من الجزئيات الاولية وذلك باستخدام مسارع بروتونى فى مختبر بروكلين القومى بجزيرة لونج آيلند بنيويورك ، حيث كانا يقودان فريقا للبحث . وكانت دراساتهما منصبة على سلامة ثلاثة مبادىء سيمترية ذات علاقات متصلة فى الفيزياء .

وقد اصبحت الحقيقة التى توصلا اليها باكتشاف هذا الخرق لقوانين السيمترية فى الطبيعة جزءاً هاما فى النظريات الخاصة بالكون ومستقبله .

كما ان الاكتشاف نفسه يؤكد مجدداً انه لا يمكن اعتبار القوانين العلمية التى تبدو غير قابلة للنقض لتوفر الأدلة عليها لا يمكن اعتبارها نهائية ما لم يتم اخضاعها لتجارب علمية مضبوطة ومحددة .

وجاء فى حيثيات الاكاديمية المانحة للجائزة ان ما قام به فيتش وكرونين ، وان كان بحثا اساسيا خالصا لا تطبيق له ، فهو فى غاية الأهمية بالنسبة لفهم المادة الأولية والحياة على الأرض .. كما انه يجعل من الممكن الوصول الى وضع الفرق بين المادة واللامادة بشكل مطلق وليس على اساس نسبى فقط .

● لا يمكن اعتبار القوانين العلمية نهائية إلا بعد إخضاعها لتجارب علمية محدودة

- أصبح العالم بعد الحرب العالمية الثانية سيمفونية من الرعب
- استلهم أعماله من السلخانات ورسوم الكتب الطبية !
- لا تندهش إذا عرفت أنه يخلط ألوانه فى الأطباق وينظف يديه فى الستائر !

فنون من الغرب

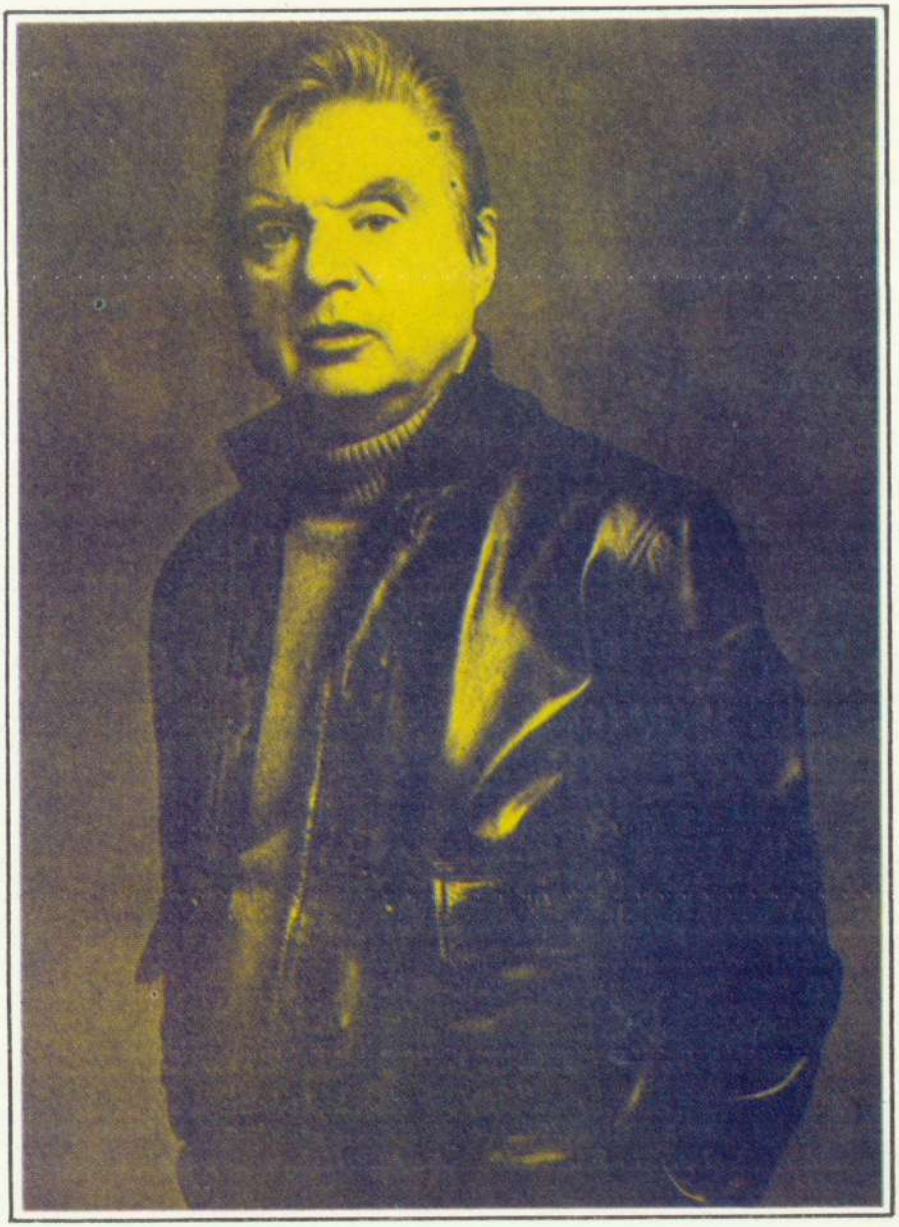
فرانسيس باكون
لحظة الرعب فى زمن الخوف

محمد أبو طالب

الذعر رفيق الانسان منذ البداية ، تارة يبدو عملاقاً دائم التواجد وتارة اخرى يختفى نهائياً ليظهر بشكل مختلف ، وعرفنا العلاقة بين الانسان والذعر عبر التاريخ منذ كان الانسان عارياً يبحث عن الدفء والأمان بين الكهوف الموحشة ، يومذاك كان الذعر مارداً ضخماً يخفى وراءه كل شىء ، وظل الانسان يقاوم بالعلم والحضارة الى أن تضاءل الذعر وكاد ان يختفى بنمو الانسان وتطوره وازدهار حضاراته على مر العصور لكنه ساعد على ظهوره مرة اخرى وبشكل اعنف واضخم مما كان يوم الكهوف ، وأصبح يواجه الذعر والرعب فى كل لحظة حتى فى النوم لأنه يسرى فى عروقه ويعشعش فى خلاياه ، وتعددت صوره وتفاوتت درجاته وتناغمت مع الظروف فبدا العالم بعد الحرب العالمية الأخيرة كما لو كان سيمفونية من الرعب .

تناول الأدب هذا الموضوع وعالجه كثير من الأدباء مثلما تم التعبير عنه من خلال اعمال كثيرة فى المسرح ، واعتمدت السينما عليه لفترة طويلة كمادة حية ومؤثرة عبر العديد من الأفلام ، ولم يتخلف الفن التشكيلى عن الركب فظهر ذلك فى أعمال عدة لبعض الفنانين القدامى والمحدثين ، ولكن لم يصل أى من الفنانين الى تلك الدرجة من التعبير عن الرعب مثلما عبر الفنان الانجليزى المعاصر «فرانسيس باكون» .

و «فرانسيس باكون» فنان انجليزى معاصر نال حظه من الشهرة الكبيرة فى



فرانسيس باكون يبدو فى الخمسين رغم انه تجاوز السبعين .

فرانسيس باكون

لحظة الرعب فى زمن الخوف

● كيف عبر الفنان عن هلع الناس من الدمار ؟

انجلترا والولايات المتحدة وأوربا وإن كان صدى أعماله فى الوطن العربى ضعيفاً وشهرته فى بلادنا تكاد تكون منعدمه .

لمع اسمه عام ١٩٤٤ بعد أن عرض فى لندن ثلاث دراسات لأشكال عن الصلب والتعذيب ، كانت مرآة صادقة وصريحة رأى الناس فيها أنفسهم والرعب مازال يطحنهم غداة الحرب الثانية .

وباكون شخص يتسم بغرابة الأطوار والأفكار بل والمظهر أيضاً ، فيبدو متسكعاً فى الشوارع الضيقة خلف البيكاديللى بلندن ، مرتدياً بنطالا رمادى اللون من ذلك النوع الضيق تعلوه فانلة زرقاء ذات رقبة عالية فوقها رداء جلدى مرفوع الياقة كشباب العصر راكبى الدراجات البخارية ، ورغم أن هيئته العامة بشعره المصفف بعناية تعطى انطباعاً بأنه فى الخمسين إلا أن عمره الحقيقى بدأ فى تجاوز السبعين .

ولد فى «دبلن» بايرلندا عام ١٩١٠ لأب عمل فى تدريب الخيول وحاول كأى أب أن يدفع بابنه الى المدارس لتلقى العلم وقوانين الحياة ، إلا أن ذلك على ما يبدو كان على غير قبول من الابن الذى استمر حتى سن السادسة عشرة وتوقف تماماً متمرداً على المدرسة والتعليم بل وعلى كل القوانين التى تعارف عليها البشر .

وبدأ يرسم دون أن يتلقى أى تدريب فنى فى معهد أو على يد فنان وعرض وهو فى الثالثة والعشرين فى «مايور جاليرى» فى لندن ثم عرض عام ١٩٣٤ فى «ترانزيشن جاليرى» وفي عام ١٩٣٧ اشترك فى معرض المصورين الشبان الانجليز فى «اجينو جاليرى» ، واختفى بعد ذلك تماماً عن الأنظار الى أن ظهر مرة أخرى عام ١٩٤٤ .

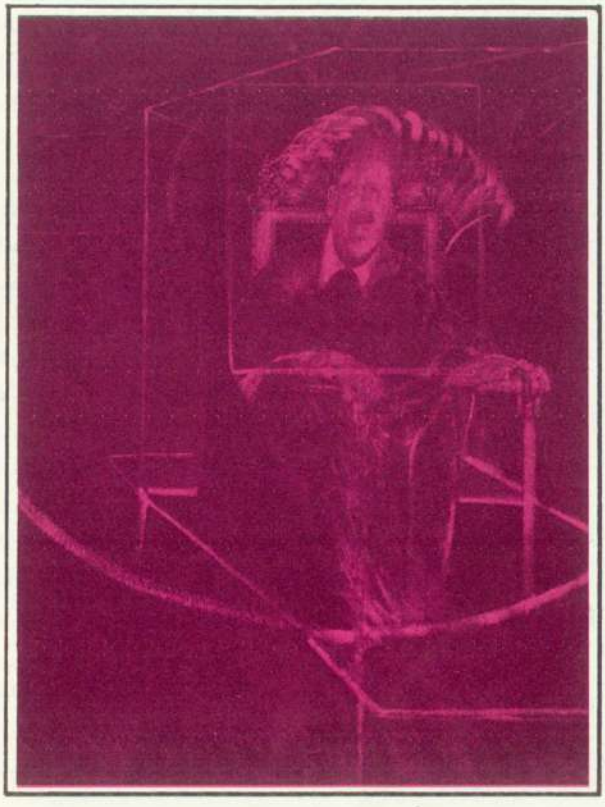
كان ظهوره عام ١٩٤٤ هو مولده الفنى الحقيقى حيث خلق تحولا جديداً فى التصوير الزيتى بعيداً عن تقليد أو اتباع مذهب أو مدرسة فنية معروفة ، وجاءت أعماله كالصاعقة معبرة فى صراحة بالغة وقوة عن لحظة الرعب فى الحياة المعاصرة .

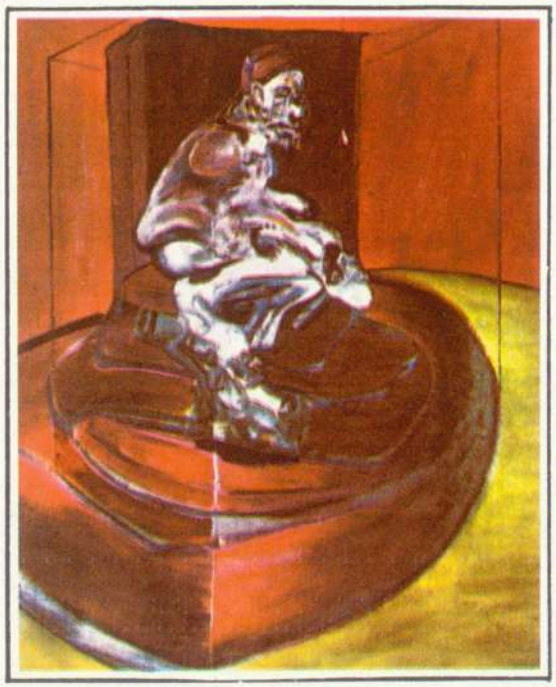
وأعماله على وجه العموم تدور حول الدمار والخوف والألم يقدمها من خلال نظرة بالغة اليأس مستخدماً مسوخاً آدمية وحيوانية فى مساحات مغلقة غاية فى الكآبة ، وشخوصه تبدو دائماً فى جلال ورهبة وبملامح تحمل تعبيرات غاية فى القسوة والوحشية والغريب أن «باكون» يستلهم أعماله من السلخانات ورسوم الكتب الطبية والصور المطبوعة

لوحة البابا للفنان فيلا سكويز .



البابا لفرانسيس باكون .





● تمرد على المدرسة و التعليم وكل قوانين البشر

● إنه فنان يعتمد على الصدفة فى أعماله وفى حياته

مثلما يفعل ذلك مع رسوم الفنان «فيلا سكويز» .

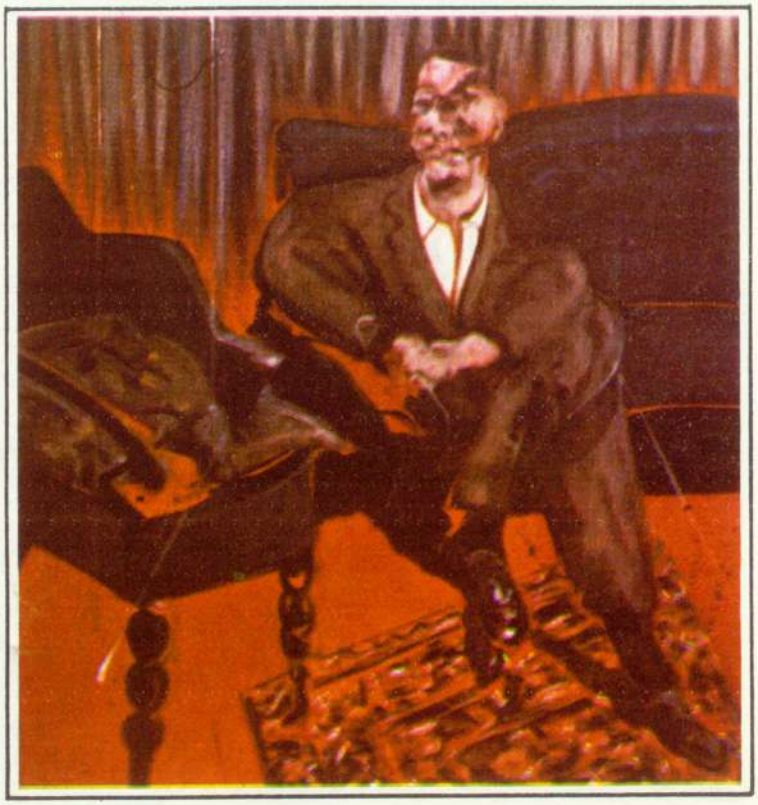
وليس هناك فنان آخر لديه تلك المقدرة الهائلة لابراز ذلك الشعور المريع الذى يسرى القشعريرة فى البدن مثلما فعل عندما حور لوحة «البابا البرىء» للفنان «فيلا سكويز» حيث أبرز تناقضاً عنيفاً بين الوقار والسكون فى الرجل الجالس وبين التعبير المريع من خلال ملامحه الجزعة المرتجفة .

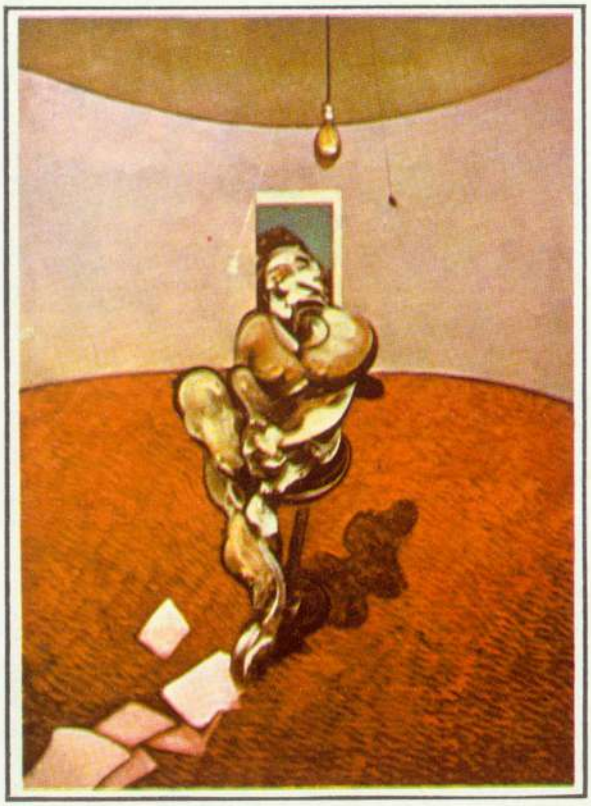
ويتميز «باكون» بألوان قوية وغنية تتفاعل مع بعضها فى درجات قاتمة تساعد على ابراز الشعور الكئيب لمن يرسمهم ، وهو لا يسعى نحو ارضاء موضة فنية أو مذهب معين ويظل متفرداً بقدرته على ابراز الوحشية والهمجية رغم بعض المحاولات لمنافسته وتقليد أسلوبه .

ولو اقتربنا من الفنان أكثر لنراقب سلوكه ونلقى نظرة على صومعته التى يرسم فيها ويعيش أيضاً لوجدناها عبارة عن استوديو تراكمت فيه الأشياء القديمة لتكون أكواماً من القدور والأوانى والملابس والعدد والكتب والجرائد والمجلات مع أدوات الرسم ، كل ذلك الخليط فى تراكم همجى بلا ترتيب منذ عشرين عاماً ، بعد ذلك لن نندهش عندما نعلم ان «باكون» يخلط ألوانه على الأطباق ويستخدم الستائر فى تنظيف يديه من آثار الألوان .

ورغم الكآبة الشديدة البادية فى أعماله إلا أنه على المستوى الشخصى سريع الابتهاج يتمتع بذكاء حاد يمكنه من التعبير عن نفسه فى صراحة بالغة حيث لا يعتبر نفسه فناناً موهوباً بل ولا يرى نفسه كمصور وإنما يعتقد أنه يمتلك بورتريه شخص يتحدث .

شخص جالس من أعمال باكون عام ١٩٦١ .





فرانسيس باكون
لحظة الرعب في زمن الكوف

نوعاً خاصاً من الحساسية يدفعه للتعبير بالرسم محاولا أن يقترب العمل من احساسه ، كما أنه يرسم ليحمس ذاته ، ويقول انه لايرسم ابداً اذا عرف ما سوف يفعله وإنما يبدأ بالتعامل مع الألوان مباشرة دون رسم مسبق أو تحضير أو حتى تفكير حتى لحظة البداية .

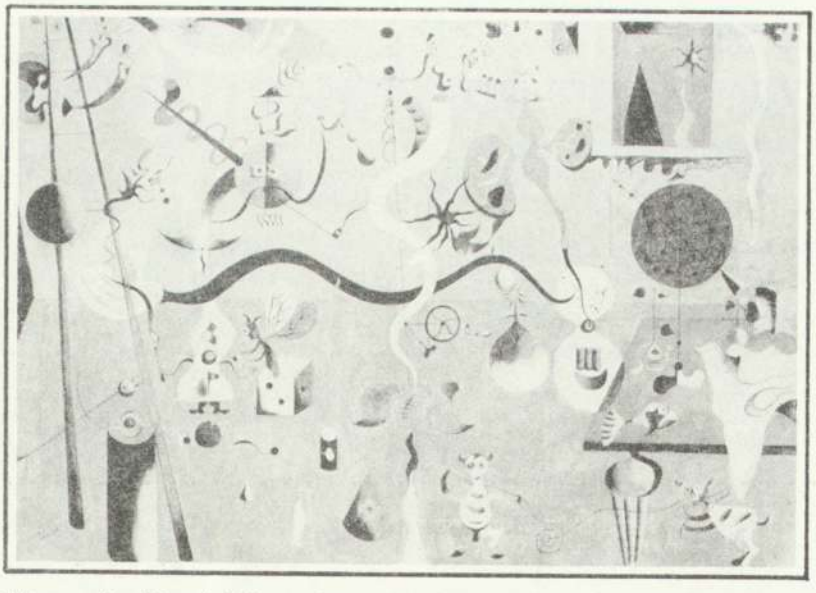
ومثلما يعتمد على الصدفة فى أعماله أيضاً يعتمد عليها فى حياته ، وجدير بالذكر أنه عرض فى نيويورك منذ وقت قريب وباع أعمالا بحوالى ١٠٠ ألف جنيه استرلينى كما بيعت له لوحة «دراسة للبابا» بمبلغ ٦٥ الف جنيه عام ١٩٧٥ فى لندن وعام ١٩٧٦ بيعت له لوحة «رجل متكىء على تمثال» فى نيويورك بمبلغ ٨٩٨٩٠ جنيه .

ورغم النجاح الكبير الذى حققه من خلال لوحته المشهورة عن البابا إلا أنه يعتبرها عملا فاشلا يتمنى تدميره لولا أنها ليست ملك يديه .

ومن المتوقع أن يحظى فرانسيس باكون باهتمام كبير هذا الشهر بعد أن تنشر الطبعة الجديدة لمقابلاته وحواره مع الناقد الفنى «دافيد سيلفستر» خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧٩ والتى عبر من خلالها عن طموحاته كفنان له اسلوبه الخاص فى الفن والحياة .

● مائة ألف جنيه دخلت جيبه من معرضه الأخير فى نيويورك

ملك إسبانيا يكرم الفنان جوان ميرو





ملك اسبانيا يقلد «ميرو» الميدالية الذهبية .

فى منتصف شهر أكتوبر الماضى خلال الاحتفالات الملكية فى اسبانيا قدم «خوان كارلوس» ملك اسبانيا ميدالية اسبانيا الذهبية للفنون الجميلة الى الفنان «جوان ميرو» البالغ من العمر ٨٧ عاماً تقديراً لتاريخه الفنى الحافل .

و «ميرو» فنان اسبانى يتبع مدرسة باريس الفنية ، تلقى تدريبه الفنى فى برشلونة وكانت أعماله الأولى تعكس تاثره بالفنان «فان جوخ» إلى أن ذهب الى باريس عام ١٩١٩ واشترك مع بيكاسو خلال المرحلة التكعيبية ثم تحول عام ١٩٢٣ ليصبح ضمن البارزين فى الحركة السوريالية حتى أن «أندريه بريتون» كتب عام ١٩٢٨ واصفاً إياه بأنه أكثرهم سوريالية . وبمرور الوقت تطور أسلوبه ليصبح له طابعاً خاصاً مميزاً يجمع بين خيال السوريالية وبناء التجريدية وزخرفة فن الارابيسك . أنجز العديد من الرسوم الحائطية فى اسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا منها حائط مبنى اليونسكو فى باريس .

محمد أبو طالب



من كل نبع قطرة
كمال عمار

جحويات

«دجاجتنا» ردت إلينا



صحا جحا من نومه لم يجد دجاجة من خير طير اليمن كانت له هدية ساقها إليه بعض الفاعلين الحسن ملآنة الجنبين بياضة فياضة بالخير من غير من فى كل صبح بيضة قد صفا «صفارها» يشفى اعتلال البدن وريشها الزائد عن جسمها فوائد شتى ونفع وفن وسائد ريانة المتكى تغنيه عن قطن سريع العطن مروحة فى الصيف هفهافة كانه فى صحبة « الكوندشن » و «زبلها» يبيعه إن مضى للسوق بالدرهم والدرهمين لكنها ضاعت فمن يا ترى اغار فى الليل عليه واين مضى بها تبت يداه ولا متعه الله بصفو الزمن وغاص فى التفكير (هل ، بل ، نعم وجدتها) صاح جحا واطمأن وراح للمسجد مستخفيا فى زى شيخ دب فيه الوهن ثم ارتقى منبره صائحا يا قوم .. فانشدت له كل عين ما قولكم فى ان لصا سطا على جدار الجار والظن أن بانه إما يلاقى ذهبا أو فضة ، وثالث الحسنين جواهر مخبوءة حملها يخف وهى الغاليات الثمن وفتش الاركان فى لهفة وعينه تدور فى المحجرين لكنه من حظه لم يجد ظلا لما أمل فيه وظن لم يلق فى البيت جميعاً سوى دجاجة يتيمة الوالدين فشالها والغيظ يسرى به ومقلتاه فى لظى الجمرتين وبعد أن أودعها بيته اتى إلى المسجد يقضى السنن نعم . هنا يا قومنا سارق لكنه أعمى عديم الفطن اتى إلى المسجد فى راسه ريشتها تصيح هذا من قيدنى وسار بى خفية لكنه ذاق انفضاح العلن وكان لص السوء ما بينهم ودون أن يدرى رمى باليدين بسرعة ما ظنته ريشها فصاح كل الناس : هذا إذن وامسكوه ثم نادى جحا دجاجتى عادت ويحيا الوطن

الذكرى العاشرة لعميد الأدب الفرنسي



● فى سبتمبر مرت عشر سنوات على رحيل «فرانسوا مورياك» الذى أسماه مواطنوه عميد الأدب الفرنسى وأسماه ديجول « أعظم كتاب فرنسا » .

روايتاه « قبلة الأبرص» و «جنيتى يكس» كانتا السبب فى لفت الأنظار إليه كروائى موهوب . وفى عام ١٩٣٣ أصبح عضوا فى الأكاديمية الفرنسية وفاز بجائزة نوبل فى عام ١٩٥٢ . ومنذ الخمسينات الى وفاته كان أحد الأركان الأساسية فى جريدة «الفيجارو» و «المجلة الجديدة» و«والأكسبريس» .

واشترك فى الحرب العالمية الأولى واشتهر بدفاعه الانسانى عن قضايا الشعوب فعارض الحرب الفرنسية فى الهند الصينيه وأيد الثورة الجزائرية وهاجم بشدة نفى المرحوم محمد الخامس ملك المغرب .

من أفواه المجاهيل

● فلان سعيد لانه غنى بالمال .
ـ وفلان أسعد لأنه غنى عن المال .

● ●

● كيف نختبر الرجل ؟
ـ بالمراة
● والمراة ؟
ـ بالذهب
● والذهب ؟
ـ بالنار !!



مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة التراثية

قال عبد الشكور المشهور ، بمعرفة الأنام والدور :

قدموه لى باسم سعد عبد الرءوف ، الكاتب المعروف ، ولم اكن سمعت بهذا السعد عبد ، من قبل أو بعد ، ففطنت لرنة التهكم ، فى صوت المقدم ، الذى قدمنى له على انى ناقد ذواقه ، له فى الجمل والناقه ، فحيانى بحرارة ، وتدفقت ترحيباته بغزارة ، معلنا شرفه بلقائى ، ثم إنه من قرائى ، ومعجب بموضوعيتى ، وحياد نظرتى ، ولما لم اكن تعاطيت النقد ، فقد اخذت «سعد» على القد ، وسالته عن آخر ما قرأ للعبد لله ، فقال الكتاب إياه ، وكم هو مثير ، وكان واضحاً انه يكذب ، فهو لم يقرأ وانا لم أكتب ، ورايتنى أمام حالة ، تستحق الاطلالة ، فاظهرت اقتناعى ، وسالته عن آخر المساعى ، فقال بصوت ثاقب ، كتاب عودة الغائب ، فعدت أجاريه ، لأستجلى خوافيه ، من هو الغائب الذى عاد ؟ فاجاب باعتداد ، تراثنا الضائع ، وميراثنا الرائع ، كنزنا المنهوب ، وعزنا المسلوب .

وتحلق حولنا الجالسون ، وهم يتغامزون ، بينما تابع المذكور ، بصوت جهور ، لقد اثبت أن لنا الحجة ، على سائر الفرنجة ، فقد اخذوا منا ، ولكن بضاعتنا ردت إلينا ، فانا بعد طول التقصى ، وإدمان مطالعتى ودرسى ، وضعت يدى على المسروق ، واتبعت اللاحق بالملحوق ، بعد ان بلوت نباه ، وجلوت صداه ، ذلك أن اللص إذا سرق حماراً ، باعه فى السوق جهاراً نهاراً ، لا يخشى انفضاح أمره ، واندياح سره ، ذلك انه بالطلاء ، يغير جلده كما يشاء ، بل ويقطع اذنه او ذيله مبالغة فى التمويه والخيله ، حتى إن صاحبه إذا رآه ، عميت عنه مقلتاه ، بل وربما اشتراه ، ممن جنت يداه ، وهكذا تنجح الحيلة ، وتفلح الدخيلة ، ومثل هذا فعل الغربيون ، وسرقوا كحلنا من العيون ، وبعد التحوير والتغيير ، باعوه لنا فى قوارير ، هل تعلمون ان «شكسبير» ، هو الشيخ زبير ، شاعر البدو والحضر ، فى القرن السابع عشر ، انتحلوا شخصيته ، وافتعلوا بضاعته ، ولأنهم فى حروف الهجاء لا يعرفون الخاء ، فقد حولوها إلى كاف ، ساكنة الأعطاف ، وحولوا «الزاى» إلى سين ، وكان الله يحب المحسنين ، وصار شيخ زبير ، مستر شكسبير ، فصفق الجميع له بعد هذه القنبله ، وسالته وماذا عن روميو وجوليت ، الذائعة الصيت ،فقال قديمه ، لانها قصة حسن ونعيمة ، وقس على ذلك ما ترجمناه ، للشكسبير إياه ، فتاجر البندقية ، بخيل «إمام العربية» ، وعطيل الأسود اللون ، هو الشاعر ديك الجن ، اما هاملت المتردد ، فهو الأمير همام بن مسعد ، وهذا ما اثبته فى الكتاب ، ومن الله الأجر والثواب !

وساله احد الملاعين ، بصوت رزين ، على هذا فاللورد «النبى» ، هو الشاعر المتنبى ؟! ، فقال اى نعم ، وإليك ما هو اهم ، هل تعلم أن «شلى» هو الشيخ على ؟ صاحب القصيدة اليتيمة والدرة الكريمة ، يا ليل الصب ، التى غناها الشرق والغرب ، فهللنا وزاد التهليل ، وتجاهلنا ما فيه من اباطيل

.. ويونسكو : ساله سائل ، فقال

هو «ابن سودون القائل» :

الأرض ارض والهواء هواء
والبحر بحر والسماء سماء !

وكانت بديهته حاضرة ، وحجته مبهرة ، مع بطلانها ، وهذا سر لمعانها ، فالحجة المكينة ، عادة ما تكون رزينة ، لا يخطفك لونها ، أو يعطفك فستانها ، ولكن والحق يقال ، ان ذلك الخبال ، شدنى إليه ، وإن لم يمنعنى من الضحك عليه ، خاصة وقد اشتدت حماسته ، وقال ما فى خلاصته :

إنه لم يكتف باسترجاع ما نهبوه ، بل القى بالقفاز فى الوجوه ، وحاربهم بنفس السلاح ، وشعاره حى على الكفاح ، فاشرابت إليه النظرات ، وتابع هو غاية فى الثبات ، الم يموهوا علينا ، ويشوهوا ما بيدينا ؟ فلماذا لا ناخذ بالثار ، من الفرنجة الأشرار ، فصحنا نعم .. نعم ، تكلم السيف فاسكت يا قلم ، فقال لا .. لا عنف ، والعقل هو السيف ، فقلنا نعم الراى الحصيف ، لنحرضه على مواصلة التخريف ، فاستطالت رقبته ، وتوالت فصاحته ، وقال نزلت لهم الميدان ، وهذا ما كان :

تحت ظلال «النخلفون» ، بدلا من «الزيزفون» ، فعندنا النخل كما تعلمون ، والنخوة والفداء ، بدلا من الاخوة





الأعداء ، وهذه أخلاق الكرماء ، وشوربة الاوزة ، لا عربة اللذة ، ومرسى ابو العز ، هو تينسى ويليامز ، وممنون يا اخت ، بدلا من دون كيشوت ، والأرض المحراب ، عوضا عن الأرض الخراب ، ولنا فى المحراب عبادة وثواب ، فتصايحنا عجبا وتمايل هو طربا ، وقال لقد فتحتم نفسى

وانفجرنا بضحكة فجائية ، وشاركنا فيها بروح رياضية ، ولعله ظنها من باب البله ، تكريما له ، وتوالت التعليقات ، الفخيمة العبارات ، فتح مبين وجهد ثمين ، إعجاز يا استاذ ، لا قبل ولا بعد ، لك يا سعد ، جديد غير مسبوق ، قنبلة ستهز السوق ، وانتهزت انا الفرصة ، لأكمل القصة ، فسالته ومتى نقرا الكتاب فرد باكتئاب ، هذا هو العام العاشر ، وانا ابحث عن ناشر ، فقلت وما اكثرهم ، فقال ولكن الزمان غيرهم ، فصاروا مغرضين وسالته عن السبب ، فقال لا عجب ، فقد القمت الفرنجة الحجر ، وجعلتهم عبرة لمن اعتبر ، فكيف يذيعون ما يحرمهم ، ويطلعون ما يحرمهم ، من وهم الصدارة ، وزعم الجدارة ، فحضاراتهم مزيفة ، وإن كانت داراتهم مكيفة ، وسبقهم وهم ، وإن ادعوا الفهم ، فعابثه واحد ، وقال الم تشاهد ، كيف خطفوا البصر ، بنزولهم على القمر ؟ ، فقال وهل صدقت الهراء ، وعانقت الافتراء ؟ ، مثل هذا لو حدث لقامت القيامة ، ويلا السلامة !

وغير خبيث مجرى الحديث ، حين ساله عن الشعر القديم والحديث ، فقال على الفور ، بصوت عميق الغور :

الشعر إن لم يكن معنى وعاطفة
وحكمة فهو تقطيع بلا داعى
يا من زعمتم لنا التجديد ليس لكم
والله فى الشعر او فى النثر من باع
اين الحطيئة او شوقى وحافظ من
عبد الصبور وعمار بن زنباع
واى شعر بلا وزن وقافية
كمثل قبر بلا سقف ولا قاع

فضحكنا وقلنا عرفنا الأولين ، فماذا عن الآخرين ؟ ، فقال «عبده» اول الموجه ، التى هى هوجه ، يعجب بشعره المثقفون الذين هم عن التراث غافلون ، اجسامهم فى القاهرة ، وقلوبهم فى باريس ولندره ، اما الثانى فاضحوكة الأضاحيك ، وبعكوكة البعاكيك ، إن قراته مللته ، او رايته ازدريته ، فلسانه بارزة ، ونواظره عاجزة ، يرمى ،لا يصيب ، وليس له من اسمه نصيب ، فهوخادع مخدوع ، فضلا عن إدمانه الدخان الممنوع !

فحمدنا غيرته التراثية ، وغضبته العنترية ، وقلت قلبى يحدثنى بانك تنظم ، فهل انا محق ام ازعم ؟ ، فقال بل صدقت وبالحق نطقت ، فاستنشده الجماعة ، فقال سمعا وطاعة

وقبل ان يدخل فى الثالثة ، عاجلته الألسنة المتخابثة ، قل لنا إذن ، هجوت من ؟ ، فاجاب إنسان حاقد ، يدعى انه ناقد ، وعدنى بالكتابة عنى ، منوها بادبى وفنى ، ومرت الأيام ولم يفعل ، وكنت اكثر من مغفل ، فصاحبنا كان من الطراز السائد ، نقاد الموائد ، ممن يفهمون النقد ، على انه وسيلة إلى «النقد» .. ثم هذه قصيدة علمية ، عن لجاذبية الارضية :

ارى طبقات الجو شتى فبعضها
دفىء واما بعضها فجليد
على انها فى ذا وهذا تضمها
جواذب لا تناى بها وتحيد
يحطن بخصر الأرض حتى كانها
حبال خفيات الرؤى وقيود
فمن رام منها منفذا خاب سعيه
ومن حام من حول الحمى إسيبيد

وكان واقفا فجلس ، وقد بدا عليه انبهار النفس ، بعد انفعاله التحتى والفوقى ، وكانه حافظ او شوقى ، فطلب كوب ليمونادة ، شربه جرعة واحدة ، وانتفض وقام وقال ، والآن نواصل الارسال ....

يقول عبد الشكور :

وانقضت الليله ، ونحن متحلقون حوله ، ومستعيدون قوله ، واذنت السهرة بالختام ، فانصرفت وفى نفسى كلام ، حول سعد المذكور ، وهل هو شاعر ام مشعور ، وهل هو باحث ، ام هازل عابث ، فقد خلط الجد بالهزل ، وصعب فيه القول الفصل ، فهو رغم التياثه ، فى عشقه لتراثه ، واضطراب آرائه ، فى جميع انحائه ، كان واثق النبره ، متمالكا امره ، وبين العقل وضده شعره ، من عبرها فهو من الواصلين ، .. وخذوا الحكمة من افواه المجانين !

لـــاذا . . إذن ؟



انا اعتـــرف
وألقت بمعطفها فى فتور
على المقعد الخشبى الذى
رأى كيف ينهار صرح الغـــرور
وكيف تهاوت على ساعدى
كموج يشـق طريق العبـور
انـــا اعتـــرف
قراتـك احببت فيـك الأسى
واحسسـت انـك مثلـي تـدور
وتبحـث عن مستحيـل اكـاد
أعانقـــه فى غمـوض السطـور
ورحـت اسائل مـن ياتـــرى
بنيـت لها من الخيـال القصـور
واقسمـت لابد مـن ان اراك
ولمـــا رايتـــك ...

● مـاذا حـــدث ؟ !

– رايـــتك غـير الذى ابصرته عيـون الخيـال الجمـوح الجسـور .

● دميمـــة ؟

– انـا لم اقـل !

● /عجـــوزا ؟

– ولا هـــذه ..

● جهولا إذن بفنون الغرام
وهمـس الخـدور ؟
رايتـك .. احسست .. ماذا اقـول
كان الكـلام بحلقـى صخـور
رايتـك انـك لست الذى تمنيـت
رؤيتـه من إشهـور
وانـــا الذى كان فى داخلـى مجرد وهم
عمـيق الجـذور !



من كل نبع قطرة

إعجاز الكناية



اللغة العربية تلجأ للكناية توسعا واقتدارا واختصارا وثقة بفهم المستمع . هكذا قال الثعالبى فى كتابه «فقه اللغة» ونقدم نحن نماذج لهذه الاستخدامات الثلاثة التى جعلها الثعالبى سببا فى اللجوء اليها .

● كناية التوسع : كل من عليها فان ..اى على «الأرض» وهى كناية توسع باعتبار ما تضمه الأرض من إنسان ونبات وحيوان وماء وأشجار .

● كناية الاقتدار ـ حتى إذا توارت بالحجاب اى ـ الشمس ـ والاقتدار يأتى من مشاكلة الحجاب الغامض المتوارى بالكناية الخفية والظاهرة فى السياق .

● وكناية الاختصار ـ حتى إذا بلغت التراقى ـ اى «الروح» وكانت الكناية هنا إختصارا باعتبار الروح من أمر ربى اما نحن فما اوتينا من العلم إلا أقل القليل .

وهذا فى عمومه يؤكد غرضا بليغا من اغراض الكناية وهو كما اشار الثعالبى الثقة فى فهم المستمع حتى لا يتكرر حادث الرجل الذى قال لخطيب : لم لا تقول ما يفهم ؟ فاجابه : ولم لا تفهم ما يقال ؟!

من غير أمل

ملحمة دانتى «الكوميديا الالهية» أشهر اثر أدبى فى العصور الوسطى .. وقد اختلفوا حول علاقتها «برسالة الغفران» وحدود تاثر دانتى «بأبى العلاء» .. ولكنهم اتفقوا على أن أشهر أبياتها البالغ عددها (٢٧٦٤٠ بيتا) هو ذلك البيت الذى جاء على لسان «فرانشيسكا» والتى سيقت إلى الجحيم بسبب علاقتها غير المشروعة مع «باولو» أخى زوجها .. البيت هو :

ـ الأمل .. كل الأمل يتخلى عنكم يا من تدخلون هنا !

المتنبى ناثرا



كلنا نعرف المتنبى على انه شاعر .. ولكن ماذا عنه حين ينثر ؟ .. إقرأوا هذه الرسالة التى بعثها الى احد مياسير القوم وكان هذا الميسور قد سمع بمرض المتنبى فظل يسأل عنه ويصله ، ولما شفى المتنبى لم يعد يسأل عنه

.. كتب المتنبى يقول :

وصلتنى ـ وصلك الله ـ معتلا، وقطعتنى مبلا ـ بضم الميم وكسر الباء ـ معافى فان رايت أن تحبب العلة الى او لا تكدر الصحة على ..فعلت إن شاء الله .

أرأيتم ؟ .. بصريح العبارة يقول له لا تجعلنى احب علتى لأنها كانت سببا فى وجودك ولا تجعلنى اكره شفائى لأنه أبعدك عنى يا منية المتمنى .

يقولون عن هذه الرسالة انها من بدائع الانشاء الذى اعتمد على التركيز فاجاد والقول الوجيز فافاد .

أبو الكيمياء يكتشف الماء الملكى

بالقطع ليس هو «لافوازيه» ولا كورى الفرنسى ليس احدهما او غيرهما من جهابذة الغرب و..الغرب !

إنه العربى المسلم جابر بن حيان الذى نادى بالمنهج التجريبى من قبل بيكون وطالب ولاول مرة بالتحديد الدقيق للتسميات والتعاريف والاصطلاحات العلمية فى كتابه «الحدود»

هو ابو الكيميا بحق .. يكفى انه اول من قام بتحضير الاحماض فى المعمل وباسلوب علمى شرحه فى كتابه «صندوق الحكمة» وقال إن إضافة ملح النوشادر الى كلورو الامونيا إلى ماء النار (حامض النتريك) ينتج عن هذا الخليط «حامض سائل» اسمه «الماء الملكى»

الاحماض اساس علم الكيمياء
جابر بن حيان اول من قام بتحضيرها
هل نبالغ اذا قلنا إنه ابو الكيميا ؟

كلام عن الالهام



● الالهام ليس وقفا على الشعراء والادباء والفنانين .. إنه يمتد للعلماء .. بل لانبالغ إذا قلنا إن «العالم» لابد ان يكون شاعرا واديبا وفنانا .

اسمع مايقوله الدكتور مصطفى مشرفه اول عالم عربى متخصص فى مجال «الذرة» :

« وقدرة الباحث على الابتكار تدل على مدى قدرته على تلقى الالهام . فالباحث العلمى كثيرا ما يلهم نتائج ابحاثه والسيكلوجيون يفسرون الالهام على انه إضاءة من العقل الباطن . ولكنى افضل أن اسميه الالهام » .

بالمناسبة .. «اينشتاين» ابو الذرة .. وصف موت مشرفه (١٨٩٨ـ١٩٥٠) بانه «خسارة جسيمة » .

محمد بركات

مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية

لا يهدف هذا الموضوع الى مجرد التعريف بمركز جورج بومبيدو الثقافى بباريس ، المعروف باسم «بوبور» ، ولكنه يستهدف أولا استثارة حماس المثقفين العرب ، والمسئولين عن العلم والمعرفة فى الوطن العربى لانشاء مركز مشابه ، يصبح معلماً حضارياً للثقافة العربية ، ويضم بين جوانحه ذخائر هذه الثقافة ، وأهم معالمها فى الماضى والحاضر على السواء .

المكان لا يهم

ونحن بالطبع لا نحلم بمركز عربى على نفس المستوى المذهل الذى أقيم على غراره المركز الثقافى الفرنسى لأن هذا الأخير يعتبر اضخم مجمع ثقافى فى العالم ، وهو أكبر حدث من نوعه جرى فى أوربا خلال القرن العشرين كله . ولكننا نحلم بمركز عربى فى حدود ما هو ممكن أو متاح ، وليس مهماً فى أى عاصمة عربية يقام هذا المركز المنشود ، فى دمشق أو بغداد ، أو الرياض ، أو القاهرة ، أو الرباط . المهم أن يوجد مثل هذا المجمع العربى الشامل لأسباب متعددة قد نذكر منها ما يلى :

-أولا : أن للعرب منظماتهم الاقتصادية والسياسية الجامعة التى تعبر عنهم وعن مصالحهم فى المحافل الدولية ، ومع هذا فليس للعرب منظمة ثقافية جامعة ومتخصصة تعكس حقيقة الحضارة العربية والثقافة الاسلامية قديمها وحديثها ، فالمطلوب هو مركز متخصص بعلمائه ومراجعه وفنونه وعلومه على السواء .

صورة العربى

ثانياً : لقد أصبح العرب اليوم هم القوة السادسة فى العالم كما يقال . وقد

● مطلوب واجهة حضارية تقدم صورة الانسان العربى إلى العالم

● لغة العالم اليوم هى لغة الفن والعلم والثقافة الانسانية

حدث هذا لأسباب متعددة ليس الآن مجال الحديث عنها ، ولكن أولها وأهمها بالطبع هو امتلاكهم لمصدر الطاقة ولمخزونها الى نهاية القرن على الأقل . لقد أصبحت أهمية العرب متزايدة . والعالم الغربى والشرقى على السواء يريد أن يعرف على وجه التحقيق من هم هؤلاء العرب . وما هى حضارتهم ، وما هى ثقافتهم ، وما هو اسلامهم ؟

وليس العلماء أو المثقفون وحدهم هم الذين يريدون أن يعرفوا من هم العرب ، ولكنه المواطن العادى فى اليابان أو فى أمريكا هو الذى يريد أن يعرف .

ومن الحكمة أن نعترف بأن «صورة العربى» فى تصور المواطن الغربى والشرقى على السواء صورة مشوهة ، رسمتها الأجهزة الصهيونية من ناحية ، ورسمها بعض المستشرقين من ناحية أخرى ، ورسمها تراث عريض من أوهام وأحلام ألف ليلة وليلة ، وجوارى هارون الرشيد فى ليالى بغداد الساحرة . ومن المطلوب تصحيح هذا كله ، حيث يجب أن يعرف المواطن فى أى مكان فى العالم ، ما هو الاسلام على حقيقته ، وما هى الحضارة العربية القديمة ، وما هى الثقافة العربية الحديثة ، ومن هم المفكرون العرب ، وما هى ابداعاتهم ، وما هو الفن العربى وما هى روائعه . ثم ما هى اللغة العربية العظيمة التى يكاد يعترف علماء اللغات - لولا أن فى قلوبهم مرض - بأنها أعظم لغة يعرفها الانسان ، وأكثرها غنى وجمالا وثراء .

إن مركزاً عالمياً للحضارة الاسلامية ، والثقافة العربية على غرار المركز الفرنسى الذى سنعرض له فى هذا المقال كنموذج يجب أن يحتذى ، يجب أن يقوم على الفور ، ويجب أن تتكاتف الدول العربية كلها ، وخصوصاً الدول المنتجة للبترول ، من أجل اقامته . وهذا المركز سوف يكون هو «الواجهة الحضارية» التى تقدم صورة الانسان العربى الى العالم كما هى على حقيقتها وكما ينبغى أن تكون .

لغة الحضارة

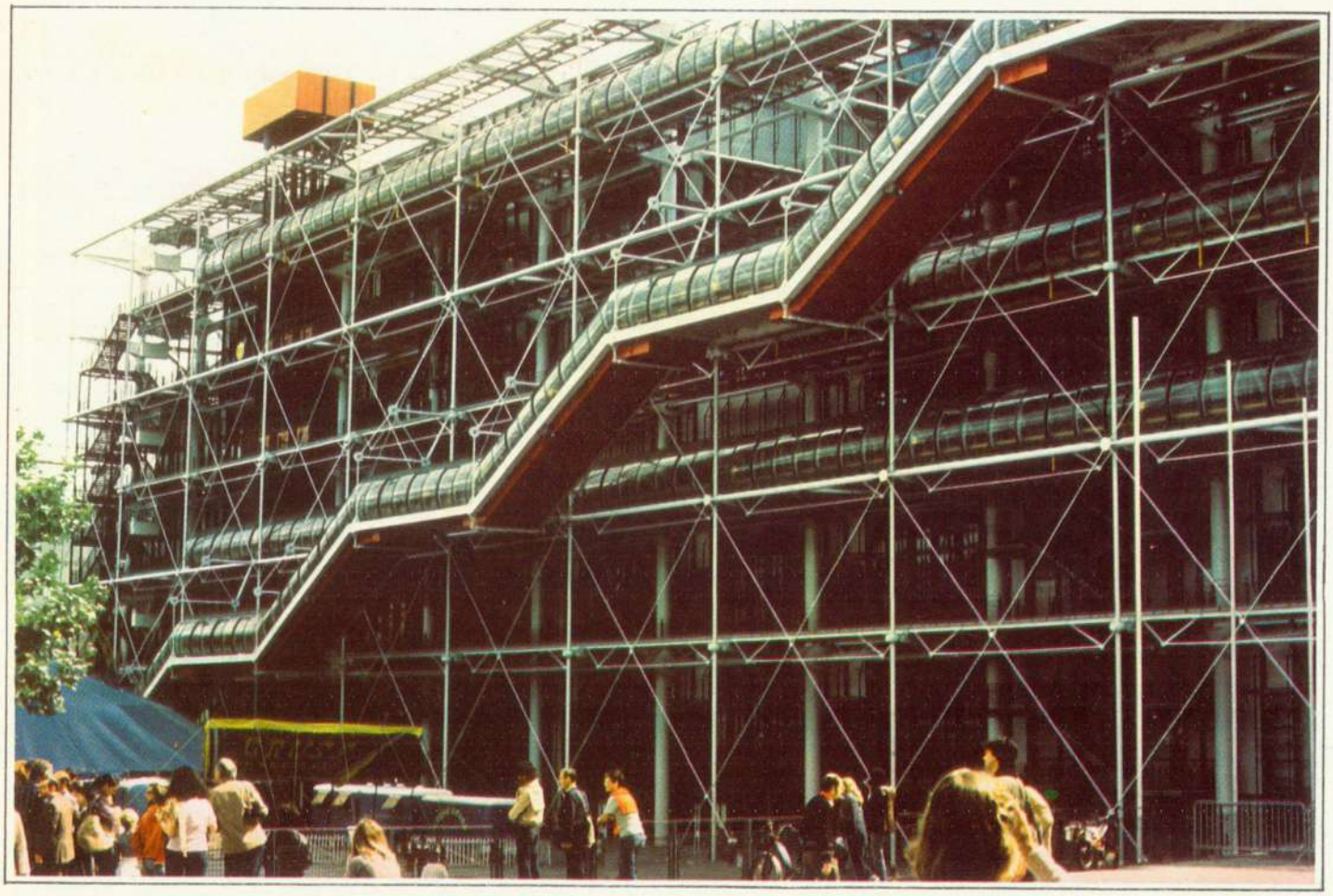
ثالثاً : ان عصوراً طويلة من التخلف والاستعمار قد ألمت بالعالم العربى ، وعملت على تأخره وانهياره . وها هو العالم العربى يكاد يعيش فى قلب العصر مرة أخرى ، بعد أن تخلص من كل عقد النقص والتبعية الناتجة عن الاستعمار الطويل ، وخصوصاً الاستعمار التركى ، الذى وقف بالمسيرة العربية عند العصور الوسطى وساهم فى تأخر العرب عن ركب الحضارة بما يقرب من خمسة قرون .

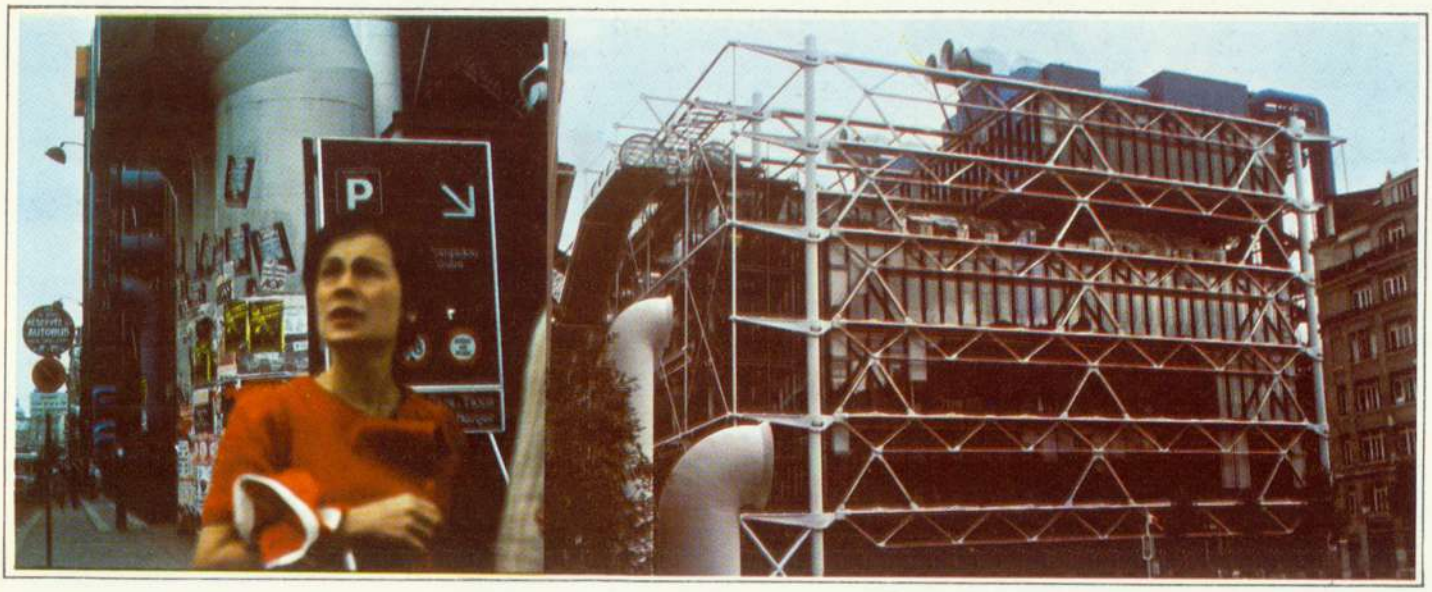
ولغة العالم اليوم هى لغة الحضارة . لغة الفن والفكر والمعرفة والثقافة والعلم وتلك هى اللغة التى يجب أن نخاطب بها العالم المتحضر فى نهاية القرن العشرين والوسيلة الوحيدة لاحداث هذا «التواصل» مع العالم من حولنا هى انشاء مثل هذا المركز العالمى للثقافة

مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية

العربية . على الأقل لكى نرد حضارياً وبشكل عملى على دعاوى الصهيونية الكاذبة التى تقول ان الحضارة الوحيدة ذات القيمة ، والمعترف بها عالمياً فى منطقة الشرق الأوسط ، هى الحضارة العبرية بكل ما يحمله التراث اليهودى من أكاذيب وأوهام .

فاذا كان من المسلم به أن معركتنا مع اسرائيل ، لم تكن ولن تكون أبداً ، مجرد معركة سياسية أو عسكرية ، ولكنها معركة حضارية أساساً ، فمن الضرورى إذن أن نخوض هذه المعركة الحضارية مع اسرائيل بكل رصيدنا من الثقافة العربية .





والثقافة فى التعريف الأخير هى الصناعة الثقيلة للمعرفة . والمطلوب اذن هو الاسراع بانشاء هذا المجمع الثقافى الشامل للمعرفة العربية ، ليكون هو الرد الحضارى على كثير من الاكاذيب الباطلة ، وليكون القلعة التى تنطلق منها «الحقيقة العربية» كما يجب أن تكون .

الحدث الثقافى

هذه هى الأسباب الرئيسية التى تدعونا الى التفكير «كعرب» فى انشاء مركز ثقافى عالمى على مثال «مركز جورج بومبيدو الثقافى» فى باريس . ولكن .. ما هو هذا المركز ، ما قصته ، ومتى انشىء ، وماذا يحوى بين جوانحه ، الى حد أن وصف بأنه أكبر حدث ثقافى شهدته أوربا كلها فى القرن العشرين ؟

بدأ التفكير فى انشاء مركز «بوبور» ـ وهى كلمة فرنسية تعنى الضاحية



عدسة : محمد ابو طالب

مطلوب مركز عالمى للحضارة العربية



الجميلة ـ فى شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٩ ، حين قرر جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا الراحل بناء ما أسماه المركز الثقافى الوطنى . وكان الرجل يحلم بمركز ضخم يجمع بين جوانحه أكبر قدر من الفن والمعرفة والثقافة . مركز جامع . تتجاور فيه الفنون وتتفاعل ويؤثر بعضها فى الآخر ويتاثر به . وأهم من كل هذا أن تصل هذه الثقافة الى الناس أو أن يصل الناس اليها . كان الحلم هو إحداث تفاعل يومى بين الفن والمتلقى ، تحقيقاً لديموقراطية الثقافة أو تطبيقاً لشعار أن الناس إذا لم يذهبوا الى الفن فيجب أن يذهب الفن اليهم . وهو بالمناسبة تعبير فرنسى أيضاً قاله أندريه مالرو . وارتفع شعار المركز .. وكان يقول ان مهمته الرسمية هى .. «حفظ التراث ، وتنشيط عمليات الخلق والأبداع الفنى والفكرى ، وإعادة صياغة الجمهور على نحو يمكنه من التعامل مع فنون العصر . ثم التفاعل الخلاق بين مختلف ميادين الفن والمعرفة لتحقيق هدف نهائى هو وحدة الثقافة» .

وفى عام ١٩٧٠ أعلنت الحكومة الفرنسية عن المسابقة الكبرى لبناء المركز الثقافى الضخم ، وفى العام التالى كانت شركة ايطالية انجليزية قد فازت ببناء المشروع من بين سبعمائة بيت هندسى عالمى تقدموا جميعاً للمسابقة ، الأمر الذى يعطى القارىء فكرة عن حجم المشروع ، وعن مدى الاهتمام العالمى به .

وفى عام ١٩٧٢ بدأت أعمال التنفيذ . واستغرق البناء خمس سنوات كاملة من العمل المتصل الدءوب . وفى فبراير (شباط) عام ١٩٧٧ اجتمعت فى باريس أكبر نخبة من المفكرين والفنانين والملوك والرؤساء لأفتتاح اكبر مجمع ثقافى فى أوربا ، ولحضور أضخم حدث من هذا النوع يشهده العالم منذ قرن كامل .

ومنذ هذه اللحظة أصبح «بوبور» واحداً من أشهر معالم باريس . تماماً مثل متحف اللوفر ودار الأوبرا ، والمكتبة الوطنية ، وبرج إيفل والسوربون وغيرها

وقد أقيم المركز العظيم فى شارع «رامبوتو» فى قلب باريس ، وفى حى قديم من أحيائها . وربما قيل انه يقوم فى معدة باريس .. فهكذا يسمى الفرنسيون أسواق الهال الشعبية فى مدينتهم العريقة .

وقد أقيم المركز فى هذا المكان الشعبى عن قصد ، وبفعل عمدى مسبق . فالهدف هو أن تكون الثقافة فى متناول الناس .

وقد لخص كلود مولار سكرتير عام المركز هذا المعنى فى عبارة دالة يقول فيها .. «لقد قام مركز بوبور لكى يضع الخاتمة النهائية لعهد المعابد الثقافية» .

غرابة البناء

ولتحقيق هذا الهدف جاء شكل المركز من الناحية الهندسية والمعمارية شكلا بالغ الغرابة ، بقدر ما هو بالغ الصدق فى نفس الوقت . فالذين شاهدوا المركز من سكان باريس أنفسهم يوم الافتتاح لم يصدق أحدهم أبداً أن هذا المبنى الضخم الزجاجى الحديدى الذى تخرج منه الأنابيب الضخمة ، وتمتد على جوانبه الأسلاك المعقدة يمكن أن يكون مركزاً للفن والفكر والثقافة . انه أشبه ما يكون بمعمل لتكرير البترول ،أو مصنع للألومينوم أو الصلب . ولكنه أبداً لا يمكن أن يكون قلعة فن . ولكن كانت تلك هى الحقيقة . فالبناء رغم غرابته قصد منه أن يكشف عما بداخله . لكى يرى الناس ـ كل الناس ـ ذخائر الثقافة والفن .

فالمعنى البسيط الكامن هنا من وراء بناء المركز بهذا الشكل الزجاجى الشفاف يعنى أن الثقافة ملك للجميع . يجب أن يراها ويتعامل معها الكل ، لا أن تظل حبيسة خلف الجدران السميكة التى لا تنفذ منها إلا الصفوة .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد كان لابد للبناء أن يكون متفقاً مع ذوق العصر . ذوق حضارة فى نهاية القرن العشرين ، وفى بلد مثل فرنسا . ولم يكن معقولا أن يكون المبنى فى فخامة الأوبرا الذهبية الكلاسيكية ، ولكن المعقول الوحيد ، هو أن يكون المبنى عملياً ، ومؤد للغرض الذى أنشىء لأجله ، ومحققاً لغاياته ، ومتسقاً مع فلسفة العصر فى الروح والبناء . فلم يكن الهدف أبداً هو المعمار ، ولكن بناء «قلعة للذكاء» على حد تعبير قديم لفيكتور هوجو . أن المركز فى كله يعبر عن «حضارة مجتمع صناعى» بالغ التقدم .

حماية الثروة

وإذا ما تركنا «شكل» المركز ودلالاته ، راعنا أنه يحتوى فى داخله على ما لا يمكن تصوره فى مكان واحد .فالمركز من ناحية قد صمم بحيث يتسع لأكثر من خمسة وعشرين ألفاً من الزوار والمتعاملين فى نفس الوقت . إنه مدينة صغيرة بزواره ومقتضياته . ويكفى أن نعلم أنه يقوم على مساحة تمتد الى مائة ألف متر مربع ، وأنه يرتفع الى تسعة طوابق فوق الأرض وطابقين أسفلها . وقد بلغت تكاليفه ـ بأسعار السبعينات ـ ألف مليون فرنك فرنسى ، فى حين تجاوزت أعمال البناء وحدها أربعمائة مليون فرنك . أما ما بداخله من تحف ومقتنيات فلا تقدر بثمن ، وان كان هواة الأرقام يقولون انه يحتوى على أشياء يزيد ثمنها على ألفى مليون فرنك فرنسى !!

والسؤال البسيط بعد هذا هو : كيف يمكن حماية هذه الثروات الفنية الموضوعة فى متناول خمسة ملايين زائر هم متوسط الذين يتعاملون مع المركز سنوياً ؟!!

والاجابة بالأرقام قد تعطينا فكرة عن حجم المركز وتكوينه . فالطوابق الموجودة أسفل المبنى ، تحت الأرض ، صممت كلها لأعمال الادارة والمراقبة باحدث أساليب العصر . وهناك جهاز بالغ التعقيد يشتمل على أحدث النظم العصرية فى هذا المجال . ابتداء من كاميرات التليفزيون المثبتة في كل مكان ، وانتهاء باجهزة الرادار التى تلتقط أقل حركة فى المبنى الكبير ، فضلا عن أشعة

● اضغط أمامك

على زر صغير

لتجد أحدث

لوحات بيكاسو

ليزر ، وأجهزة انذار مغناطيسية ، وقاذفات للدخان .. وأجهزة أخرى لم يشأ المسؤولون عن المركز أن يفصحوا عنها .

اما نقط المراقبة فتبلغ ست آلاف نقطة بينها أربع آلاف إشارة تنبيه . ويتم تجميع المعلومات فى مركز للادارة الألكترونية بواسطة العقول الصناعية .

وهذا النظام هو أكمل نظام للأمن والمراقبة أمكن صناعته فى العالم كله حتى الآن لحماية الآثار الفنية . وتبلغ درجة الحرص على الآثار والعناية بها الى حد أن بعضها متصل مباشرة بالعقول الألكترونية .. وبعد هذا كله فهناك أكثر من ألف رجل وامراة يقومون بعمل المراقبة البشرية ابتداء من المضيفات والحراس حتى رجال الأمن !! .

المجموعات الفنية

ولكن ما هى تلك المحتويات التى لا تقدر بثمن ، والتى قال بعضهم انها تساوى ألفى مليون فرنك ، والذى أنشىء من اجلها هذا المركز ، وهذا الجهاز المعقد للمراقبة والأمن ؟

يحتوى «بوبور» باريس على اربعة اقسام رئيسيـة :

ـ القسم الأول : وهو اكبرها وهو «متحف الفن الحديث» وهو يشغل الطابق الرابع على مساحة قدرها سبعة عشر الف متر مربع . ويضم هذا المتحف مجموعات فنية كاملة من اللوحات والرسوم وأعمال النحت والتصوير الفوتوغرافى منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن . ويعمل هذا القسم على تجميع الأعمال الفنيةمن هذا اللون ، وعرضها ،وتقديم كل المعلومات عنها . ويزيد عدد اللوحات المحفوظة لكبار فنانى القرن العشرين عن الفى لوحة . ويكفى الزائر لهذا القسم أن يضغط على زر صغير حتى يجد أمامه أحدث لوحات بيكاسو أو أندرها . وهى متعة لم تكن أبداً فى متناول الناس . ولكنها كانت حكراً على طبقة الأثرياء . ويتبع هذا القسم مركز للتوثيق ، يهتم بجمع المعلومات والدراسات والأبحاث التى تساعد على فهم واستيعاب تاريخ الفن فى القرن العشرين وتطوراته عبر مراحله المعاصرة . كما أنه يضم مكتبةفنية متخصصة ، غنية بالكتب والمجلات والمخطوطات وهو يوفر هذه الأشياء كلها للدارسين ومتذوقى الفن . كما يتبع هذا القسم مركزاً خاصاً مهمته تنظيم المعارض ، واقامة الندوات ، والمهرجانات

ـ القسم الثانى : وهو الذى يلى القسم الأول فى المساحة والاهمية وهو «المكتبة العامة» وهى تقوم على مساحة قدرها ستة عشر الف متر مربع . وتسع هذه المكتبة ١٥٠٠ قارىء فى نفس الوقت وبها مجموعات من الكتب تغطى كافة ميادين العلم والفن والمعرفة . والدخول اليها حر تماماً وبلا أى مقابل . وتحتوى هذه المكتبة على ثلاثة مراكز أساسية هى المكتبة ، وصالة الأحداث الجارية ، ومكتبةالأطفال .

الفكر الحديث

أما المكتبة فتضم خلاصة ما هو حديث فى الفكر الانسانى ، وفى جميع الوان المعرفة وهى المكان الأول الذى يحظى باهتمام الزوار ، وفى هذه المكتبة قسم خاص لتعلم اللغات حيث يستطيع الزائر ممن خلال أدوات سمعية خاصة ، أن يعلم نفسه ، وبمفرده ، أية لغة يريدها من لغات العالم الحية بما فيها اللغة العربية !!

أما صالة الأحداث الجارية فتضم قاعات فسيحة للندوات والاجتماعات والدراسة والعروض ، وبها أشمل مجموعة من الصحف والدوريات والمجلات القادمة من جميع أنحاء العالم . وفى هذه الصالة المجهزة بأحدث الآلات السمعية والبصرية يمكن للزائر أن يسمع أو يرى ما يشاء من تسجيلات أو أفلام أو حتى معارض نادرة .

وأما مكتبة الأطفال فتضم ثلاثة اجنحة ، أولها للقراءة ، وثانيها عن الوثائق والمراجع الخاصة بادب الأطفال وثالثها للوسائل السمعية والبصرية .

ـ القسم الثالث : ويسمى «بمركز الخلق الصناعى» وهو يمتد على مساحة أربعة آلاف متر .. ومهمته دراسة كل ما يتعلق بالابداع ، وبتطور الظروف والأساليب الخاصة بحياتنا الراهنة ، مثل بناء المدن ، وثورة الاتصالات ، وأساليب الفن المعمارى ، والمعالم الصناعية .. ويضم هذا القسم جانباً خاصاً يسترجع فيه الزائر بمساعدة الصور والأفلام كل تاريخ التطور الصناعى فى العالم . وقد كان المركز موفقاً حين استهل نشاطه بمعرض عن علم آثار المدن ، ثم أتبعه بمعارض عن جغرافية اللون ، وتشريح البيت .

ـ القسم الرابع : ويسمى «بقسم الأبحاث السمعية والموسيقية» .. وهو يهتم بتتبع كل جديد فى عالم الصوت والموسيقى للمؤلفين والعازفين والمطربين ، وهو يحفظ انتاجهم وينشره على أوسع مساحة من الجمهور . ويقوم هذا القسم بتنظيم العروض المختلفة والمعارض المتنوعة وخصوصا العروض السينمائية والمسرحية . وقد الحق به فرع للسينماتيـك الفرنسية ، اطلق عليه اسم هنرى لاجلو مؤسس السينماتيـك الذى رحل عام ١٩٧٧ .

النبوغ المبكر

وهناك بعد هذه الاقسام الرئيسية قسمان الأول : هو «مشغل الاطفال» وهو مخصص للكشف عن النبوغ المبكر عند الأطفال باستثارة حاسة الابداع لديهم من خلال مدربين مؤهلين علمياً على هذا العمل . والثانى : قسم يضم فروعاً للطباعة والتوزيع والتبادل الثقافى ، واعادة احياء العروض القديمة ، فضلا عن أقسام للاستماع وأخرى للمشاهدة .

وبعد .. فهذا هو باختصار شديد «مركز جورج بومبيدو الوطنى للفن والثقافة» المعروف باسم «بوبور» . ونحن هنا لم نتعرض لانجازات هذه القلعة الثقافية خلال السنوات الأربع الماضية التى زاره فيها ما يزيد على عشرين مليوناً من رواد الفن والثقافة والمعرفة .

.. أما الهدف من هذا التعريف فهو طرح السؤال الصغير التالى : متى يكون لنا نحن العرب|مركز عالمى على هذا النحو . مركز يمثل الواجهة الحضاريةاللائقة بنا فى دنيا القرن العشرين ؟!

محمد بركات

جمال قطب

أزمة الفن التشكيلي في العالم العربي

المذاهب الحديثة وبوادر العزلة

في العصور الحديثة .. وفي عصر السيطرة الغربية الجارفة على شتى نواحي الحياة المعاصرة .. نادراً ما يتردد اسم فنان عربي في المحافل الدولية .. وكأن دورنا قد انتهى في حركة الابداع العالمي في ميدان الفنون التشكيلية ، بانتهاء عصور الدولة الاسلامية الزاهرة في الشرق الأوسط منذ نحو ثلاثمائة عام !

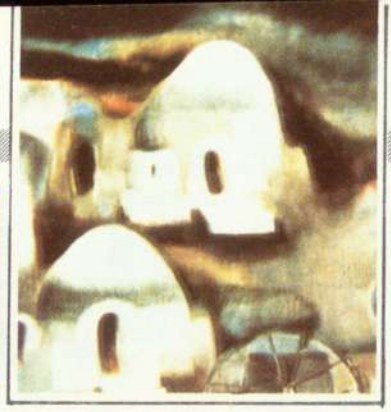
ولنتأمل في نظرة خاطفة إلى أمجاد الفن العربي الاسلامي حتى توقفت مسيرته على مشارف العصر الحديث :

كانت «المدائن» عاصمة الساسانيين على أرض العراق تضع اللبنات الأولى للفن الساساني الذي أرجعه الباحثون كأساس ومنطلق للفن الاسلامي قبل الفتح وحتى قضى المسلمون على دولتهم عام (٦٤١م) ، وقد أثبتنا في مقالات سابقة أن العرب من الغساسنة والمناذرة وغيرهم قد أسهموا بالنصيب الأخر في بناء الحضارة والفن الساساني قبل الاسلام ، ولم يكن العرب في بلاد ما بين النهرين محاربين فقط بل غطت إبداعاتهم كل مرافق الحياة .

الفنان المسلم

وفي الدولة الاسلامية في العصر الأموي ، كان الرواد الأوائل يجدون في





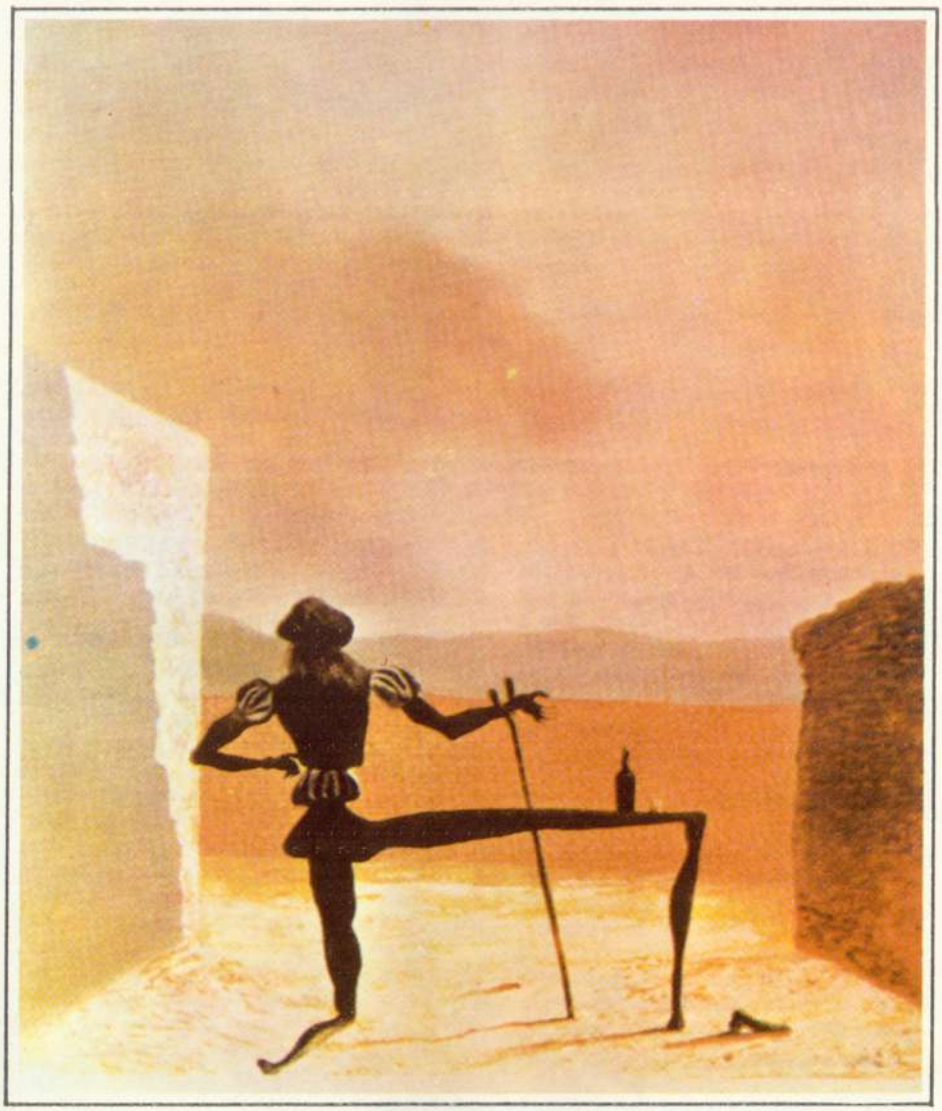
هل توقف دورنا فى حـــركة الابداع العـــالمى منذ ثلاثـــة قرون ؟

البحث عن هوية فنية مميزة .. ونجحوا فى إيجاد الفن الاسلامى الذى تبلورت ملامحه فى العصر العباسى . حيث تألقت مدرسة بغداد كمركز إشعاعى للفنون ، وكونت الموصل بعد ذلك مقراً عالمياً للمبتكرات الفنية التطبيقية كان نقطة وثوب وانطلاق إلى مصر وسوريا فى عهد الأيوبيين فى القرن السادس الهجرى وتطلع العالم أجمع إلى المستحدثات الفنية فى زخارف «الأرابيسك» وفن التكفيت بالمعادن الثمينة وصياغة الحلى والكريستال والأحجار الكريمة ، وشهد العصر الفاطمى الذهبى أمجاداً فنية رائعة غطت بابداعاتها الرفيعة منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها وجنوب أوروبا .. وازدهر فن النحت والعمارة بزخارفها ونافوراتها البرونزية وغير ذلك من مظاهر البذخ الفاطمى الشهير . وفى غرب جنوب أوروبا ، سيطرت الفنون العربية الاسلامية فى الأندلس على اسبانيا ، وبهرت أوروبا كلها باشعاعاتها .. وامتزج الفن القوطى الغربى بفن الأرابيسك ونهل فنانو الغرب من مبتكرات الفن الاسلامى ، وأصبح الفنان المسلم فى تلك العصور يتربع على عرش الابداع العالمى .

وفى العصر العثمانى الذى عم نفوذه شرق أوروبا والعراق والشام ومصر ، تم غزو القسطنطينية مركز الفنون والآثار البيزنطية ، وامتزجت الفنون الاسلامية والبيزنطية فكانت إثراء وإضافة حضارية لمسيرتنا الفنية العريقة . وكان عام ١١٣٤ هـ .. نهاية لهذا التألق والسيطرة لفنوننا فى الامبراطورية الاسلامية .

وفى أثناء الحكم العثمانى التركى أفرغ الأتراك قلب العالم العربى (القاهرة) من الفنانين .. وبعثوا بهم الى الآستانة ! وفرض علينا بعدها أن تندثر حركة الابداع العربى .. إلا من نشاطات فردية متعثرة !

وكانت بداية لغفوة طويلة .. حتى صحونا على هدير المعارك الصاخبة بين فنانى أوروبا .. وبعد أن صارت بلادنا نهباً للأطماع الاستعمارية الأوربية .. وتطلعنا الى هذه الاشعاعات الفنية المتألقة وهى تتابع فى تسابق لاهث بين الفرقاء .. ولم نستطع أن نغفو مرة ثانية وقد امتلأ العالم أجمع بالضجيج والحركة والحياة !



الطريق الوحيد

وبدأنا مع مطلع هذا القرن نتلمس الطريق .. وأى طريق !

لم يكن أمامنا غير طريق أوحد لنكسر الجمود والتوقف الذى فرض علينا فى تلك القرون الأخيرة .. إنه طريق الغرب

المؤدى الى بلاد أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط ..

وكانت فرنسا ـ ومازالت ـ ملتقى التيارات الفنية ومسرح المعارك الابداعية المتطورة . وهذه ايطاليا كمتحف يحوى أسرار عصر النهضة وأساطين الفن الخالدين . واسبانيا .. حيث تعبق أجواؤها بفنون الأندلس وروائع الفن الأيبيرى العريق .

وبدأ زحف رتيب إلى هذه المناهل السائغة ولكن العيون والبصائر شاخصة الى مدينة النور على نهر السين حيث تستعر المعارك الابداعية التى تقود العالم الى متاهات الفن الحديث ...

وكان ذلك بداية حركة الفن المعاصر فى وطننا العربى .

وقبل أن نصل الى النتائج الحالية التى نحن بصدد استعراضها عن ظاهرة عزلة الفنان عن جماهيرنا العريضة ، وعدم تفاعلهم مع انتاجه ، لابد لنا من تناول الأسباب التى أدت الى قطع الصلة بين جهازى الارسال والاستقبال .

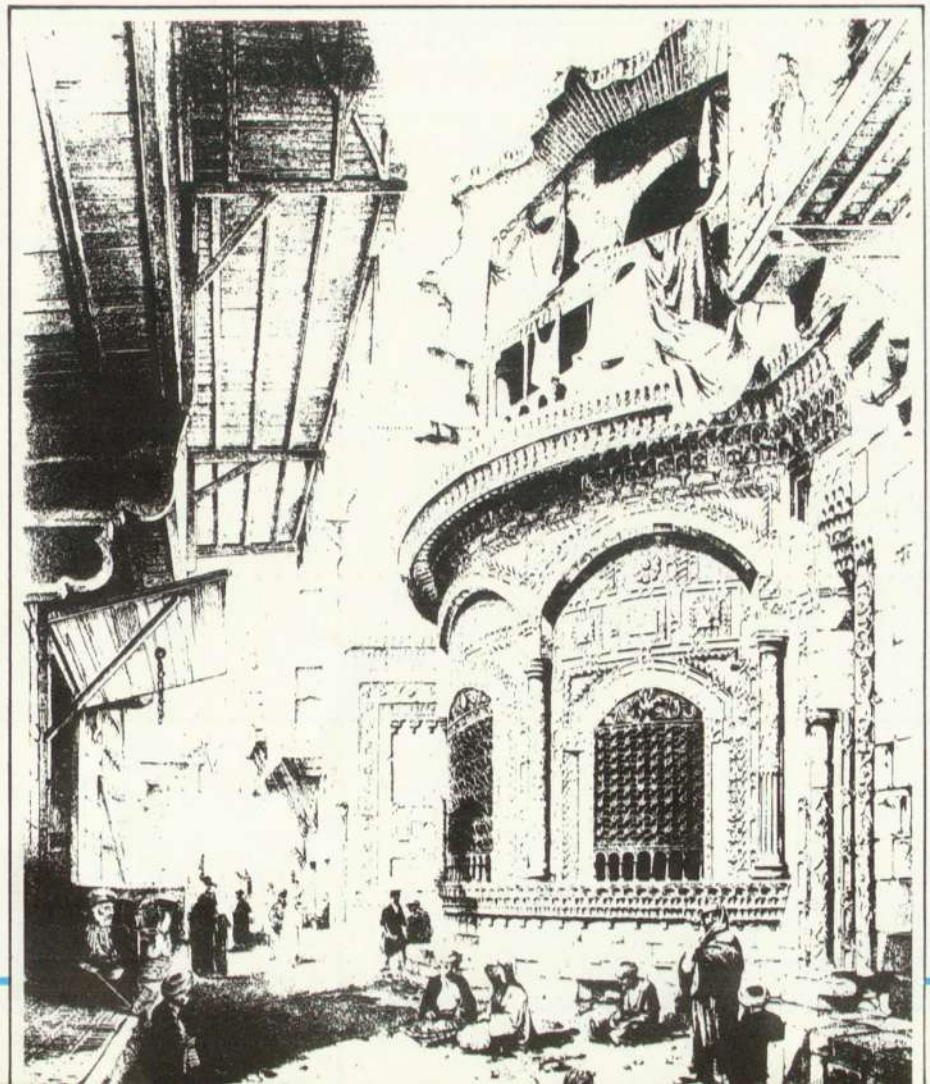
ولعل التجربة المصرية التى بدأت مع مطلع هذا القرن أوضح مثال ، لما فيها من تاثير مباشر على حركة الفن العربى المعاصر عامة ، ولما للقاهرة من خلفية حضارية وفنية اتاحت فرصة الريادة فى العصر الحديث .

وتبدأ هذه التجربة بافتتاح «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة عام ١٩٠٨ . ولكن ظروف انشائها قد قطع الصلة بين حركة الفن المعاصر ، وتراثنا العربى الذى لم يزل آنذاك يترك بصماته على معظم مرافق حياتنا وتقاليدنا . ولم تكن بطبيعتها بعثاً عربياً فرضته الوطنية المتاججة فى نفوس المصريين فى تلك الفترة التى تجلت فيها روح النضال والكفاح ضد الاستعمار البريطانى ، وكل صنوف القهر السياسى والاجتماعى فى مطلع هذا القرن . ولكنها جاءت وفق إرادة ذاتية من أحد الفنانين المستشرقين الفرنسيين يدعى «لابلان» ، استطاع أن يقنع أحد أفراد الأسرة المالكة وهو الأمير «يوسف كمال» باحتضان فكرة انشاء هذه المدرسة ، وكان هذا الأمير شغوفاً بالفن وجمع التحف ، حتى أن قصوره فى مصر كانت بمثابة متاحف صغيرة . ومن الطبيعى ، أن يختار لابلان مجموعة من الاساتذة الأجانب للتدريس ، مثل فورشيللا ، وكولون وبيرون وغيرهم ..

وتبعاً لذلك ، فقد كانت أساليب الدراسة والممارسة الفنية تجرى على النسق الأوروبى الخالص ، فلم يهتم هؤلاء الأساتذة الأوربيون بوضع منهج يرتبط بالواقع المصرى يعمل على وصل النشاط القائم بالنهضة الفنية العربية القديمة . ومن الطبيعى أن يكون الامتداد المنطقى للدراسة هو أن يسافر الخريجون فى بعثات الى أوروبا .

وقد ضاعفت هذه البعثات من انقطاع الصلة بين الفنان وواقعه ، وأعارته جذوراً ومناهل مصطنعة تمتد الى أوروبا وتمتص من عصارتها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاتجاه ، أن بدأت أولى بوادر الانفصال والعزلة بين الفنان والمواطن البسيط الذى تشده أوثق الروابط بواقعه العربى والاسلامى ولذلك ، فقد جاءت ثمار هذا الوضع غريبة المذاق على الجمهور لا يستطيع أن يستسيغها .



المدارس الغربية

ولننظر الى حركة الفنون التشكيلية

هكذا اندفع فنـــانونا وسط النزعات الفنيـــة المتضاربة

أولى فجوات العـزلة كانت فى تدريب البصائـر على فن لا علاقة له بالمجتمع

فى ذلك الوقت أى فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت ثورة جامحة فى مدارس الفنون الأوروبية الحديثة .. فتدافعت فى صراع أشبه بالمبارزات العنيفة بين الفنانين التشكيليين ، وكانت فى معظمها تنشأ مواكبة للثورة العلمية التى تجتاح العالم الصناعى فى دول أوروبا . فاكتشاف النظريات الحديثة فى علم الضوء وتحليل ألوان الطيف ، قد فرض استحداث المدرسة التأثيرية التى تستمد أصولها من ضوء الشمس وألوان الطيف ، وخاصة التأثيريون معركة حامية لفرض أبحاثهم الجديدة .. وظهرت على أثرها مذاهب شتى كالتنقيطية والبوهيمية والتعبيرية والتاليفية والرمزية .. وتغالى الفنانون فى عنف أساليبهم وجسارتهم فى التعبير الصارخ حتى أطلق عليهم «الوحوش» وعلى فنهم بالمذهب الوحشى .. الذى تزعمه (هنرى ماتيس) ..

وعقب الوحشية التى سادت فى السنوات الخمس الأولى من هذا القرن ، ظهرت التكعيبية ، حيث بدأها (بيكاسو) عام ١٩٠٧ ، وتفرعت الى تكعيبية تحليلية وتكعيبية تركيبية ، ثم استحدثت أساليب «خداع البصر» و «الكلاج» أى التلصيق ، ثم ظهرت الحركة المستقبلية ، المتمردة على التراث والأصالة والقيم الجمالية الثابتة وقد قام بها بعض الشباب الأوروبى الذى يريد أن يحطم كل شىء ! .. ولننظر بعضاً من شعاراتهم :

«سوف نتغنى بحب الخطر وروح التمرد وفن الفوضى الهدام والأفكار التى تقتل فهلموا يا مضرمى الحرائق»

«إن جميع الحقائق التى تلقن فى المدارس والمراسم ، لم يعد لها وجود بالنسبة إلينا .

وقد سقت هذا المثال من الشعارات التى رفعها فنانو أوروبا عام ١٩١٠ لندرك سوياً هذا الجو الذى كان يسود الغرب فى وقت معاصر لبدء النشاط الفنى فى مصر بافتتاح مدرسة الفنون الجميلة لأول مرة فى المنطقة العربية .. ولتوضيح الاختلاف بين أجوائنا وأجوائهم .. فالشرق شرق والغرب غرب كما يقولون !

العالم الغريب

وفى نفس التاريخ (عام ١٩١٠) ظهرت أولى لوحات المذاهب التجريدية فتجاهلت الموضوع كلية وعنيت بالشكل وانقسمت الى فرعين : تعبيرية وهندسية .. وفى عام ١٩١٦ ظهرت الدادائية التى كانت بمثابة انفجار تلقائى لحالة نفسية مبعثها الدمار والعنف والخراب وفى عام ١٩٢٤ ظهرت السيريالية .. واستنت قوانينها من الجمع بين تمرد الدادائية على حدود المنطق والاهتمام بأسرار العقل الباطن ، مستلهمة أساليبها من نظريات «سيجموندفرويد» فى التحليل النفسى . أى أنها تعبير عن خواطر النفس بعيداً عن كل رقابة يفرضها العقل ، ثم الايمان بسلطان الأحلام المطلق ! ولعل أشهر السيرياليين وأذيعهم صيتاً هو الفنان المعاصر (سلفادور دالى) .

ومن السيريالية اشتقت مذاهب (البارانويا) أو الهلوسة ، وأسلوب (التغريب) أى نقل الكائنات من وسطها المعهود إلى وسط غريب ، كعمل شاذ ذى رؤية ذاتية لأفكار الفنان وأحلامه .

وهكذا تعددت الأسماء والمسميات فى عالم غريب .. غريب .. عن مفاهيمنا وثقافتنا وبيئتنا الساكنة الوادعة البعيدة كل البعد عن هذا الهوس الفنى الصاخب !

وإلى هذا العالم الغريب .. أوفدنا مبعوثينا ليشاركوا فى تلك الحركات الهستيرية تحت شعارات مجنونة قلقة متصارعة ..

ووجد فنانونا أنفسهم يدورون فى دواماتها ، مندفعين فى تيارها الجارف دون أن يكون لديهم من الثقافة القومية أو التراثية ما يحفظ لهم توازنهم الوجدانى

الانتماء والأصالة

عادت هذه الكفاءات الغضة من الطلائع الفنية وهم يدينون بالولاء الكامل دونما وعى لهذه المذاهب الأوروبية ، يرددون صدى الصراع المستعر هناك وكأنهم يبشرون بدين سماوى جديد ! وأخذوا يتبارون بدورهم فى إبراز كفاءاتهم داخل تلك الدائرة الأجنبية الغريبة . وكان الناس من حولهم بين خيارين : إما أن يغيروا جلودهم ويدخلوا فى معارك وهمية لنصرة هذه النزعات الوافدة متظاهرين باستساغتها وتذوقها ولو من قبيل التحضر المزيف .. وأن يدربوا بصائرهم وبصيرتهم على تقبل فن لا ينبض بأى تفاعل لبيئتهم ومجتمعهم . وإما أن ينصرفوا كلية عن هذه البدع الدخيلة ويتخذوا منها موقف الرفض لهذا النشاط الأنانى الذى لا يعنيهم فى شىء .. وكان الفنانين ينتمون الى عالم آخر مجهول !.. وهكذا انبثقت أولى فجوات العزلة بين الفنان والجمهور .

وكانت هذه نتيجة حتمية لشعب يتلمس خطاه نحو مناهل المعرفة المتواضعة .

ولم يبلغ من الثقافة الحديثة ، أو الوعى الفنى المعاصر مبلغاً يؤهله لاستيعاب مثل هذه النظريات والمذاهب المستحدثة . بل إن نظرة جموع الشعب من البسطاء وهم يمثلون الغالبية العظمى لدولنا العربية ـ كانت توصم هؤلاء الفنانين بانسلاخهم عن أوطانهم وأصالتهم وتقاليدهم العربية العريقة .

وأحس الفنان أن جمهوره الحقيقى ليس فى القاهرة أو بغداد أو دمشق أو عمان .. بل هو فى باريس وروما ولندن ومدريد ، فضاعف هذا من انعزاله .. وبدأ يبحث له عن جمهور صناعى يعوضه على الجمهور الطبيعى .. فماذا فعل وقد وجد أن الحلقة تضيق من حوله لتحد من انطلاقه وتبدد أحلامه فى التألق والريادة ؟!

جمال قطب

قصة قصيـــــرة



حوريات الغابة

أسطورة من الصين نقلها من الفرنسية : فاضل السباعى

فى الجنوب الغربى من قريتنا يقع جبل «لو ـ شان» . وثمة ، فى سفحه ، ينبوع يدعى «عين الجنيات» . ويحكى انه كان يعيش قديماً ، على قمته ، غزال صغير من حجر اليشب الكريم . وعندما كان الناس ينزلون من الجبل عائدين إلى بيوتهم ، كانت تتناهى إلى أسماعهم أحياناً أصوات مثل : فليك فلاك فلوك ، فليك فلاك فلوك ... يخيل اليهم معها أن الافاً من الجلاجل الصغيرة تقرع . إنه الغزال الصغير ، الشادن اليشبى ، الذى يعدو مكردحاً بقوائمه القصيرة ، محدثاً هذه الجلبة . ولكن أحداً من الناس لم يكن يشاهده . يقولون إنه لا يظهر إلا لمن يملك قلباً أصفى من الألماس !

وفى سفح جبل لو ـ شان هذا ، كانت تقوم قرية صغيرة ، يعيش فيها صاحب مزرعة بدين الجسم أكرش ، وبخيل شحيح حتى أنه لا يتخلى عن الماء الذى يسلق فيه بيضة ، ويستغل خدمه واجراءه إلى أبعد حد . ولقد جرى الناس على تسميته بـ «السلاخ» ، لأن الرحمة لم تكن تعرف إلى قلبه سبيلا .

وكان يعمل فى مزرعته أجير شاب اسمه «تشانغ ـ تشو» ، وهو فتى طيب أمين دؤوب ، قل أن نجد نظيراً له فى هذا العالم . يعمل من الصباح حتى ساعة المغيب ، ويأكل غالباً ما لا يسد رمقه ، زد على ذلك أنه كان يتعرض للضرب من سيده . وكان يصعد ، كل يوم إلى الجبل بحثاً عن العيدان اليابسة ، ويعود مساء وحزمة منها على كتفه .

ذات يوم ، لم يتمكن من العودة إلا وقد حل المساء . فوقعت عينه ، وهو قرب عين الجنيات على شىء ما صغير ، ملقى على الأرض ، يلتمع . تلفت حوله ، فلم ير أحداً . ولم يكن ذلك الشىء اللماع ، إلا دبوس شعر من الفضة ! لمن هذا الدبوس ؟ كانت الغابة ساكنة ، والطبيعة فى سبات عميق ، والنجوم وحدها ساهرة فى السماء ، عالياً جداً فوق الأشجار .

حدث تشانغ ـ تشو نفسه ، وهو ينحنى لالتقاط الدبوس : سآخذه وأحتفظ به ، لعلنى أجد صاحبه غداً !

وفى اليوم التالى ، انصرف ، كسابق عادته ، والشمس مانزال فوق الأفق . ولكنه توقف عند الينبوع ، وأخذ ينتظر وينتظر .

أرخى الليل سدوله ، وطلع القمر ، ولكن لم يبد له أحد . فما كان منه إلا أن تناول حزمة الحطب ، وهم برفعها إلى كتفه استعداداً للمسير . ولكنه تسمر فى موضعه ، وهو ينهض بحمله ، مأخوذاً من فرط الاعجاب : ثمة ، فوق صخرة إزاء عينيه ، صبية تبتسم له ... كانت عيناها أشبه بنجمتين ، وهى ترتدى غلالة ناعمة ، وردية اللون ، شفافة !

سألته بصوت ندى مثل نسمات الربيع :

«قل لى ، أرجوك : ألم تجد ، بالمصادفة دبوسى الفضى ؟» .

لم تمكنه دهشته البالغة من أن يجيب

مد تشانغ ـ يده إليها بالدبوس ، دون أن ينبس ببنت شفة .

وما إن شكرته الحسناء ، بمودة ، حتى كانت هفهفة ثوبها قد سمعت فى الفضاء ، ثم هبت ريح صغيرة ، واختفى طيفها اللطيف .

لم يقدر الفتى ، طوال الساعات التالية أن يفكر إلا بهذا الذى وقع له . وما لم يستطع أن ينساه كان ، على وجه التحديد ، جمال الحورية الرائعة ، وقد ظلت صورتها مطبوعة فى قلب عينيه لا تفارقه أبداً . وعبثاً راح يتمنى ، فى الأيام التالية ، رؤيتها ... فالغابة فى سكونها ، وليس للحورية فيها من أثر .

ولكن حادثة غريبة أخرى وقعت للفتى ، وهو فى الجبل . كان قد أتم جمع أعواده وعساليجه ذات مساء ، وربط حزمته ، وجلس ليتناول عشاءه البسيط . مد يده إلى صرة أكله ، التى كان قد أودع فيها عدداً من كعكاته المتواضعة ... ولكن يا للخيبة ! كانت الصرة خاوية ، ولا أثر للكعكات فيها !

حدث نفسه : يا للغرابة ! لا شك أن حيواناً غاشماً قد أكل عشائى !

إلا أن الحادثة تكررت فى اليوم التالى ... ثم إن الأمر ذاته أخذ يقع كل مساء . فكر الفتى ، مخاطباً السارق المجهول : انتظر قليلا . لسوف ألقى القبض عليك ، يوماً ما ، أيها النشال الحقير ! وتسلق شجرة صنوبر ، واندس بين أغصانها مترقباً .

غابت الشمس ، وحل الظلام ... وما لبث البدر أن طلع ، فملأ السماء نوراً .

هنا ترامت إلى مسمع الفتى أصوات تلك الجلاجل الصغيرة : فليك فلاك فلوك بينما اعتراه الذهول مما ترى عيناه من مشهد غريب : كانت تتدحرج نحوه ، من الجانب الآخر من المكان ، كرة فضية اللون وذات لمعان شديد . وكلما اقتربت

حوريات الغابة

منه ، اضطر إلى أن يطبق جفنيه أكثر فأكثر ، ذلك أن النور الذى ينبعث من هذه الكرة ، كان يسطع سطوعاً باهراً . فلما فتح عينيه أبصر ، تحت الشجرة المتخفى بين أغصانها ، غزالا صغيراً بدا له أنه من حجر اليشب الأبيض ، يتوهج فروه توهج الأحجار الكريمة الثمينة ... ولكنه كان ، بما لا يدع مجالا للشك ، يتم أكل الكعكة الأخيرة !

صرخ الفتى وهو يسرع بالنزول من على شجرته :

«واخيراً ، ضبطتك متلبساً ! فانت إذن من ياتى كل يوم وياكل كعكاتى ؟ (واضاف مؤنباً) الا تخجل ، يا هذا ؟! لو أن عندى مزيداً من الكعك لما عاتبتك ... ولكن ، هل تعلم انى أبيت ، كل ليلة ، خاوى البطن بسببك ؟!» .

اجاب الشادن اليشبى :

«انا لم آكل كعكاتك هذه دون مقابل . لسوف اوفيك حقك بان ازودك بخطيبة حسناء ! »

هتف تشانغ ـ تشو ، وهو يطلق تنهدة :

«اواه ، أيها الشادن الصغير ! انت لطيف حقاً . ولكن ، الا ترى انى لا اكاد اقدر على تامين الغذاء لنفسى ، فكيف أستطيع أن اقوم باطعام زوجة ؟!»

فطمانه الشادن اليشبى الصغير .

«لا تقلق ! لن تكون زوجتك المقبلة عبئاً عليك . إنها ، على العكس من ذلك تماماً ، ستكفى نفسها بنفسها ، فضلا عن انها ستكون عوناً لك فى حياتك . اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستاتى تسع حوريات للاستحمام فى الينبوع . انظر أيهن تعجبك اكثر من غيرها ، فاختطف ملابسها ، وانطلق باقصى ما تستطيع من سرعة . فانها دون ثيابها ، لن تتمكن من العودة إلى السماء ... وعندئذ تصبح زوجتك !» .

ما إن قال الشادن اليشبى الصغير ذلك ، حتى اخذ يبتعد ، مكردحاً ، بجسمه الكروى الباهر النور ، واختفى فى الادغال .



وهنا تذكر تشانغ ـ تشو الحسناء المجهولة التى كانت قد اضاعت دبوسها الفضى قرب عين الجنيات . آه ، ليتها تكون إحدى الحوريات التسع !

وفى اليوم التالى ، وقبل طلوع القمر ، كان متخذاً مكانه حيث ينبغى ، مختبئاً قرب الينبوع .

طلع القمر . وبدا سطح الماء هادئاً ، اشبه بمراة . وفجاة ، تحرك الهواء ، فاشرق نور من جميع الجهات فى آن واحد ، وظهرت ، على ضفة الينبوع ، فتاة حسناء فى ثوب أحمر ! ثم أومض نور آخر ، بدا وكانه يشق الفضاء ، فظهر طيف لحورية ثانية قرب الينبوع ، ترتدى الأخضر هذه المرة ... وهكذا كانت حوريات الغابة ينزلن إلى الأرض ، واحدة بعد أخرى ، ليستحممن .

كتم تشانغ ـ تشو انفاسه . يا للسماء ! إنه لم ير ، فى حياته كلها ، هذا العدد من الحسناوات مجتمعات ! ولكن كانت فى نفسه غصة : إن الفتاة ، التى أمضى الليالى وهو يطلق التنهدات الحارة حباً لها ، تلك الحسناء المجهولة ذات الدبوس الفضى ، ليست بين هؤلاء الماثلات أمامه .

فى تلك اللحظة ، خفق فوق رأسه صوت مثل هينمة ، او نسمة عليلة ، ثم حطت الحورية الأخيرة على الأرض ، الحورية التاسعة ... فكانت إياها : الحسناء ذات الغلالة الوردية بدبوسها الفضى المغروز فى صدرها !

هتف تشانغ ـ تشو فى ذات نفسه : تلك هى التى أريدها ، ولا أريد سواها .

وانتظر حتى تجردت الحوريات .. ثم تسلل إلى حيث ملابسهن وهن يستحممن واختطف غلالتها الوردية الشفافة ، واطلق ساقيه للريح .

لم يكن قد بعد كثيراً ، لحظة خيل إليه أن هناك من يناديه . التفت ، فرأى حسناءه ترنو إليه بعينيها الباسمتين . سالته :

«لماذا هربت منى هكذا ، مع أن كلا منا يعرف الآخر جيداً ؟ أعتقد أننا صديقان ... الا ترغب فى زوجة ؟» .

جن تشانغ ـ تشو فرحاً . وما كان منه إلا أن اصطحب زوجته الشابة إلى بيته . فكانا سعيدين جداً فى حياتهما المشتركة.

منذ ذلك اليوم هرب الفقر والشقاء من البيت . فقد كانت الزوجة تقعد أمام دولاب مغزلها وتروح تغزل خيوطا تضاهى بنعومتها ما تغزله العذراوات من خيوط ... ثم يقوم تشانغ ـ تشو بحمل نتاجها الى المدينة ، حيث يبيعه فيجنى الزوجان من ذلك ارباحاً وفيرة .

وكان من البدهى الا يرضى ذلك صاحب المزرعة ، السلاخ المشؤوم . لقد استدعى إليه تشانغ ـ تشو ، ووبخه ، وارغى وازبد ... وانتهى الامر بالاجير إلى أن يروى لسيده حكاية الشادن اليشبى : كيف سطا هذا الشادن على كعكاته ، وكيف فاجاه هو ، وانه تعلم منه الطريقة التى مكنته من أن يحظى باحدى حوريات الغابة !

فكر المزارع لدى سماعه ذلك : كعكات كعكات تافهة ، عجينتها من الشيلم أو الزؤان ! إنى اذا ما قدمت للشادن فطائر ممتازة ، مصنوعة من الدقيق الأبيض الناعم المبثوث بالزبدة والبيض أرشدنى لا شك إلى الوسيلة التى احصل بها على فتيات أروع جمالا !

مساء اليوم التالى ، كان المزارع قد اعد صرة فيها ما لذ وطاب من الفطائر

المغشاة بالقشدة ، وأخذ طريقه نحو الجبل . هناك وضع فطائره على صخرة ، وتسلق شجرة ، وراح يرقب من فوقها .

لدى طلوع القمر ، ظهرت فعلا ، فى الجانب الآخر من المكان كرة فضية ! كانت تسرع نحوه ، وهى تزداد توهجاً ولمعاناً ... إلى أن تجلى الشادن اليشبى فى ظل الشجرة ، وارتمى على الفطائر ارتماء .

صرخ المزارع ، وهو يهبط من مكمنه :

«قد ضبطتك متلبساً وأنت تأكل فطائرى ! كيف تسمح لك نفسك بأن تأكل عشاء رجل مسكين مثلى ؟ لو كان عندى من الفطائر ما يكفى ، لما عاتبتك . إن على الآن ، أن أنام دون عشاء» .

نطق الشادن قائلا :

«أنا لست سارقاً ! أنا لا آكل شيئاً دون مقابل ! سأردها إليك بأن أدلك على الوسيلة التى تستطيع أن تحصل بها على امرأة رائعة الجمال !» .

سال المزارع نافذ الصبر :

«وأين يمكننى أن أعثر عليها؟» .

قال الشادن اليشبى :

«اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستأتى تسع حوريات للاستحمام فى الينبوع . اختر منهن من تستأثر باعجابك ، واختطف ملابسها ، واركض . إنها لن تستطيع العودة الى السماء دون ثياب . وعندئذ تصبح زوجتك !» .

لم يكد الشادن ينهى كلامه ، حتى كان المزارع يسرع نحو الينبوع ، دون أن يعنى حتى بتقديم الشكر الى الغزال الصغير .

لم يلبث هناك إلا هنيهة ، حتى طلع القمر . وكما وقع ، قبل فترة قريبة ، على مرأى من تشانغ ـ تشو ، فان الحوريات أخذن ينزلن إلى الأرض واحدة بعد أخرى . كانت ضفاف الينبوع تشع بوميض الهى . أى ألوان قزحية ! أى نور واشراق ! لقد جحظت عينا المزارع حتى خرجتا من محجريهما !

قرر بينه وبين نفسه : أريدهن جميعاً زوجات لى ! إن كلا منهن تفوق الأخرى جمالا . وقام يختطف الملابس ، المتناثرة حول الينبوع كلها ، ويعدو بما أوتى من سرعة .

فى عدوه ، ترامى الى سمعه وقع خطى تتعقبه ... هى خطوات لأكثر من قدمين ، ولكنها كانت خفيفة ورشيقة .

لحقت به الحوريات . أدركنه . تحلقن حوله فى دائرة ، وقد أمسكت كل منهن بيد الأخرى ، وشرعن فى الرقص .

اتخذت الحورية الأولى من المزارع «مراقصاً» لها ، وراحت «ترقصه» ، وتدور به حول نفسها ، وتحوم . ولحظة أدركها التعب ، «سلمته» إلى الحورية الثانية ، فراقصته هذه قبل أن تتخلى عنه إلى الثالثة ، وهكذا ... ذلك لم يعد رقصاً ، بل «مهرجان رقص» مرهقاً إلى حد لا يطاق .

انبهرت أنفاس المزارع البدين ، ووهنت ساقاه ، وسح منه العرق ، وأخذ قلبه يخفق خفقاناً مريعاً ، وأذناه تدويان ... وعبثاً كان يتوسل اليهن ، ويتأوه ، ويحاول أن يتملص من بين أذرعهن ، ولكن هيهات !

كان عليه أن يرقص ويرقص ... حتى فقد القدرة على التنفس ، وهوى إلى الأرض .

وههنا ، التقطت حوريات الغابة غلائلهن ، وارتفعن إلى السماء .

ثم إن الفجر لاح .

وفى ذلك الموضع القريب من عين الجنيات ، لم يعد المزارع ، الجشع التعيس إلا جثة هامدة ، ممددة فوق العشب .

لقد رقص حتى الموت !

فاضل السباعى

معلقة ومشعلقة

قال طرفه بن العبد فى معلقته الشهيرة :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ولأنها معلقة على أستار الكعبة ومنمقة بماء الذهب فقد عورضت واحتذيت .. وكلها معارضات جادة واحتذاءات رصينة تعاملت مع «الأصل» حسب الأصول الجارية والقواعد المرعية .. ولكن هل هذا كل شىء .. هل اكتملت أشكال المعارضة وتجمدت عند هذا الحد ؟ .. الأيام تدخر مفاجاتها فبعد ما يقرب من ألف عام على معلقة طرفه يأتى ابن دانيال الكحال ويتعامل معها بأسلوب «تعاليلى يابطة» ويكتب على نسقها قصيدة ، وبما أنه يعارض «معلقة» فهو يسمى ما كتبه «مشعلقة» .. ويتحدث عن حاله بلسان مقاله :

امسيت افقر من يروح ويغتدى
ما فى يدى من فاقتى إلا يدى!
فى منزلى لم يبق غيرى قاعداً
فاذا رقدت .. رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لأم المهتدى

ثم يتحدث عن الحشرات السائرة من صراصير وعناكب وعقارب ، والطائرة من البعوض والزنابير .. والقافزة من البرغوث ..وحق له أن يقول عنها :

حشرات بيت لو تلقت عسكراً
ولى على الاعقاب غير مردد
هذا ولى ثوب تراه مقطعاً
من كل لون مثل ريش الهدهد
لولا الشقاوة ما ولدت فليتنى
إذا كان حظى هكذا لم أولد
إذ كيف أرضى بالحياة وهمتى
تسمو وحظى فى الحضيض الأوهد

الذين عارضوا «طرفة» بجدية جعلونا نتامل ونفكر ونعيد .وابن دانيال جعلنا نضحك ونقول هل من مزيد .. وهل الجدية والضحك إلا وجهان لعملة واحدة هى «الحياة» ؟!

وجدان الانسان العربى فى الفن الشعبى

فاروق خورشيد



الأدب الشعبى العربى ليس ابن الجزيرة العربية وحدها ، وان كانت اصلا رئيسيا فيه ، ولكنه ابن المنطقة الاسلامية الدين العربية اللغة ، وانها كلها بموروثها القديم قد شاركت فى صنعه ، وحملت اليه كل معطياتها القديمة مع ما حملت اليه من وجودها البشرى ، وكيانها الجغرافى ، ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى .

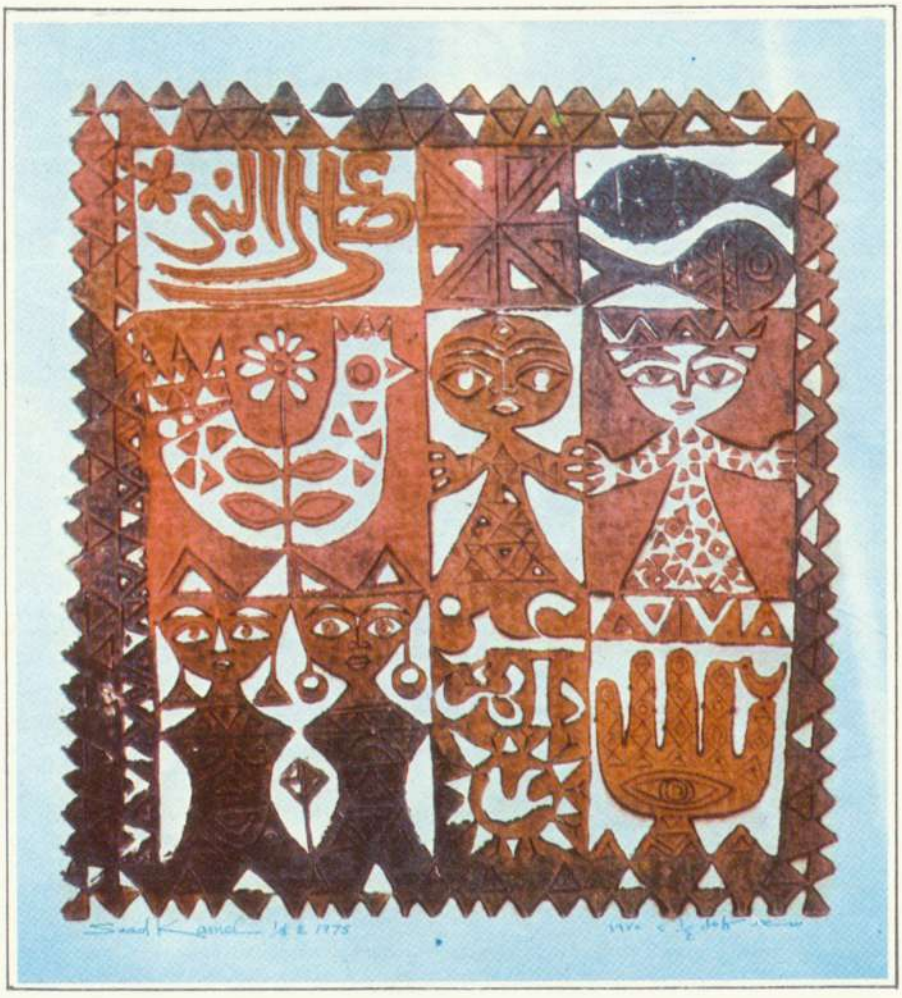
ومن هنا امتلأ الأدب الشعبى العربى بالكثير من مخلفات العقائد والفلسفات والثقافات التى عرفها العالم القديم كله بعامة ، والتى عرفتها الشعوب السامية بخاصة ، والتى استطاعت هذه الشعوب ان تتزود بها من الأمم التى جاورتها فى مراحل حياتها البدائية الأولى ، والتى اتصلت بها عن طريق التجارة أو الرحلة، وعن طريق الحرب والغزو ، وعن طريق التزاوج والمعاشرة ...

وقد تبدو بعض هذه المخلفات الموجودة فى الأدب الشعبى العربى غريبة عن الحس العربى لأهل الجزيرة فى كثيرة من الأحيان ، كما قد تبدو غريبة عن العقيدة الاسلامية ، وروح الفلسفة الاسلامية فى أحيان كثيرة ... ولكن هذه الغربة لا تدعونا الى نفى أصالتها فى الحس العربى الشعبى ، ولا الى ادعاء انها مجرد نقل وترجمة عن ثقافات أخرى غريبة ، وانما نحن نضعها فى مكانها الطبيعى من التراكم الثقافى عبر مراحل التاريخ المختلفة ، ذلك التراكم الذى كون الصورة المتطورة والمتحركة للثقافة الشعبية العربية ، التى وان تغيرت من عصر الى عصر ، إلا أنها ظلت تحمل سمات رئيسية من عصورها الاسطورية والبدائية الأولى على طول العصور .

فكر الشعب

وفى الأدب الشعبى نحن لا نبحث عن

● ما يكتبه الأدباء المتميزون يتسرب إلى شرايين المجتمع بطريقة تلقائية







فكر فلسفى واضح السمات ، ظاهر التماسك ، وانما نحن نبحث عن المعطيات الفنية المترسبة عن هذا الفكر ، ونحن نحاول ان نردها الى اصولها ، دون عناء البحث فى هذه الفلسفات نفسها ... وهذه المعطيات تظهر لنا بصور الحكى المختلفة ، وهى نفس الصور التى تظهر بها المتبقيات الاسطورية القديمة التى ملأت فكر الشعب العربى فى بداياته الأولى ، وهى تختلط بها وتتحد معها ، وهى فى جريانها داخل الوجدان الشعبى قد تمزج بين معطياتها الأسطورية القديمة وبين أكثر من فلسفة وعقيدة ، مرت فى ضمير الشعب عبر مسيرته الثقافية الطويلة . فالحكى أو القص فى الأعمال الشعبية ليس مجرد ادوات لتسلية الناس والهائهم . كما هو الحال فى تصور الكثيرين من أصحاب الفكر السطحى الذين ينظرون الى كل ما هو «شعبى» باعتباره اقل أهمية ، واقل قيمة ، واقل جدوى ، من الأعمال التى تصدر عن الأفراد الذين أثبتوا وجودهم واسماءهم فى سجلات وكتب الأدب والتاريخ ... ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه القضية ، فهى قضية تحتاج الى جدول طويل ... ولكننا هنا بصدد التحرك من نتيجتها التى تفترضها ، ولا نحب ان نناقشها وهى أن الافراد الافذاذ دائماً ينبغون من مجتمع انسانى يمهد لظهورهم بنموه الثقافى الفذ ، وأن نتاج ما يقدمه هؤلاء الأفراد الأفذاذ من فكر وثقافة انما يعود مرة أخرى ليتسرب الى شرايين هذا المجتمع بطريقة تلقائية وغير منظورة ، ليصبح تدريجياً جزءاً من نسيج ثقافةشعب هذا المجتمع ، وليصبح جزءاً رئيسياً من مكونات فكر الشعب وأدب الشعب ...

والكثيرون من الدارسين للأدب قد افاقوا منذ فترة طويلة الى هذه الحقيقة

الهامة ، فمضوا يربطون الانتاج الأدبى الذى يبدعه الأفراد المتميزون القادرون على التعبير باللغة الأدبية المتفوقة بانتاج الشعب ، او بالأدب الشعبى ، القريب الى حس العامة ولغتهم ، وأيضاً بالأدب الشعبى الذى هو موروث عام للشعب صاحب اللغة التى يكتب بها هؤلاء الأدباء المتميزون ....

الرمز الأدبى

وحين كانت تعوز النقاد القدرة على تفسير نص من النصوص الأدبية كان ربط هذا النص بالمعطى الأسطورى ، والمعطى الشعبى ، هو الباب الرئيسى لتفسير ما يغمض من هذه النصوص . بل لقد قام الرمز فى الأدب أساساً على العودة الى هذه المعطيات الشعبية ، والاحالة اليها والى ما تحمل من قصص تعود ، بأصولها ، الى الرموز الأولى التى أسقطها الانسان فى بدايات وجوده ، على القوى الموجودة فى الكون وما تخيله من صراع دائم بينها لا ينتهى ولا يتوقف وعلى ما يمثله الوجود البشرى من صراع مستمر ضد قوى البشر فيها ، واستجلابها لقوى الخير منها ..

والأدب الرمزى فى محاولته التغلغل فى أعماق الانسان الفرد ، انما هو يستعين بموروث هذا الانسان الفرد ، باعتباره عضواً فى جماعة ، للكشف عن طوايا نفسه المختبئة وراء عقله الواعى المتحكم فى سلوكه وفكره وتعبيره ، أى ان هذا الأدب يحاول أن ينهى الفردية المتميزة بدمج وجدان الفرد صاحب الابداع ، بوجدان الجماعة ككل ، والبحث عن مدلولات الرمز ، لا من خلال وجدان الفرد المبدع للرمز وحده ، وانما من خلال وجدان الجماعة التى ينتمى اليها هذا الفرد ، ويندمج اندماجاً كلياً لحظة الابداع الفنى بها ... ولجوء أديب الرمز الى الموروث العالمى من المعطيات الشعبية لا يساوى ـ من ناحية تحقيق العمق الانسانى لابداعه ـ ما يمكن أن يساويه ويحققه اللجوء الى المعطيات الشعبية الحميمة الخاصة بشعبه الذى يصدر أدبه للتعبير عنه أولا وقبل كل شىء ...

وينطبق هذا بالطبع على استعمال الرمز فى غير الأدب الرمزى الخالص من ألوان التعبير الأدبى المختلفة ، كما ينطبق أيضاً على الاحالات التاريخية فى كل عمل من الأعمال الأدبية ، وعلى الأعمال التى تتجه أصلا الى اتخاذ موضوعها مرحلة ما من مراحل التاريخ ، وتتجه أيضاً الى استخراج شخصيات من الشخصيات ذات البروز المعين فى مرحلة ما من مراحل التاريخ ...

المفاتيح الحقيقية

والذى لاشك فيه أن الاهتمام بالأسطورة ، وبالمعطى الأدبى الشعبى ، كان يكمن وراء العودة الجادة الى الموروث الاغريقى ، وخاصة المجمعات الأسطورية كالألياذة والأوديسة ، فمن خلال هذه العودة استطاع الأدب الانسانى ان يربط نفسه بجذور عميقة فى الوجود الانسانى ، لا الوجود التاريخى المرتبط بالاحداث وحده ، وانما الوجود النفسى الملتحم بالوجدان الانسانى ومراحل تكونه ، عبر صراعه الأول فى سبيل البقاء ، ثم صراعه الثانى فى سبيل الاكتشاف والمعرفة ، ثم صراعه الثالث والدائم فى سبيل التقدم والتطور المستمرين ... قدمت الميثولوجيا الاغريقية لانسان الغرب المفاتيح الحقيقية لماضى وجدانه الانسانى ، واستطاعت أن تجيبه عن أسئلة كثيرة شغلته وحيرته ... وان كانت الفلسفة الاغريقية قد قدمت له التفسير العقلى لنموه ومعنى وجوده ، واذا كان العلم الاغريقى قد فتح أمامه معنى البحث والاستنباط والمعرفة ، فان الميثولوجيا الاغريقية لاشك كانت المعين الحقيقى الذى استمد منه التفسير الوجدانى لمعنى وجود الانسان ، وصراعه من أجل هذا الوجود ... ونحن نستطيع ان نقول ان الارتباط بالميثولوجيا الأغريقية كان الأساس الذى قام عليه الوجدان الجمعى لأمم الغرب ، كما أنه كان الأساس لمحاولات الافراد الافذاذ فى دنيا الانتاج الفنى بعلمه ، والأدبى على وجه الخصوص ...

انتماء الأديب

وقد ظل ابتعادنا عن المجمعات الشعبية العربية الكبيرة كمصدر أساسى من مصادر العطاء الفنى ، صاحب تأثير حقيقى على فهمنا لما أعطاه الأدباء من انتاج أدبى منذ عصور الأدب العربى الأولى وحتى الآن ... وقد لون هذا الابتعاد احكامنا النقدية على الأدب والأدباء ، بحيث سطح هذه الأحكام وربطها بظروفها الضيقة من بيئة وأحداث تاريخية وواقع معاش ، دون ان يعمقها العمق الانسانى الكافى ، ودون ان يربطها ربطاً عضوياً وحقيقياً بالضمير الشعبى العربى منذ لحظات تكونه الأولى ، وعلى مدى التطور والتفاعل والتغير الذى تعرض له هذا الضمير من عصر الى عصر ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مرحلة الى مرحلة معاشة الى مرحلة اخرى معاشة ... ولعل انتهاج نقادنا للمنهج السياسى فى تقسيم عصور الأدب أكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانسانى من ناحية ، وعلى مقدار ما فى احكامنا على العطاء الأدبى من سطحية واكتفاء بالظواهر الخارجية للأشياء من ناحية أخرى ، وقد أثر هذا على مفهومنا للأدب نفسه ، إذ ربطنا الانتاج الأدبى بالتغير السياسى ، وكان معنى هذا أن يستجيب هذا الأدب استجابة مباشرة لكل تغير سياسى يطرأ على حياتنا ... وكان معنى هذا أيضاً اننا نطلب من الأديب أن يكون فى خدمة التحرك السياسى ، فهو منتم سياسياً شاء أم لم يشأ ، يسقط بسقوط الدولة التى ينتمى اليها ، ويرتفع بارتفاعها ... وهوفى كل حال من الأحوال يوجه أدبه للدفاع عن كل ما تمثله هذه الدولة . وهو ان لم يوجه هذا الأدب باختياره فهو ـ على كل حال ـ مطالب بهذا ، لكى تتاح له فرصة الحياة داخل هذه الدولة ...

الحياة لن تقهر

وهذه النظرة لا تربط الأدب بوجدان الانسان ، ولا تعتبره سياحة ذات هدف انسانى داخل أعماق الوجود الانسانى نفسه .

انتهاج نقادنا للمنهج السياسى فى الأدب أكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانسانى

ارتبط الأدب الشعبى بكل الموروثات العربية القديمة التى حملتها الشعوب الوافدة





وهذه النظرة لا تنظر للأدب كوسيلة رئيسية من وسائل الكشف عن مكونات هذه النفس ، وأغوارها المظلمة البعيدة عن مجال الرؤية السطحية الظاهرية للأشياء ، وهذه النظرة ايضاً لا تعتبره وسيلة تربية الانسان الانسان ، لا الانسان المرتبط برأى سياسى أو موقف سياسى معين ... بمعنى أنها الوسيلة الى الوجود الصحى المتطور للانسان بشكل عام فى كل عصر ، وتحت كل الظروف ، وهى التى تجعل استمرار حمل المشعل الحضارى من يد الى يد امراً حتمياً ، وهى التى تجعل انتقال هذا المشعل اضافة جديدة باستمرار الى الضوء الذى يتغلغل فى قلب الانسان ، ويزيد حياته نوراً ومعنى ، ويزيد وجوده فوق الأرض جدوى وصلاحية ... بل إن هذه النظرة لا تستطيع ان تبعد بتطلعها الى أبعد من واقع حياة معينة تعيشها لفترة زمانية لا شىء وراءها ... الانسان فيها مجرد اداة للبقاء والقوة فى هذه الحياة المعينة القصيرة البقاء والقاصرة النظرة ... واى تطلع الى أمام انما هو مرسوم بمدى حياة دولة أو قوة ، وأى تطلع الى خلف فانما للقضاء على كل ما يذكر الناس بالحياة التى سبقت ، أو الدولة التى سلفت ، أو القوة التى تم القضاء عليها ... فهناك عداء دائم لكل ما مضى ، وهناك خوف دائم من كل ما سياتى ، وهناك باستمرار محاولة لكى تكون هذه القوة الحاكمة هى البدء وهى المنتهى ايضاً ... وليس هكذا الانسان ، ولا هو خلق لكى يكون محصوراً بارادة فرد أو أفراد منه ، وانما هو تيار لا يتوقف ونهر دائم الجريان ، ودائم التجديد ، يتمرد على كل سد ، ويكره كل محاولة لوقف تسلسله وجريانه . وهو يتمرد على هذه المحاولة ويهزمها ، ويطيح بها ان اخرت مسيرته ، وإلا توقف وجف ماؤه ، وانتهى مجرد حفرة ممتدة تملؤها الرمال وتحكى عن قصة حياة غبرت وانتهت ... ومع هذا فان الماء الكامن فى بطن الأرض لا يموت بموت النهر ، وانما هو يصارع حتى يجد له مخرجاً جديداً الى سطحها ، ليشق لنفسه مجرى جديداً فوق أرضها ، يؤكد أن صانع الحياة لا يريد لها أن تقهر ، ولا ان تجف ، ولا ان تتحول الى موات وبقايا وجود ..

الانسان المشارك

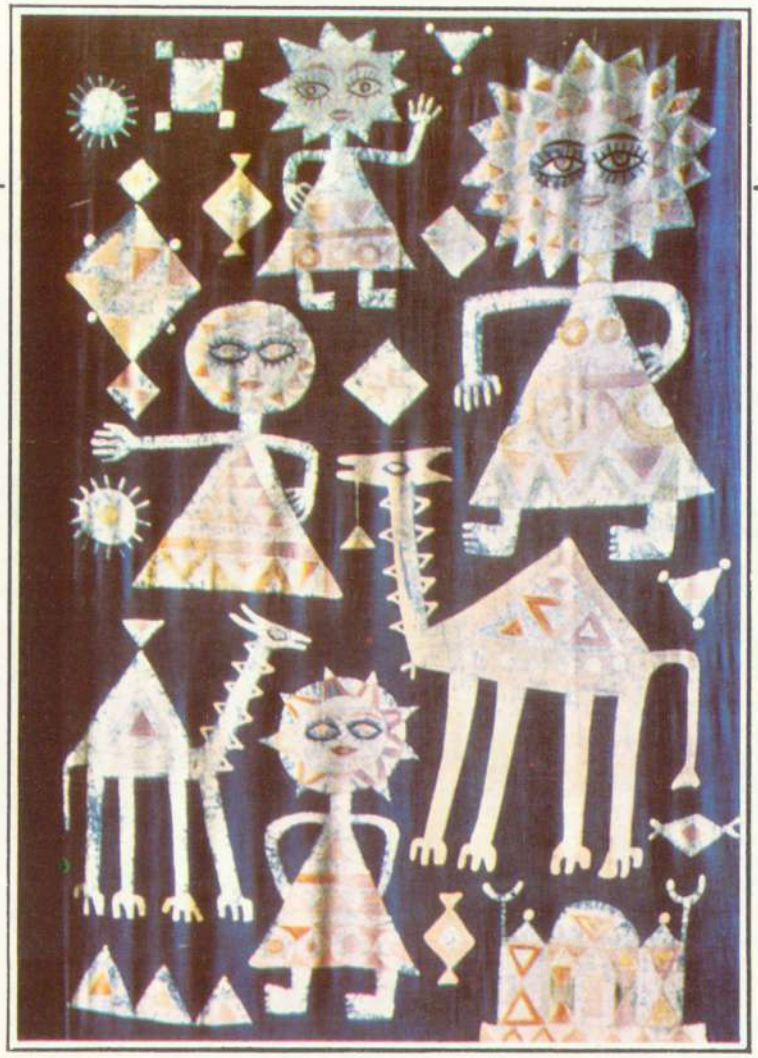
وفى الوقت الذى اتجه فيه أدب الشعب الى الابداع ـ فى عصور ما بعد الاسلام ـ معبراً عن الانسان العربى الجديد ، فى تطوره الذى امتزجت فيه أجناس وراء أجناس ، وشعوب وراء شعوب ، فى هذا المزيج المتجدد ، الدائم التجدد ، الذى نسميه الشعب العربى أو الشعب الاسلامى أى تسمية تشاء وهو استطاع أن يفلت من هذا الحصار المضروب عليه ، وأن يصل نفسه بالنهر المتجدد دوماً ، وأن يكون جزءاً من تجدد هذا النهر واستمراره ، وجزءاً من الاضافة الدائمة التى تجعل من مائه تدفقاً لا ركوداً ، وحيوية لا سكوناً آسناً .. وبهذا ارتبط هذا الأدب الشعبى بكل الموروثات القديمة التى حملتها هذه الشعوب الوافدة الى النهر العربى ، كما ارتبط بكل الموروثات العربية القديمة التى استطاع ان يقفز اليها ، وان يرتبط بها ، بما استجد فى أعماقه من معطياتها وآدابها وقيمها ..وكون من الاثنين وجوداً حياً متصلا يرتبط بالانسان الانسان ، لا انسان عصر أو عنصر ، ولا انسان حزب أو دولة ، ولكن الانسان العربى من حيث هو انسان مشارك فى اكتشاف الوجود الانسانى بالبحث الدائم عن أعماق الوجدان الانسانى ، وكشفه والتعبير عنه ، واثرائه بعامة على وجه الخصوص .

أين واقع البيئة ؟

وفى نفس الوقت تسللت الكثير من هذه المترسبات الى فن الأفراد الأفذاذ من أصحاب التعبير الرسمى ، أو من أصحاب الأدب المعترف بهم ، رغم كل الحواجز والمحظورات ... وظهرت فى اشعارهم ورسائلهم وفصولهم هذه الاحالات الواضحة ، وهذه الرموز الغامضة الى المأثور الشعبى المتوارث القديم ، واختلطت فى هذه الاحالات الموروثات السامية بالموروثات الآرية الحامية ، وامتزجت فى هذه الاحالات والرموز والاشارات متبقيات العقائد ، وأساطير الأماكن ، وأساطير الحيوان ، وبقايا الحكايات عن القوى المجهولة ، ومحاولة التعرف عليها ، والتلاؤم بينها وبين قدرات الانسان المحدودة ... ولكن اذا كان الأفراد الأفذاذ من أبناء الأدب العربى قد وجدوا أنفسهم بحكم طبائع الأشياء جزءاً من تيار الانسانية المتدفق ، يستعينون فى تفسير وجدانهم بالاحالة على ما ترمز اليه حالات هذا الوجدان من

وجدان الانسان العربى
فى الفن الشعبى





موروث شعبى يفسره ويعمقه ويثريه ، فان النقاد والدارسين ، ورجال البلاغة ودارسى الأدب ، لم يلتفتوا الى هذه الظواهر الالتفات الكامل المثمر ، بل لعلهم فى العصور المتتالية الكثيرة ـ لم يلتفتوا اليه على الاطلاق . وظلت الاحالات الكثيرة الموجودة فى الشعر الذى أطلقوا عليه اسم الشعر الجاهلى دون تفسير الى الآن . وظلت اسماء الأماكن التى اختار الشعراء ان يذكروها فى شعرهم لا يعقب عليها دارسو هذا الشعر إلا بأنها أسماء أماكن ، أما لماذا اختارها الشاعر بالذات ، وفى هذا الموقع بالذات ، فسؤال لم يخطر على اذهانهم . بل لقد ذهب بعضهم الى اخراج أبيات كاملة من قصيدة لشاعر لأنه لم يستطع ان يفسر بيتاً فيه مثل هذه الاحالات ، كأبيات امرىء القيس حول ناقف الحنظل مثلا ... واختفاء هذا النوع من الدراسة قد جعل من شعر هؤلاء مجرد عطاءات مسطحة لا نفهم منها إلا المعنى السطحى الواضح الذى يرضاه أصحاب اللغة لا اصحاب الفن ... وأمكن بهذا ان يتحدث نقاد الشعر عن أغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء ، كمسلمات ثابتة لا نكران لها ، ولا مناقشة فيها ، وكأن الشاعر لا يجد ما يريد ان يعبر عنه ، وإنما كأنه يوظف شعره لخدمة هذه الأغراض المسطحة التى توظف الشعر توظيفاً سياسياً أو اجتماعياً ، دون أن تتعمق أهدافه الحقيقية كأداة لكشف وجدان الانسان وتعمقه ، وربطه بجذور الانسان الذى اتخذ الكلمة وسيلة للتعبير عن أشواقه وأحلامه ، لا مجرد أغراضه الحياتية الآنية المعاشة من فترة الى فترة ... ونحن نادراً ما نسمع عن شاعر التشاؤم ، أو شاعر السخرية ، أو شاعر القتامه ، ولكننا دائماً نسمع عن شاعر المدح أو شاعر الفخر أو شاعر الحماسة ... وفرق كبير فى الواقع بين النظرتين

أثر الوراثة

وكان خطأنا الثانى أننا حاولنا أن نعزل الموروث العربى عن الموروث الحقيقى للشعب الاسلامى المتكلم بالعربية .... كما اننا قصرنا هذا الموروث على المنطقة الاسلامية من تاريخه ، أو ما قبلها بقليل ، رغم أن هذه المنطقة لا تمثل إلا جزءاً واحداً من الأجزاء التاريخية التى كونت موروثه الثقافى منذ لحظة استشعاره لنفسه فوق الأرض .

ونحن نستطيع أن نلمح آثار كل هذه المناطق الجغرافية والتاريخية فى الكم الهائل من المتبقيات الأسطورية التى تسللت الى كتب التفاسير والتاريخ ، وهى بقايا أسطورية لا تنسحب الى الماضى الأسطورى العربى الجزيرى وحده ، وانما هى تنسحب على الماضى الاسطورى لأبناء المنطقة جميعاً .. كما اننا نلمح نفس الموقف بالنسبة للمتبقيات من الحكايات الخرافية والملاحم والسير ، فهى لا تمت الى التحرك التاريخى لأبناء المنطقة جميعاً أيضاً .. ففعل الوراثة ، وفعل التزاوج وفعل الاحتكاك ، مع وجود

- **نحن نادرا ما نسمع عن شاعر التشاؤم أو شاعر السخرية**
- **الانسان العربى عاش حياته متفتح الوجدان .. صافى العقل والقلب**



التراكم الفولكلورى المستمر اسهم فى تكوين هذه الحصيلة الهائلة من الأدب الشعبى على مختلف فنونه

كما أننا نعثر أيضاً على هذا المزيج من الموروث القولى الفولكلورى المرتبط بالعادات والتقاليد التى يفرزها مجتمع الصحراء ، ومجتمع الزراعة ومجتمع الرعى ، ومجتمع المدينة ومجتمع النهر ، ومجتمع البحر ، حول كل ما يمس الانسان ، وحول كل ما يرتبط بحياة الانسان من مظاهر

الشخصية العربية

ولا عجب اذن ان كان لكل جبل فى الأرض ، ولكل ثنية شاطىء متاخم للبحر ، من الحكايات والتفسيرات والتعليلات ، ما يملأ ، الموروث العربى بثراء لا مثيل له . ونحن نعثر على الحكايات حول الأماكن والمدن ، بل وحول النباتات والحيوانات ، وحول النجوم والكواكب ، وحول الظواهر والتغيرات ، ما يرتبط بكل هذه الموروثات جميعاً ... ونحن بالتالى نحس ان الانسان العربى لم يعش حياته فى عزلة عن الكون وعن البيئة ، وعن معطيات الكون والبيئة ، بل عاش حياته مفتوح العينين ، متفتح الوجدان ، صافى العقل والقلب ، يلتحم مع الحياة ومظاهرها التحام المعايش ، والتحام المشارك ، والتحام الفاعل المغير والتحام المتمرد الذى ينشد الأفضل دائماً ، والمفكر الذى يبحث عن المعنى دائماً ، وصاحب الشوق الذى يتجه الى مصدر شوقه دائماً ...

ان هذا الثراء الفذ يعكس بلا شك ثراء الشخصية العربية ، ويرسم أهمية دورها الحضارى فى بناء الانسان ، ويهدم كل ما قيل على ألسنة المغرضين من المستشرقين ... حول الشخصية العربية ، وحول فكرها ، وحول دورها الحضارى ... فهذه المساهمة فى إثراء الوجدان الانسانى بكل هذا المعطى الشعبى الثرى والمتنوع والعجيب ، صبه بدون شك فى شخصية الانسان كانسان على مراحل تاريخه منذ لحظة وجوده البدائى الأول وحتى اليوم . والكشف عن هذا العالم الذى يقدمه لنا الأدب الشعبى العربى ، كشف عن الدور البارز الذى قام به الانسان العربى فى بناء الوجود الانسانى المتطور والمتحرر من اسار المعوقات التى حاولت أن تعوق تطوره عبر التاريخ ...

ويوم ننجح فى الكشف عن حقيقة وجدان الانسان العربى بالدراسة المتانية لجزئيات أدبه الشعبى ، سننجح فى اعادة قراءة أدبه قراءة صحيحة ، لنفهم الاضافات التى يحققها هذا الأدب ، ولنفهم حقيقة معاناة الشعراء والأدباء الذين اخفت الدراسات اللغوية والبلاغية المسطحة ، حقيقة أعماقهم الثرية الحافلة .

وسننجح أيضاً فى فهم حقيقة الإنسان العربى ، وحقيقة دوره كأحد بناة الحضارة الانسانية .

فاروق خورشيد

د. حسين مؤنس

أبو بكر بن عمار
الشاعر الملعون

الشعر نفحة من نفحات الجمال والصفاء ، والشعر الصادق لا يصدر إلا عن نفس صافية وروح فياضة بالخير والجمال . والشاعر قد يزل ويخطىء وقد يرتكب ما يشين ، ولكنه لا يؤذى إلا نفسه ، فقد يسرف على نفسه فى شراب أو لهو ، وقد يدمن على مكروه ، ولكنه لا يجنى بذلك إلا على نفسه ، ونادراً ما يؤذى غيره .

والشاعر يحقد ويذم ويحمل على غيره ، ولكنه اذ يفعل ذلك إنما يدفع عن نفسه أو قبيلة ، فالشاعر بطبعه انسان ضعيف أو رقيق ، وقد تغرى هذه الرقة غيره بالعدوان عليه فيضطر الى الدفاع عن نفسه ، ولكنه يظل دائماً شاعراً وانساناً رقيقاً مرهف الحس ، وهذا ما تحس به وانت تقرأ شعر الهجاء أو النقائض ، فقد يفحش الشاعر فيها ولكن دفاعاً عن النفس أو عن غير قصد

رغم موهبته النادرة

ولكن عندنا فى العربية ، ومن بين شعراء الأندلس شاعر حقت عليه اللعنة فعلا . لقد رزقه الله شاعرية قل ان نجد لها مثالا حتى قال فيه ابن بسام الشنترينى صاحب كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» إنه شاعر الأندلس دون مدافع ، وهو بالفعل كان كذلك . كان كما يقول الفرنسيون عن لامرتين : يتنفس الشعر ، وكان لا يتكلف قوله وإنما يصدر عنه فيض الخاطر كما يتدفق الماء من نبع صاف فى الجبل .

ومن عجائب خلق الله أنه أودع قلبه الى جانب هذه الشاعرية نفس شيطان ، فهو انسان شرير فاسد حقاً ، وانت مهما تقلب فى نفسه ، فان يدك لا تخرج إلا بما يسوءك ، فهو جشع طماع حسود منافق وكذاب وخوان ، وهو مع ذلك «خليع العذار مهتوك الستر .. كما يقول عنه ابن خاقان ، ولهذا ، وعلى رغم موهبته النادرة التى رفعته مرة الى مراتب الوزارة بل الامارة ، إلا أنه ظل رغم ذلك فقير النفس متسول الروح ، ظل عمره كله قميئاً مستهجناً تقتحمه العيون وتطول عليه الالسنة ، ونظر إليه الناس جميعاً حتى كونت برشلونة وملك قشتالة النصرانيين ـ نظروا إليه على أنه انسان زرى غير محترم غير أهل للثقة . ومن هنا ، وعلى رغم ما رأى من العز والرفعة رأى من الهوان والتعذيب اضعاف ما رأى غيره وحمل مرة على ظهر حمار من مرسية الى قرطبة مسافة ثلاثمائة كيلو متر ورجلاه فى جانب وصدره ورأسه متدليان على الجنب الآخر ومع ذلك ، وهو فى هذا الوضع المستحيل نظم شعراً جميلا فى الاستعطاف ، وسناتيك بطرف منه بعد قليل ، وانتهت حياته على أسوأ صورة : قتله صاحبه القديم محمد بن ابى عماد الملقب بالمعتمد صاحب اشبيلية ، وكان شاعراً ـأيضاً ـ قتله بالفريزين وهى آلة تشبه الفأس ذات حدين قاتلين ، قتله فى سجن مظلم ومازال يضربه حتى برد ، ثم حمل فى غراره «كأنه عدل تبن» كما يقولون ، والقى به حيث تلقى القمامات ، ومع هذا فما حزن عليه أحد ولا أسف عليه انسان فمضى كما يقول ابو محمد بن قاسم الشلبى الذى أرخ له «من لعنة الدنيا الى جحيم الآخرة» .

عصر الأشجان

ذلك هو ابو بكر بن عمار شاعر الأندلس فى عصره وهو عصر الطوائف ، وكان العصر كله عصراً لا يصدق ، فقد بدأ القرن الحادى عشر الميلادى والأندلس فى ذروة مجده وقوته ، وعلى رأسه جبار من جبابرة الأرض هو محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور الذى والى الغزوات على ممالك الأعداء فى شبه الجزيرة حتى ذلت بين يديه ، وأصبحت قرطبة فى أيامه عاصمة أوروبا ودرتها وزادت عمراناً واتساعاً وموارد خير مما كانت عليه أيام فخر خلفاء الاسلام عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) فقد كانت جيوش المنصور تغزو مرتين فى العام وتعود الى قرطبة محملة بالسلب والمغانم ، ولكن المنصور محمد بن أبى عامر لم يذل الأعداء فحسب بل أذل الأهل وقسا عليهم، فقد نشأ فى ضعة وظل يدفع الناس بالمناكب حتى قبض على دفة الحكم فى الأندلس ، وملكه الخوف على ما بيده فمازال بالأحرار وأصحاب الحق من أهل البيت المروانى حتى لم يبق فى الأندلس سواه ، وملأ القلوب أحقاداً ، والقى البغضاء فى قلوب الناس وقسم جيش الدولة قسمين متعاديين ، فما ان توفاه الله سنة ١٠٠٣ ميلادية حتى قامت الفتنة ولم تقعد قط ، ودخلنا فى عصر الطوائف الاسيف ، وانفرط عقد الوحدة وانتثر النظام وصارت الأندلس قطعاً وشظايا وحطاماً تسمى ممالك ، وتربع على حكومتها رجال ممن تربوا فى مدرسة ابن ابى عامر ، فلم يعرفوا إلا الأنانية والبغضاء ، وانتهز الفرصة ملوك النصارى فى الشمال فأقبلوا يأخذون بثأرهم ، وجعلوا يسقون الأندلسيين من نفس الكأس التى سقاهم منها المنصور .

وفى يوم اسود من أيام سنة ١٠٨٥ م استولى الفونسو السادس ملك قشتالة وليون على طليطلة دون ان يسل سيفاً ، بل اخذها أخذاً وأهلها ينظرون لأن أميرها المسلم وهو المأمون بن ذى النون مهد الطريق لضياعها ، وكانت ولاية طليطلة ربع مساحة الأندلس الاسلامى وكانت تمتد من وادى تاجه الى مشارف الوادى الكبير وهو نهر قرطبة واشبيلية . وفتح ملوك الطوائف عيونهم فاذا بمملكة

قتلوه فى سجن مظلم، وألقوا به حيث تلقى القمامات !

قشتالة التى كانت بالأمس لا شيء أصبحت اليوم كل شيء ، فضمتهم جميعاً واطلت عليهم بفرسانها تطالبهم أن يؤدوا لها الجزية صاغرين . وصاغرين أدوا لها الجزية . وملك الناس الورع واشتد بهم الفزع وتحولت ماساة الأندلس إلى داء عضال لا شفاء له قط .

فى بلاط المعتمد

فى ذلك العصر الحافل بالاشجان والمآسى عاش أبو بكر بن عمار فى بلاط ملك صغير من ملوك الطوائف هو المعتمد ابن عباد ، وأقول صغيرالأنه كان بالفعل أميراً صغيراً لا يملك من الجند إلا بضع مئات من الفرسان يضرب بهم على جيرانه من المسلمين ، ولا يجرؤ على أن يواجه ملك قشتالة فى معركة ، إنما كان يبعث اليه بالجزية صاغراً . ولهذا المعتمد صوت بعيد فى التاريخ الأندلسى لأنه على خصاصة حاله وقلة ماله كان يظهر بمظهر الملوك ويتحالى امام الناس بظاهر من الترف كاذب مسروق ، وكان شاعراً على علاته ، يصيب مرة ويخيب مرات ،ولم يجد شعره إلا بعد ان خلعه المرابطون عن ملكه التعيس ونفوه الى اخمات جنوبى مراكش ، فمضى يبكى نفسه ويرثى حاله فى شعر صادق حقاً حتى وافته المنية .

من الفقر الى العبث

عرف أبو بكر بن عمار واسمه الكامل محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهرى محمد بن عياد فى مطالع شبابه ، وأصله من قرية من قرى شلب فى البرتغال الحالية تسمى شنبوس ، ونشأ كما يقول مترجمه ابو محمد بن قاسم الشلبى «خاملا ينتجع بشعره ، ويطوف على ملوك الطوائف فى عصره» ، وكان يقصدهم على سبيل الكدية والتسول فربما عهدوا اليه فى تعليم أولادهم ، ومن بين من قصدهم عبد الرحمن بن طاهر صاحب مرسية ، فكان يجلسه فى دهليز داره ويرسل إليه الغلمان ليقرئهم لقاء دريهمات .

وبعد أن طوف ابن عمار بنواحى الأندلس عاد الى شلب خاوى الوفاض خائب المسعى ، وعاش فى خمول غير مدرك ان حظه فى سبيله اليه ، فما هو إلا قليل حتى أرسل المعتضد بن عباد ابنه وولى عهده محمد المعتمد الى شلب فى بعض شانه ، فلم يكذب ابن عمار ان سارع اليه ، وخف على نفسه لأول لقائه إياه ، ووجد محمد بن عباد فى هذا الشاب الفقير أنيساً فى ذلك البلد ، ثم تنبه الى شاعريته ، ومضى الفتيان يتقارضان الشعر حتى أصبحا قرينين حميمين . وتحسنت حال ابن عمار ولبس الثياب الطيبة وجرى المال فى يده . وكان فى المعتمد ميل الى العبث فوجد فى ابن عمار خير معين على ما طلبه ، وصار ابن عمار تسليته ونديمه حتى لقد غاب عنه ليلة فكتب اليه :

قد زارنا النرجس الذكى
وحان من يومنا العشى
ونحن فى مجلس أنيق
وقد عطشنا ، وثم ري
ولى خليل غدا سميى
يا ليته ساعد ، السمى

فأسرع اليه ابن عمار وقال على نفس الروى :

لبيك ، لبيك من مناد
له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن
قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم
شرفته أنت والنبى

الصعود للقمة

ثم توفى المعتضد بن عباد سنة ٤٦١ هـ . وخلفه ابنه محمد وتلقب بالمعتمد ، فاخذ معه صاحبه ابن عمار وجعله وزيره ثم ثنى له الوزارة فاصبح المؤدب الفقير يلقب بذى الوزارتين ، وغدا صاحب رأيه لا يصدر شيء منه إلا عن أمره .

كان يتنفس الشعر ، ولكنه فقير النفس متسول الروح !

ولكن ابن عمار كان كافراً بالنعمة لا يعرف شكر الجميل ، وهو من يوم صار صاحبه أميراً أصبح يفكر فى أن يكون هو أميراً أيضاً على أى بلد من بلاد صاحبه ، وكانت الامارة قد هانت فى ذلك العصر حتى تقلدها فى ذلك الأندلس القاعس صعاليك حقاً ، وكان ابن عمار يستطيع أن يصل الى ما يريد دون حاجة الى غدر ولكن الله خلقه خلياً من كل خلق ، عارياً من كل خلة طيبة . فكان يجالس صاحبه وينادمه وهو يتحين الفرصة ليسلبه شيئاً ، وكانه كان يحس أن صاحبه يطلع على ذات نفسه ، فقال ذات مرة انه عارف انه سيموت على يديه .

وجعل ابن عمار يزين للمعتمد أمر الاستيلاء على مرسية من يد صاحبها ابى عبد الرحمن بن طاهر ، وكان مترسلا بليغاً ، وكان ابن عمار قد عرفه وأدب ولده واطلع على حاله ، فما زال يزين للمعتمد أمر الاستيلاء على مرسية حتى استجاب لرأيه وارسله على رأس قوة من الفرسان استولت على البلد بمداخلة نفر من أهلها ، وأصبح ابن عمار نائباً عن المعتمد .

وما كاد ابن عمار يصل الى هذه الامارة حتى بدا يدبر الأمر للانفصال عن صاحبه وسيده ، واتخذ هيأة الأمراء ، وصار يخاطب المعتمد مخاطبة الند للند ولبس ملابس الأمراء واتخذ الفرسان يستعين بهم على حاله من بينهم رجل يسمى عبد الرحمن بن رشيق . فاستوزره وفوض له أمره .

الهروب للصديق

وكان الذى يسر أمر مرسية لابن عمار هو صاحبه هذا عبد الرحمن بن رشيق ، وكان فى الخيانة صنو ابن عمار ، فمازال يعزل رجال ابن عمار عن الحصون واحداً فى أثر واحد حتى جاء يوم اكتشف ابن عمار ان الرجل قد أحاط به واستولى على البلد من يده ، لأن رجال الحصون كلهم ورؤساء الجند جميعاً كانوا قد أصبحوا

الشاعر الملعون

من رجال ابن رشيق . وكان المعتمد يرى خيانة ابن عمار ويحاول أن يستعيد صدقه واخلاصه فكتب إليه مرة :

تغير لي فيمن تغير حارث
ورب خليل غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما
نعمنا وما بيني وبينك ثالث

فيكتب اليه ابن عمار وهو يعلم انه كاذب في كل ما كتبه :

لك المثل الأعلى ، وما أنا حارث
ولا أنا ممن غيرته الحوادث
ولا شاركتك الشمس في وإنه
لبنائي يحظى منك ثان وثالث
فديتك ، ما للبشر لم يسر برقه
ولا فتحت تلك السجايا الدمائث
أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته عني الرجال الأخابث
ولكن ظنون ساعدتها تمائم
كما ساعدت صوت المثاني المثالث

وختم قصيدته يقول :

ستذكرني إن بان حبلي وأصبحت
تئن بكفيك الحبال الدثائث
وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
وقد غاب مني للخواطر باعث
أعود بعهد نطقه، بك أن ترى
تحل عراه العاقدات النوافث

وعندما أحس ابن عمار انه اصبح بلا سند في مرسية وان ابن رشيق غدره خرج منها هارباً ، ومر في طريقه ببلنسية وفيها صاحبه أبو بكر بن عبد العزيز أميراً ، وكان ابن عمار قد تنكر له أيام امارته على مرسية ، فلم يحفل له ابن عبد العزيز وأخرج للقائه رجلا استجهله ، فكتب اليه :

نفاهيتم في ترنا لو سمحتم
بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلسلتم راح البشاشة بيننا
لو انكم ساعدتم بنديم

ثمن الشاعر

سألتمس العذر الجميل عن العلا
وأحتال للفضل احتيال كريم

وذهب ابن عمار الى ابن اذفوقش ـ أي الفونسو السادس صاحب قشتاله يطلب منه عوناً على ابن رشيق ، فسخر منه الفونسو وقال له : يا ابن عمار ! مثلك مثل السارق ، سرق السرقة فضيعها حتى سرقت منه ! ..

فتركه ومضى الى لارده من مدن شمال غرب الأندلس يطلب عون صاحبها المظفر حسام الدولة بن سليمان المستعين بن هود، فلم يطق منه اقبالا ، فخرج منها وبكى نفسه بقصيدة مطلعها

على ، وإلا ما بكاء الغمائم
وفي ، وإلا ما يناح الحمائم

وأقام الى جواره في خمول . وكان المعتمد ابن عباد قد طلب ابن عمار ووعد من يأتيه به بمكافأة سخية .

واتفق أن ثار على المؤتمن بن هود بعض رجاله ، وانتزى بأحد حصونه ، فضمن له ابن عمار استنزاله ووفق في ذلك ، فرضي عنه المؤتمن وخاطب في أمره المعتمد فرضي عنه بعض الشيء ، أو لعله تظاهر بذلك .

وحدث أن اقبال الدولة على بن مجاهد صاحب بلنسية استعمل ابنه سراج الدولة على معقل شقورة سنة ٤٦٨ هـ . فناب عن نفسه عبدين من عبيده ، وكانت الخيانة قد غلبت على رؤساء الأندلس جميعاً ، فسعى هذان العبدان في بيع الحصن لمن يدفع أغلى ثمن من رؤساء الأندلس ، فسارع ابن عمار ووعد المؤتمن بن هود بأن يخدع العبدين ويأخذ الحصن له .

وسار بالفعل مع نفر من الفرسان . وكان مصعد الحصن ضيقاً ، فصعد ابن عمار ومد أحد العبدين يده فرفعه ، ثم أغلق الباب وصرف الفرسان ، وأرسل للمعتمد ابن عباد يُبلغه خبر حصول ابن عمار في يده ، وسأله ان يرسل له الثمن ليسلم إليه الشاعر التعيس .

رحلة السقوط

وأرسل المعتمد ابنه الراضي مع الفدية الى شقورة فقبض العبدان الفدية وسلما ابن عمار ، فحمل على بغل أو حمار ، ومضى به الراضي إلى اشبيلية والمسكين مدلى على البغل ورأسه الى أسفل ورجلاه في الناحية الأخرى ! وعلى هذه الحالة استطاع هذا الشاعر الموهوب الملعون أن يقول شعراً جميلا :

قالوا : أتى الراضي ، فقلت لعلها
خلعت عليه من صفات أبيه
فال جرى ، فعسى المؤيد واهباً
لي من رضاه ومن أماني أخيه
قالوا : نعم ، فوضعت خدي في الثرى
شكراً له ، وتيمنا ببنيه
يا أيها الراضي ، وإن لم تلقني
من صفحة الراضي بما أدريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين
بذل الشفاعة أي عذر فيه ؟
سهل على يدك الكريمة أحرفاً
في من أسرت فتنثني تفديه

وقال يخاطب ولداً آخر من أولاد المعتمد يسمى فتح يستشفع به :

بيد من المأمون أوثق عصمة
لو أن أمري في يد المأمون
أمري الى ملك إليه أمره
وكفاه من فوق ، كفاه ، ودون
يا فتح جردها عناية فارس
درب على نصر الولي أمين

وكتب الى ابن ثالث من أبناء المعتمد يسمى الرشيد :

قل لبرق الغمام : ظاهر بريدي
قاصداً بالسلام قصر الرشيد
فتقلب في جوه كفؤادي
وتفاتر في صحنه كالغريد
وانتحب في سلاسل الرعد تحكي
صحبتي في سلاسلي وقيودي
فاذا ، ما اجتلاك أو قال : ماذا
قلت إني رسول بعض العبيد
بعض من أبعدته عنك الليالي
فاجتني طاعة المحب البعيد

وعندما اقترب من اشبيلية وأحس قرب منيته كتب الى المعتمد يستعطفه :

سجاياك ـ ان عاقبت ـ أندى وأسمح
وعذرك ـ إن عاقبت ـ أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية
فانت الى الأدنى من الله أجنح
حنانيك في أخذي برأيك لا تطع
وشاتي ، ولو ثغوا على وافصحوا

وهي طويلة ختمها بقوله :

نعم ، لي ذنب ، غير ان لحلمه
صفاة يزل الذنب عنها . فيصفح
سلام عليه كيف دار به الهوى

• مضوا به إلى إشبيلية
فوق بغل ورأسه مدلى إلى أسفل



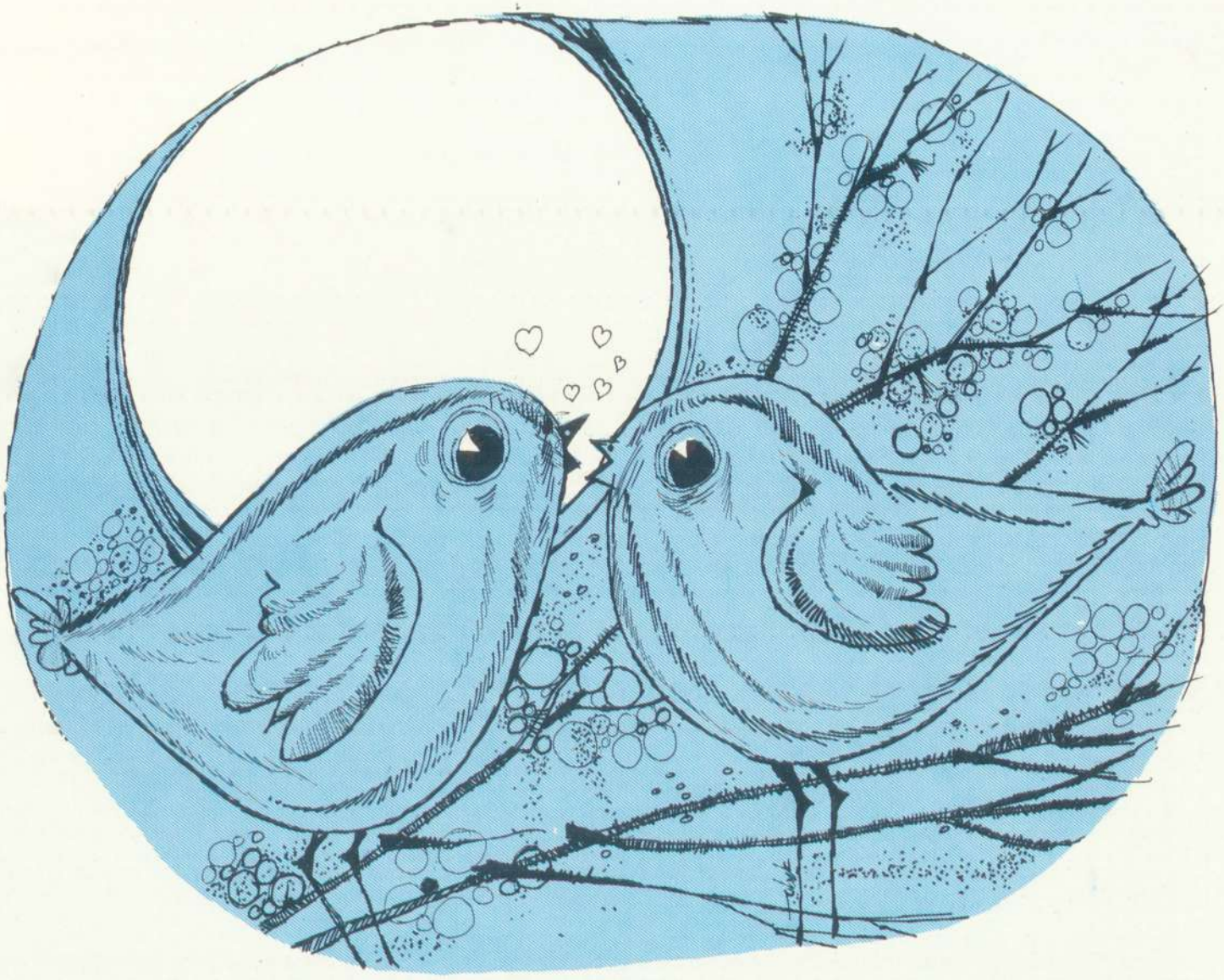
إلي فيدنو ، او علي فينزح
ويهنيه ان مت السلو فانني
أموت وبي شوق إليه مبرح

نهاية الموهوب الملعون

وقرأ المعتمد ذلك كله وعرف أن صاحبه فى ذلك كذاب فأودعه السجن وفكر فى أمره أياماً ، ثم بدا له أن يطلق سراحه ، وبلغ الأمر ابن عمار فى سجنه ، فما أسرع ما تحركت الخيانة فى نفسه ، فطلب ورقتين ، وكتب بالخبر الى بعض أصحابه . وبلغ الأمر المعتمد ، فعرف أن ابن عمار لازال يلعب بذيله ، فظل ليلة واجماً والغضب ملء جوانحه ، حتى اذا انتصف الليل قام من فوره فأخذ طبرزيناً ودخل عليه ، ففزع -كما كان فى قيوده- إلى تقبيل رجليه ، فضربه به ، ثم أمر به فأجهز عليه !

وهكذا انتهت حياة ذلك الشاعر الموهوب الملعون !

د. حسين مؤنس



شتات الأوهام

شعر : عبد الله جابر

جنيتك من دمى وحنين ذاتي
وهامت فى سناك ظنون فكري
اتلفنى كل احشائي عذابا
اغثني ثم اسرف فى وصالي

سقيتك من هوى ملء الحياة
وما قربت الى شط النجاة
وتحرق فى شجون الذكريات
فاني قد سئمت من الاناة

• • •

بك الايام كانت فى حياتي
وتحبو فوق احلام سراع
كانك فى صدى الاوهام همس
بحبك قد ملكت شباب عمرى

تمر على ثوان باسمات
نسجت بها خيال الامنيات
اعاد إلي بعضا من شتاتي
وما ابقيت شيئا من حياتي

• • •

جنيتك من دموعي فى المآقي
فهل ابكي وانت تبيح هجري
وإنى لست اطلب منك عمرا
فلا الاحلام تسكن نار حري
وبعدك فجر ايامي ليال

وحبك فى الفؤاد لظاه باقي
والقى بين نيران احتراقي
فقلبي مات من يوم الفراق
ولا الآلام تهدا باشتياقي
يضيء ظلامها نور التلاقي



سيد على شعبان

قبرص

جزيرة الأحلام والأحزان

إنهم يشعرون بحب عميق للعرب

والسائح العربى لا يشعر بأدنى غربة هناك

مطار لارناكا .. يستقبل زواره بمبناه المتواضع وساحته الصغيرة ، ووجوه رجال المطار يستقبلون زواره بابتسامة عريضة ترحب بكل قادم ، أيا كانت جنسيته ، يسهلون لهم المرور .. ومكتب صغير يقوم بحجز الفنادق لطلابها ، وفنادق قبرص دائما مشغولة ،فمنذ أن احترقت لبنان بنار الطوائف ، واحترقت جبال الزيتون بنار الحقد والانتقام رحل عنها روادها من العرب والأجانب وهجرها محبوها ، ويمموا وجهة قبرص عسى أن يجدوا فيها الروشه الضائعة ، أو ليالى بيروت الساهرة او سواحلها الزاخره بمصطافين من شتي البلاد ، وعلى شواطىء قبرص يلقون بانفسهم فى المياه الدافئة ، تدغدغ حواسهم ، وتلعب بعواطفهم ، وتنسيهم مشقة حياتهم !

وتحرص السلطات القبرصية على أن يرى السائح فى جزيرة قبرص جزيرة حب واحلام ، تغريه بالقاء نفسه فى احضان البحر ، وعلى شواطىء لارناكا وليماسول وفاويولوس ترى سحر الطبيعة ومرح الشباب .. وبالرغم من تواضع شواطىء قبرص اذا ما قورنت بشواطىء الاسكندرية او اليونان او فرنسا الا أن القبارصة اليونانيين يحاولون أن يقدموا كل التسهيلات الممكنة للسائح ،وباسعار تقل كثيرا عن مثيلاتها فى اوربا .

والانسان العربى لا يشعر بالغربة كثيرا فى قبرص ، فكثير من اللبنانيين

قبرص
جزيرة الأحلام والأحزان



اللغة العربية على ألسنة القبارصة

اتخذوا من قبرص وطنا ثانيا لهم ، ويسمع اللغة العربية طوال تجواله وترحاله لا من العرب السواح فحسب بل من القبارصة انفسهم ، فكثير منهم ولدوا وعاشوا فى الاسكندرية ومازالوا يشعرون بالحنين إلى العودة لبلاد النيل والسواح العرب لاينشدون فى قبرص إلا البعد عن متاعب الحياة .

جنة شكسبير

شرقيون وليس فيهم خجل الشرق ، اوربيون وليس فيهم إباحية الغرب المطلقة ، وعلى شواطىء قبرص يشعر الانسان وكانه على شواطىء لبنان او الاسكندرية او المغرب ، فالشواطىء مزدحمة بباعة اللب والفول السودانى ، وباعة الآيس كريم ، والذين يشوون الذرة !

وقبرص التى اتحدث عنها هى الجانب اليونانى من الجزيرة . فالشواطىء غاصة بروادها والأجانب فى قبرص اكثر من اليونانيين القبارصة ، والجزيرة تعد نفسها لاستقبال حركة السياحة التى تضاعفت فى الاعوام الأخيرة فتشهد موانىء قبرص التى سحرت شكسبير حين زارها وتغنى بها طوال حياته .. كلها تشهد حركة عمرانية ضخمة وكانها تسحب البساط من لبنان ، حتى اذا استعاد لبنان اتزانه السياسى والعقلى ، واسترد وجهه الجميل الضائع وجد رواده قد هجروه ونبذوه الى قبرص.

يشعر المرء ببساطة اليونانيين القبارصة وحبهم للأجانب وكرمهم البالغ وحسن استقبالهم لضيوفهم .

ولقد اكتسب القبارصة اليونانيون كثيرا من العادات المصرية فلقد طلت بلادهم تابعة لمصر طوال الحكم الفرعونى ، ثم إبان حكم المقدونيين للاسكندرية واستولى عليها الرومان ، واصبحت تحت السيطرة البحرية العربية ،ثم اصبحت جزءا من ممتلكات الامبراطورية العثمانية حتى سقطت تحت الاحتلال البريطانى ، ولم تهنا قبرص بحريتها قط منذ أن عرفت







الجزيرة طريقها إلى التاريخ .

وهم يشعرون بحب عميق للعرب ، ويعشقون زعيمهم الراحل الأسقف مكاريوس والذى تحول بعد وفاته الى شبه اسطورة ، ترى صورته فى الميادين ، وفى الشوارع على صدور كل الناس ، وإذا ما ذكر اسمه جاشت نفوسهم بعلامات الحب والوفاء ..

ويبدو الموقف الآن وكانه استقر نهائيا ، وبدات الحياة تطمر احزان الماضى ، واتسعت المبانى فى الجزيرة واستغلت اراضيها الشاسعة بالنسبة لعدد سكانها الذى لا يتجاوز ستمائة الف مواطن منهم تسعون الف تركى على حد قولهم .

اللغة العربية

وليس من السهل أن يندمج القطاع التركى من جديد إلى القطاع اليونانى حتى لا يفقد الأتراك حكم انفسهم بانفسهم !

والجزيرة وإن لم تقسم رسمياً الا انها مقسمة فعلياً ويفصل بين الجانبين خط اخضر تحرسه قوات الأمم المتحدة وعلى طول الطرق السريعة بين مدن قبرص والتى يمكن للانسان ان يسافر من اقصاها الى ادناها فى ثلاث ساعات بالسيارة ترى لافتات تشير الى الحدود التركية ويعسكر رجال الحرس الوطنى اليونانى ورجال الأمم المتحدة بالقرب منها ..

- **الحياة فى المرتفعات تحوطها خضرة الغابات ولفحات الهواء البارد**
- **الفلاح يعيش فى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة !**





وحياة القبارصة اليونانيين تعتمد على الزراعة التى تعتمد بدورها على الأمطار والمياه المندفعة من الجبال .. وهم يقومون أيضاً بالرعى ويتقنون الاعمال الخشبية والجلدية ..

وقد فوجئنا بالسائق الذى حملنا إلى جبال ترودوس ، وهويتحدث اللغة العربية بطلاقة ، وحين تساءلنا اين تعلم العربية ، قال انه ولد فى الاسكندرية وانه مازال يحلم بالعودة إليها !

عادات شرقية

سرقت الطبيعة الخلابة انتباهى من حديث السائق ، فقد جادت الطبيعة بخيراتها ، ويرى المرء أشجار الفاكهة والتفاح والعنب والتين قد تفجرت بثمراتها ، والفلاحات يقفن على رأس الطريق يعرضن فاكهة لم تجف بعد مياه التربة منها ، ويحملن معهن أوعية مملوءة بالعسل الأبيض ، بمختلف ألوانه !

والحياة فى المرتفعات تغفلها خضرة الغابات ، وتنعش روادها لفحة الهواء البارد ، ولقد عرفت كثير من الاسر القطرية والخليجية الطريق الى جبال تروتوس فى قبرص ، فالقبارصة يتميزون بطيبة يفتقر لها ابناء أوربا ، والهدوء البعيد عن ضوضاء المدينة يعطى الانسان فرصة نادرة لتسترخى اعصابه .. ويستطيع الانسان بسهولة أن ينفذ الى قلوب الاسر القبارصة ويجاذبهم الحديث ويتبادل الزيارات الودية معهم

وفى احدى قرى جبال تروتوس فى قرية « بلاتريس » اجمل قرى قبرص على الاطلاق ، تعرض النسوة مشغولات ايديهن ، فاعمال التطريز مشهورة فى قبرص ، ويجد السائح متعة كبيرة فى أن يستاثر باحداها ..

ولا يقطع هدوء القرية الراقدة فى احضان الغابة إلا ضحكات السواح وصرخاتهم المرحة فى مداعبات بريئة مع سكان القرية ..

وعلى المنحدرات الجبلية ترقد مطاعم صغيرة وأماكن للاستجمام تماما كما فى جبال لبنان أو فى بلودان بسوريا وتجتمع الاسرة مرة كل أسبوع فى أحد هذه المطاعم ، وقد رأيت اسرة باجيالها الثلاثة احضروا معهم أنواعا متعددة من الطعام ، ويشوى الرجل اللحم فى أسياخ ضخمة ، ولا تشعر أن هناك فرقاً كبيرا بين العرب وبينهم فهم يدخنون النرجيل ، ويتلذذون بالقهوة ، ويلعبون الطاولة بنفس اسمها المعروف فى مقاهى مصر وسوريا ، ومازالت حمية الشرف والدفاع عنه تتصدر عاداتهم ، والأخذ بالثار شىء مالوف فى القرى القبرصية !

بطل الالياذة

ويحاول القبارصة اليونانيون أن يستغلوا المساحات الخالية ويستصلحوها للزراع ويقيمون فيها المساكن الحديثة

ومستوى الفلاح القبرصى مستوى لا يطمح له كثير من مستوى مزارعى الدول النامية ، فالفلاح فى قبرص غالباً ما يملك سيارة وجرارا زراعياً ، ومستواه المعيشى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة التى تشمل البلاد النامية ..

اما الصناعة القبرصية وإن كانت محدودة الا انها بدأت تخرج من النطاق المحلى إلى النطاق العالمى ، وخاصة صناعة الاسمنت القبرصى الذى اثبت جودة عالية ويصدر جزء كبير منه إلى سوريا والعراق وليبيا ومصر .

والمنسوجات القطنية والصوفية واعمال التطريز بدأت تظهر فى الاسواق العالمية وعليها كتب « صنع فى قبرص » بالاضافة الى اشتهارهم باعمال الاثاثات الخشبية والمشغولات اليدوية ، ويقال أن درع « اجا ممنون » بطل الالياذه كان مصنوعا فى قبرص . وأن السيف الذى كان يتمنطق به الاسكندر الاكبر كان صناعة قبرصية .

ولم تنس قبرص أن تقيم متحفاً لفنونها الشعبية فى التطريز يشهد بمدى مهارة اليد الفنية القبرصية ومدى تمتعها بخيال خصب مشوب بروح مرحة .

والحكومة القبرصية كما يبدو تضع آمالها فى تطوير السياحة ببلادها فتقدم كل التسهيلات الممكنة للسائح ، وربطت شبكة اتصالاتها الهاتفية مباشرة بشبكة اوربا مما يسهل لأصحاب العمل انجاز اعمالهم وللسائح إخطار اهله واسرته بمكانه او الاستنجاد بهم إن اغرته طبيعة قبرص بانفاق كل ما يملك !

وقد حاولت الدخول الى القطاع التركى من الجانب اليونانى فلم افلح ، ورفضت القوات الدولية ان تستاذن الجانب التركى ، وكان هناك حصارا على القطاع التركى حتى لا يدخله السواح واستدرت خائباً للقطاع اليونانى أقضى بقية أيامى ، لأحاول فى المرة القادمة أن اتوجه مباشرة إلى القطاع التركى فى جزيرة قبرص ، لاستكمل كل جوانب الحياة فى جزيرة الاحلام والاحزان !

سيد على شعبان

المسابقة

حل مسابقة من . أين . ما

العدد «٥٧»

من : الشاعر محمد اقبال
أين : أفغانستان
ما : القلم



١ ـ لا .. لأن النيترون متعادل الشحنة .
٢ ـ إن كنت فى كل الأمور معاتبـــاً
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبـــه
بشار بن برد
٣ ـ الذهب ـ النحاس ـ الخارصين .
٤ ـ فى القرن السابع الميلادى .
٥ ـ عثمان بن عفان .
٦ ـ ثانى أكسيد المنجنيز .
٧ ـ أمريكا
٨ ـ ١٩٤٨
٩ ـ ٤٠٠ كيلو متر .
١٠ ـ عبد الرحمن عزام ـ عبد الخالق حسونة ـ محمود رياض ـ الشاذلى القليبى .

من . أين . ما

● مـن : ـ
صحابى جليل وصفه الرسول الأعظم بأنه من أهل البيت اثباتاً لأن الاسلام هو الرباط الحقيقى فوق اربطة العرق أو اللغة أو اللون أو البلد وان بنى آدم فى هذا الدين سواء لا فضل بينهم إلا بالتقوى : اسمه من كلمتين واثنى عشر حرفاً :
٤ ـ ٢ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١ ـ ٩ ـ ٥ ركاب الخيل .
٦ ـ ٢ ـ ١١ ـ ٧ ـ ١٢ ـ ٣ الذى لدغته الأفعى .

● أين : ـ
البلد الذى ولد فيه مؤذن الرسول الأعظم وكان عبداً لأحد كبار قريش فاشتراه أبو بكر الصديق فقال للناس سيدنا اشترى واعتق سيدنا : اسم البلد من ستة أحرف :
٥ ـ ٤ ـ ٣ صورة مفزعة .
١ ـ ٦ ـ ٢ عشيرة وقربى .

● مـا : ـ
الايديولوجية أو المذهبية المعاصرة لتفتيت وحدة الأمة الاسلامية وتشتيتها فى شعوبيات متنافرة : اسمها من سبعة أحرف :
١ ـ ٢ ـ ٧ ـ ٦ منسوب للذات العلية .
٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ لا تستسلم .

الجواب الصحيح



١ ـ عمر الخيام الشاعر العالم الفلكى المسلم صاحب الرباعيات المشهورة مولود فى :
مصر ـ فارس ـ افغانستان ـ العراق ـ الهند .
٢ ـ بحر مرمرة يقع بين بحرين من البحار الآتية ، ما هما :
البحر الأحمر ـ البحر الأبيض ـ البحر الأسود ـ بحر الغرب ـ البحر الميت ـ بحر عمان .
٣ ـ أول من ألغى نظام الخلافة الاسلامية فى العصر الحديث بتحريض من أعداء الاسلام هو :
فيروز المجوسى ـ كمال أتاتورك ـ فرديناند زوج ايزابيلا
٤ ـ ثلاثة من الثمار الآتية تنتمى لعائلة نباتية واحدة ، ما هى تلك العائلة :
المشمش ـ اللوز ـ البرقوق ـ المانجو ـ الفلفل ـ البصل .
٥ ـ وفى ارضي منا‌ى للكريم عن الأذى :
أكل البيت واذكر اسم قائله .
٦ ـ أديسون مخترع المصباح الكهربائى من أصل :
امريكى ـ روسى ـ المانى ـ يمنى .
٧ ـ كانت قطر عند ظهور الاسلام جزءاً من منطقة المشرق العربى يحكمها زعيم من تميم يسمى :
المنذر بن النعمان ـ المنذر بن ساوى ـ المنذر بن ماء السماء .
٨ ـ وقعت حادثة دنشواى فى مصر والتى فيها قتل جنود الاحتلال البريطانيون جمعاً من النساء والشيوخ والأطفال ظلماً وعدواناً فى سنة :
١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ ـ ١٩١٠
٩ ـ الضابط الفرنسى الذى وقف على قبر صلاح الدين الأيوبى فى دمشق بعد الحرب العالمية الأولى وقال ها قد عدنا يا صلاح الدين كان اسمه :
اللنبى ـ غورو ـ كلارك ـ ويفل .
١٠ ـ «يصنع الأبنوس من مشتقات تقطير البترول» .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

نتيجة مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠ العدد ٥٧

الفائزون فى مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠

● الجائزة الأولى مقدارها ٣٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة شهور : شعراوى حسن ـ السعودية .
● الجائزة الثانية مقدارها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة أشهر : نبيل احمد حسن العلبى ـ سوريا .
● الجائزة الثالثة مقدارها ١٠٠ ريال واشتراك لمدة ستة شهور : موسى مروان موسى ـ الامارات العربية .

الفائزون باشتراك لمدة عام :

١ ـ محمد العباس الحسين : السودان
٢ ـ السيد عبد اللطيف محمد : ج . م . ع
٣ ـ محمـــد طـــه : لبنـــان
٤ ـ منـــى وحيـــد : الكويـــت
٥ ـ عماد زهير الجيرودى : سوريـا
٦ ـ حسين عبد الله صيام : السودان
٧ ـ عبد الغنى محمـــود : الأردن
٨ ـ اسلام نبيه البـدراوى : ج . م . ع
٩ ـ عبدالعزيز ابراهيم : الامارات العربية
١٠ ـ محمد معن مـروان : الكويـت
١١ ـ سـماح حمدى العقاد : سـوريا
١٢ ـ سمير عواد عطيـة : ج . م . ع

كلمات لها معنى

– الدنيا ملأى بما يكفى حاجاتنا لا بما يكفى جشعنا .

«المهاتما غاندى»

– ان تعرف الأشياء على حقيقتها أفضل من أن يخدعك مظهرها .

– العمل يمنع عنك أشياء ثلاثة : الملل ، والعادات السيئة ، والحاجة .

«فولتير»

– أنت تتعلم من أبويك الحب والضحك والمشي ولكن حين تبدأ القراءة تشعر وكأنك تعلمت الطيران .

«هلن هيز»

– ليس هناك قول يتصف بالمبالغة أكثر من القول الذى يعتمد على الحقيقة المجردة

– لماذا أسترحم ؟ إن كنت محكوماً بحق فأنا أرتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوماً بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل .

«سيد قطب»

– الخبرة ليست فيما يحدث لك وإنما فيما تفعله وتجد نفسك فيه .

عبد القادر ديرى
حلب – سورية

العقول الفـــارغة



● قال لقمان الحكيم : وقفت يوماً أمام حقل من حقول القمح فاسترعى نظرى سنابل تطاولت فى خيلاء ، وسنابل أحنت رأسها فى تواضع وحياء ..

ولكم عجبت حين تلمستها ، إذ رأيت الأولى فارغة وأبصرت الثانية ملأى بحبات القمح فقلت : كم فى حقول الحياة من «سنابل» رفيعة الرأس فارغة .. !!!

محمد الخلف
حلب – سوريا

من هو الضـــرير ؟

كان متسول جالساً فى زاوية أحد الشوارع وكلبه العجوز قابع الى جانبه ، وبالقرب منهما لافتة تحمل هذه الكلمات «أشفقوا على ضرير بائس» .

ومر به عابر سبيل فألقى فى قبعته قطعة نقد ثم انحنى قائلا :

– ألقيت قطعة ذات الخمسة فرنكات وها أنذا أسترجع ٤ فرنكات ... فقال المتسول :

–عفواً سيدى إنك تغش .. إن ما ألقيته فى القبعة قطعة ذات الفرنك الواحد .. فرد الرجل :

– أنت هو الغشاش . أتقول إنك أعمى ، فكيف عرفت ؟

– من قال لك ذلك ؟ الأعمى هو كلبى !!

رجب كافندة جادين
كادوقلى السـودان

كلام الحكمـاء



● سأل رجل أحد الحكماء قائلا : متى أتكلم ؟ قال الحكيم : إذا اشتهيت الصمت . فقال : ومتى أصمت ؟ .. فرد الحكيم : إذا اشتهيت الكلام .

● سئل أحد الحكماء : ممن تعلمت الحكمة . فقال الحكيم : من الأعمى .. قالوا كيف ؟ . قال : لأنه لايضع قدمه على الأرض حتى يختبر الطريق بعصاه .

● وقيل : اذا طرح أمر للمناقشة .. فالأحمق من يتكلم بدون تفكير .. والعاقل من يفكر ثم يتكلم .. والحكيم من يفكر ولا يتكلم .

● وسئل حكيم عن سبب صمته ؟ فقال : اسمع فأعلم . وأسكت فأسلم .

● وقيل : اذا ندمت على السكوت مرة .. ندمت على الكلام مرات .

● قال أحد الحكماء لابنه : يا بنى خذ العلم من أفواه الرجال فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون .. ويحفظون أحسن ما يكتبون .. ليقولوا أحسن ما يحفظون .

● أجمع الحكماء على قول : رأس الحكمة الصمت .

تفانـى محمد عبد الله
مكـة المكرمـــة

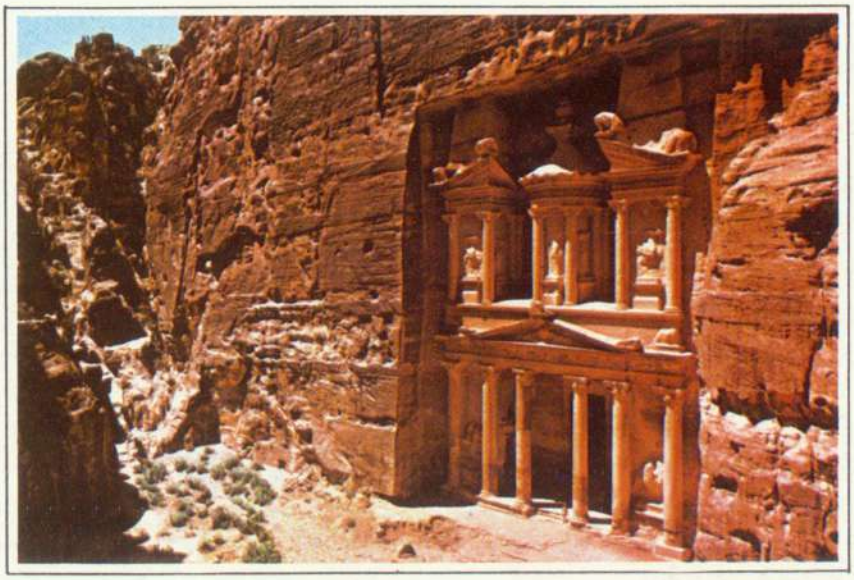
أضخم تلسـكوب

يعتبر تلسكوب هيل الموجود فى مرصد «مونت بالمار» بولاية كاليفورنيا أضخم تلسكوب انعكاس فى العالم . حيث يبلغ قطر مرآة هذا التلسكوب مائتى بوصة ، أى حوالى سبعة عشر قدماً . وسمكها ٢٤ بوصة والمرآة مصنوعة من زجاج البايركس وقد غطي بطبقة من الألنيوم ويبلغ وزن المرآة ١٤٫٥ طناً . وقد واجهت بناء التلسكوب صعوبات عدة ، فقد ظل الزجاج المصهور بعد صبه عاماً كاملا ليبرد داخل القالب ، كما تطلب العمل فى صقل المرآة أحد عشر عاماً ونصف عام . ثم ظهرت مشكلة نقل المرآة من مكان الصنع فى مدينة كورتنج – بولاية نيويورك الى كاليفورنيا . نظراً لحجمها وثقلها . فاستعين على ذلك بصناعة عربة حديدية خاصة . ويبلغ ارتفاع القبة التى يوجد بها التلسكوب ١٣٥ قدماً ، وقطرها ١٣٧ قدماً – .

هذا وقد كلف التلسكوب ثمانية ملايين دولار واستغرق صنعه عشرين عام .

هشام عبد الحميد الضمور
الاردن

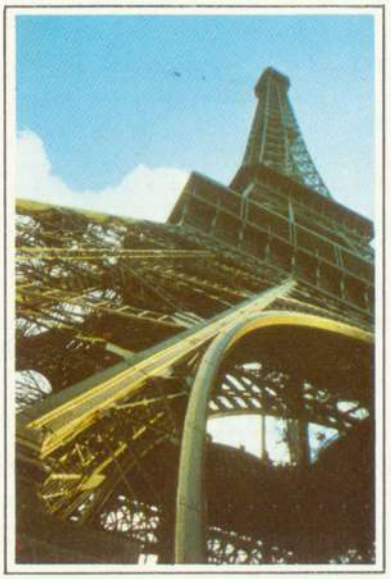
حـــاول أن تعـــرف ● ● ●



المدينة الوردية

مدينة صغيرة منحوته فى الصخر الوردى اللون تقع فى احدى الدول العربية ـ وصفها شاعر انجليزى بقوله «المدينة الوردية الحمراء التى عمرها نصف عمر الزمن » ، وكانت فى الأصل معقلا للأنباط ـ المدخل الوحيد لها ممر ضيق متعرج يعرف باسم «السيق» يبلغ ارتفاع صخوره فى بعض المواضع ٩١ متراً .

ما اسم هذه المدينة المنحوتة ؟ وفى أى الدول تقع ؟



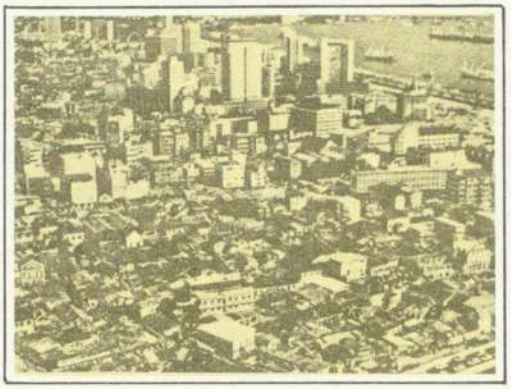
● ● ●

برج إيفل فى باريس هو أعلى برج حديدى فى العلم ـ استغرق بناؤه حوالى عامين

فى أى عام بنى برج إيفل ؟ وما الأسم الكامل للمهندس الذى بناه ؟

حل مسابقة حـاول أن تعـرف العـــدد «٧ ٥»

● أسم المدينة لاجوس عاصمة نيجيريا . ● أسم الشاعر هاينريش هانية .



الصورة الاولى



الصورة الثانية :

ـ أسماء الفائزين :

ولاء عبد الله أحمـــد ـ عـــدن

المنـــذر خليفـــة ـ تونســـ

علي عبد السلام أيوب دمنهور

الأيـام الخمسة

عدد الأيام فى حياتنا خمسة وليست سبعة :

● يوم مفقود : ـ هو أمسك الذى فاتك مع ما فرطت فيه .

● يوم مشهود : ـ هو يومك الذى أنت فيه . فتزود فيه من الطاعات .

● يوم مورود : ـ هو غدك . لا تدرى هل هو من أيامك أم لا ؟

● يوم موعود : ـ هو آخر أيامك من الدنيا . فاجعله نصب عينك .

● يوم محدود : ـ هو آخرتك . وهو يوم بلا انقضاء .

سوزان غصوب خميس
الدوحـة ـ قطـر

جزاء الشهـامة



حكى أن اعرابياً كان يسير فى البادية فمر برجل جالس تحت شجرة يئن ويتوجع فترجل الاعرابى عن ظهر جواده ليستفسر عن أمر الرجل .. فتوسل اليه أن يركبه مكانه لأقرب قبيلة ، فرق قلب الاعرابى ورفعه على ظهر الجواد وسار وراءه . وما هى إلا برهة حتى أطلق الرجل للجواد العنان وراح يسابق به الريح ، فناداه الاعرابى بأعلى صوته : أيها الرجل ، اذا وصلت الى القبيلة فلا تذكر ما حدث لي معك لكى لا تقل الشهامة بين العرب .

سـامية محمد على محمود
عدن ـ جمهورية اليمن الديموقراطية

كاريكاتير وتعليق
العدد «٧٥»



ـ الكتكوت لزميله «يالله أخرج بسرعة نلقط الحب قبل ما يخرج الباقى ويعمل أزمة عذاء » .

جوهرة صالح ـ الرياض ـ السعودية

ـ الكتكوت لزميله «لاتخرج فالعالم يعانى من أزمة غذاء» .

حامد يوسف على ـ أم درمان ـ السودان

الفرخ الأول للثانى «شو هالجو .. تعالى نرجع..»

هيثم سالم سعيد ـ الدوحة ـ قطر



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء عبد الله على ـ دولة قطر

كاريكاتير و تعليـق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريـال



الورقة الأخيرة

عبد الله الشيتي

وماذا عن الخيارات السهلة ؟

قرأت فى عدد مضى من (الدوحة) الغراء ، المقال الشهرى للأخ الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، عن (المال العربى والخيارات الصعبة) وقد أعطى هذا الموضوع المهم والخطير حقه من الدرس والتحليل والمقارنات والمعالجة الموضوعية ، اقتصاداً وفكراً ووجوداً وقضية وتحديات ، فى مواجهة القوى الشريرة المعادية لأمانى أمتنا العربية وقضاياها المصيرية العادلة ، وما يتوجب علينا فى هذه المرحلة اتخاذه وفعله ، حيال هذه الثروات الطائلة التى نمتلكها كدول وقوى اقتصادية ومالية مؤثرة أو يجب أن تؤثر وتفعل ولا يكفى أن تحاول وتنفعل ، فالمراد اعطاء نتيجة ايجابية تحقق توازناً مع أعدائنا المتربصين بنا الدوائر ، وبالتالى – وهذا الأهم – ان المال العربى كثروة ونمو وسيطرة ، يمكن أن يكون فى قوة السلاح وأمضى ، للدفاع عن قضايانا ولبلوغ اهدافنا المثلى بين الأمم والشعوب الواعية .

وهنا ، أريد ان اتحدث عن (الخيارات السهلة) بالنسبة للافراد . الأثرياء منهم وغير الأثرياء . هؤلاء الذين ينفقون ذات اليمين وذات الشمال فى أوروبا ودول الغرب ، كلما قصدوه سياحة واصطيافاً أو إشتاء ، فأراهم فى عواصم الغرب المختلفة ، يتبارون فى التبذير بـ (سهولة) الاختيار أو سهولة الاغراء أو محاولة اثبات (الوجود) المالى عن طريق هذا الاسراف فى ما يلزم وما لا يلزم . وبذلك تتدفق أموال العرب – عن طريق الأفراد وهم كثر – الى جيوب الغرب فيأخذ ما يعطينا إياه باليمين ثمن النفط فارضاً الاسعار الخيالية على الحاجيات الاستهلاكية والكمالية وما أكثرها فى التعداد وبذلك يكون هذا الغرب الظالم سبب التضخم المباشر ، مدعياً فى الوقت نفسه ان حكوماتنا النفطية هى التى تسبب التضخم بسبب رفع أسعار النفط فى حين – كما قال وزير المالية والبترول القطرى – تكون الشركات النفطية الاحتكارية فى أمريكا والدول الغربية بعامة هى سبب الارتفاع المباشر والمضاعف عندما تشترى الشركة المستوردة مثلا ، البرميل بثلاثين دولاراً أو أكثر قليلا وتبيعه بخمسين أو ستين دولاراً فتقوم قيامة الغرب وصحافة الغرب وأجهزة اعلام الغرب . تقوم كلها لتعلن أن العرب وبخاصة الدول المصدرة والمنتجة للنفط هى المسؤولة عن التضخم وعن الغلاء العالمى ، فاذا بالاسعار الاستهلاكية تضرب رقمها القياسى فى محاولة سريعة من تلك الدول الصناعية الكبرى المستوردة للنفط لاستعادة ما دفعته ثمناً للنفط أثماناً للحاجيات الاستهلاكية والبضائع المختلفة ، ناهيك عن الانفاق العربى المذهل بـ (سهولة الاختيار) لا صعوبته ، فى العواصم الأجنبية ، وناهيك أيضاً عما ينفقه المنفقون بجنون على موائد القمار وفى علب الليل وأماكن اللهو والتبارى الشنيع بين كبار الأغنياء العرب فى مشتريات القصور والمقتنيات والآثار ، بحيث لو أنفق هذا المال العربى – الفردى لشكل ثروات ضخمة يمكن أن تقدم اجل الخدمات والمشاريع وانشاء المصانع والمعامل ومختلف حقول العمل والانتاج الجماعى بما يمكن أن يحقق مجداً معنوياً ومادياً أيضاً لصاحب الثروة المهدورة فى غير معنى ، عندما تأخذ طريقها الصحيح فى الاستثمار والاستغلال الجماعى ، فى ظل وعى قومى وإرادة حازمة ومحاكاة الأعداء باسلوبهم حيث نرى كيف أنهم يوظفون أموالهم – وهى مسلوبةمن أموالنا – فى بنوك ومصارف الغرب المودعة فيها ، بطريقة أو بأخرى .. ويرتد ذلك سلاحاً فى ظهورنا .

من تبذيرنا يصبح اقتصادهم قوياً . ومن اسرافنا تجد أنهم يحسبون ألف حساب لكل قرش وكل فلس ينفقونه فى أمر من الأمور سواء على صعيد (الدولة) أو الأفراد . مما يجعلنا نتمنى على أنفسنا كأفراد أن نوازن حقيقة ، بين ما يلزم للانفاق وما يلزم للتوفير . وأن نوظف أموالنا فى ما يجدى وليس فى ما لا يجدى . فى الخدمات والانجازات الجماعية . فى أن نكون ظهيراً للدولة اقتصاداً وقوة مادية مؤازرة . فى أن نكف عن هذا البذخ والاسراف الظالمين . والحديث الشريف يقول : (اخشوشنوا . اخشوشنوا فان النعم لا تدوم) .

لقد تحدث الدكتور الشوش عن الخيارات الصعبة وها نحن هنا ندعو الى ممارسة الخيارات السهلة ، فى أن نعرف كيف نصون وننفق ونستغل ما يسمى بـ (العملة الصعبة) التى تتبخر من أيدينا بلا معنى ولا جدوى بمنتهى السهولة والعقوق بالواجب والتلذذ بمتع الحياة الصغيرة فى عواصم العالم . بينما مصائبنا كبيرة ومأساتنا فى خسارة أوطاننا وأراضينا ونفوسنا كعرب نواجه التحدى الصهيونى – الاستعمارى أكبر وأكبر .

فهل نعقل ؟ هل نصحو ؟ هل نتعظ ؟

عبد الله الشيتي

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد

للفنان القطري: أحمد علي